مكتبة

أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIÐASON

أبناء الغُبار

SYNIR DUFTSINS

Les fils de la poussière

مكتبة ٨٠٨

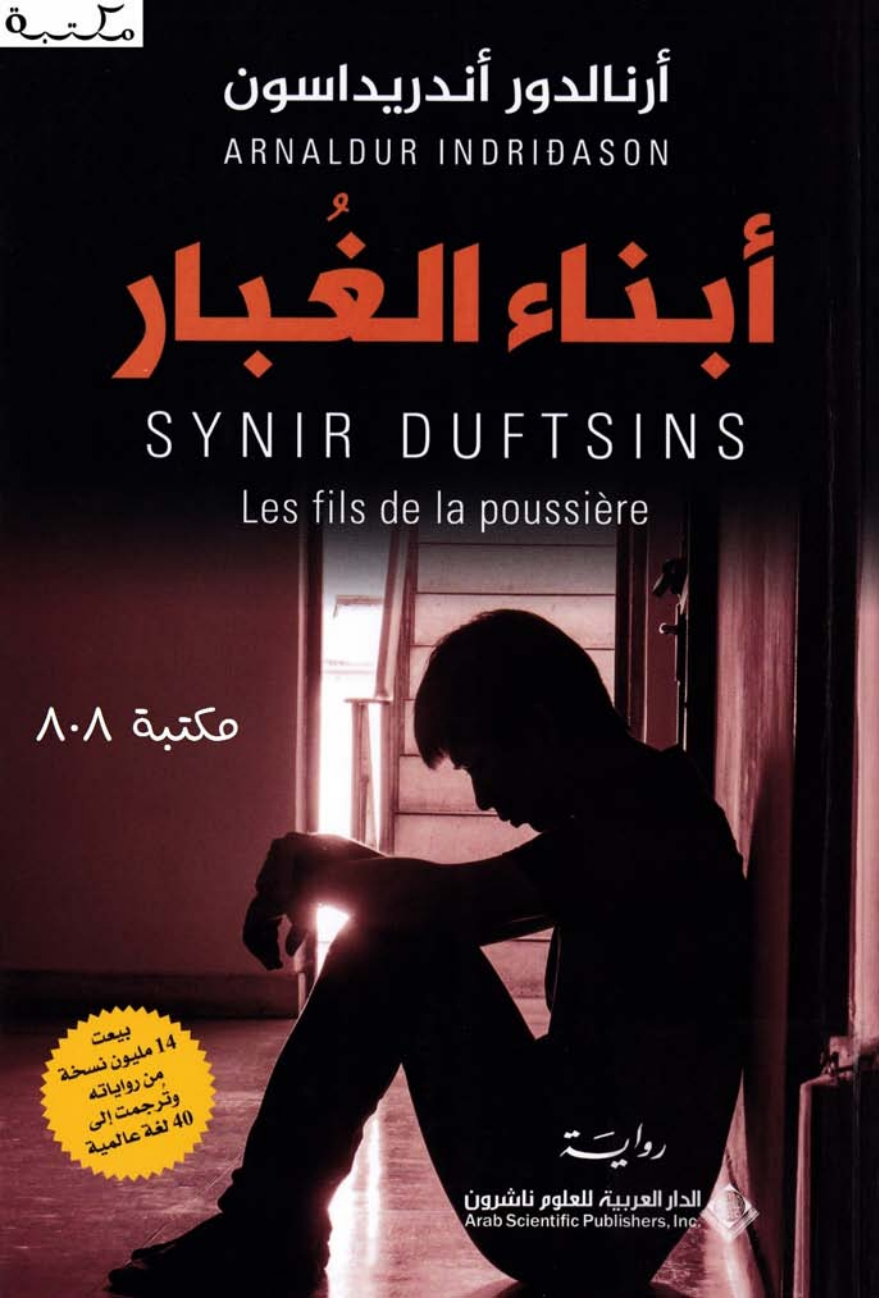

بيعت 14 مليون نسخة من رواياته وتُرجمت إلى 40 لغة عالمية

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أبناء الغُبار

SYNIR DUFTSINS

Les fils de la poussière

808 | مكتبة
سُر مَن قرأ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الفرنسية
LES FILS DE LA POUSSIÈRE
عن الأصل الأيسلندي
Synir duftsins
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Forlagid Publishing, Reykjavik, Iceland
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © Arnaldur Indriðason, 1997
Title of the original Icelandic edition Synir duftsins
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid. is
Frensh translation copyright © Éditions Mélailié, Paris, 2018
All rights reserved
Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
تم ترجمة هذا الكتاب بدعم مالي من:
This Book has been translated with a financial support from:
ICELANDIC LITERATURE CENTER

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3237-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb
facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

مكتبة
t.me/t_pdf

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**
التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

أبناء الغُبار

SYNIR DUFTSINS

Les fils de la poussière

رواية

مكتبة | 808
سُر مَن قرأ

أرنالدور أندريداسون
ARNALDUR INDRIÐASON

ترجمة أوليغ عوكي

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

مكتبة
t.me/t_pdf

1

بدا المبنى من بعيد كأنه سجن، فلم يخضع للترميم أو الصيانة منذ سنوات. لقد أجروا تخفيضات حادة على النظام الصحي، ولا تزال تلك التخفيضات في الميزانية تصيب المستشفيات المماثلة لهذا المستشفى. هناك ضوء مصفَرّ في كل نافذة يُضيء ليل الشتاء المظلم، وفي يناير القارس هذا، بدا المبنى المَهيب يرتعش معزولاً عند ضفة البحر في وسط منتزه مظلم كبير من الأشجار.

خرج پالمي من محطة الحافلات متوجهاً نحو المستشفى ولاحَظ أن عدد القضبان على النوافذ تزايد حتى أكثر. إنهم يزيدونها باستمرار على حد ما يذكُر منذ أن بدأ يأتي إلى هنا كل أسبوع ليزور أخاه، كما تراجعت نوعية الرعاية التي يقدّمونها للمرضى مع تراجع حال المبنى وحاجته إلى ترميم. لقد أصبح هذا المكان الآن عبارة عن مستودع بسيط للمرضى عقلياً الذين ابتلوا بآفة المخدرات، ولطالما سبّب القشعريرة لپالمي. غالباً ما كان يرفض في صغره مرافقة أمه إلى هنا مفضّلاً انتظارها في الخارج، لكن بعد وفاتها الآن، أصبح الشخص الوحيد الذي يمكنه زيارة أخيه.

مَرّ عبر باب صغير يؤدي مباشرة إلى الرواق الذي يخدم كمنطقة تدخين للمرضى. لم يكن المدخل الرئيسي، لكنه قريب جداً من غرفة نوم أخيه. فهِم فوراً أن هناك مشكلة، لأنه يوجد عادة بضعة مرضى ذوي أصابع صفراء وعيون فارغة يتسكّعون في هذا الرواق حيث يُسمَح لهم التجمُّع في مجموعات صغيرة. كلهم يعرفون پالمي، الذي يتأكد دائماً أن معه علبة سجائر، وبعضهم يشكرونه، بينما يتابع البعض الآخر التحديق في الفراغ. لم يجد پالمي أحداً هناك اليوم، بل سمِع صراخاً، وصدح صوت جرس إنذار من بعيد.

في الماضي البعيد، تم طلاء هذا الرواق الطويل الضيق الخفيف الإضاءة بطلاء

أخضر سميك من أرضيته إلى سقفه، وكانت غرفة أخيه في آخره: لكنه لم يجده هناك. عادة يعتني أخوه بهذه الغرفة التي يتشاركها مع مريض آخر، لكنها بدت اليوم مسرحاً لأحداث عنفية، فقد كانت خزانة الملابس محطّمة والسرير مقلوباً رأساً على عقب، وممتلكات دانيال الشخصية القليلة مبعثرة على الأرض. عاد پالمي إلى الطرف الآخر للرواق ليبحث عن أحد الموظفين، ودخَل الكوّة حيث يتواجد المصعدان وضغط زريهما. وصل المصعد الأيسر أولاً، وخرج منه حارسان يمسكان مريضاً مُكمَّماً.

– أين دانيال؟ سأل پالمي وهو يحدِّق مرتعباً بالنظرات المهلوسة للمريض المكافِح. كان يدعى ناتان وقد وصل للتو إلى المستشفى. تجاوَزه الرجال الثلاثة بسرعة، وصرخ به أحد الحرّاس:

– داني يقلب هذا المبنى رأساً على عقب. لقد صعِد إلى الطابق الأخير ويهدِّد بأنه سيقتل نفسه. قد تكون قادراً على ثنيه عن ذلك.

ثم اختفوا. أسرع پالمي إلى داخل المصعد وضغط زر الطابق السادس. فُتح بابه إلى غرفة مشتركة كبيرة، ورأى طاولاتٍ وكراسي تملأ الأرض، ومحتويات الخزائن مرمية خارجها، وموظفين يحملون مُطفئات حريق يحاولون إطفاء الحريق المندلع في المطبخ. كان هناك حرّاس قد أخضعوا وعزلوا المرضى الثائرين عند إحدى جهات الغرفة الكبيرة، وراحوا يقودونهم الواحد تلو الآخر إلى المصاعد. وهناك صف نوافذ يصل ارتفاعها إلى مستوى الصدر عند الجهة الأخرى، وزجاج أحدها مكسور، ودانيال يقف أمامه مُديراً ظهره لليل الشتاء.

– پالمي، صاح وقد رأى أخاه يقترب. قُل لهم أن يخرجوا. هؤلاء الأوغاد يريدون إيذائي.

– هل يمكنك أن تحاول إعادته إلى رشده؟ سأل حارسٌ مذهولٌ وهو يقترب من پالمي. لقد أضرم النار في المستشفى ويهدِّد بقتل نفسه. إذا استطعنا تهدئته، أظن أننا سنتمكن من استعادة السيطرة على الوضع.

– لا تقتربوا أيها الحثالة! صاح دانيال بالحرّاس الذين شكّلوا قوساً أمامه لكنهم تأكدوا من البقاء بعيدين عنه مسافة ملائمة. تظاهر پالمي أنه لا يمكنه رؤيتهم وتقدَّم ببطء دون أن يقوم بأي محاولة ليُبعد أخاه عن النافذة، ثم وقف

بجانبهم وأخفَض نظره إلى أسفل. إنهم على ارتفاع ستة طوابق ويمكنه رؤية الفناء الخارجي الذي كان مُضاءً بقوة ذات مرة، لكن لا يغمره الآن سوى ضوء خافت فقط.

– هل تعرف ما فعله بي هؤلاء الأوغاد؟ سأل دانيال.

لم يره پالمي في هكذا حالة أبداً من قبل. إنه في الخمسينات من عمره، وقصير القامة نسبياً، وذو رأس حليق، ويرتدي سروال جينز وقميصاً أبيض، وحافي القدمين.

– هل أذوك؟

– إنهم حثالة. ألا يمكننا أن نعود إلى المنزل يا پالمي؟ لماذا لا يمكنك أن تعتني بي فحسب؟

– هل تريدنا أن نذهب ونناقش هذا في غرفتك؟

– لا، أريد أن نتكلّم هنا. أريد أن أعود معك إلى المنزل يا پالمي، وسنعيش معاً ولن أرى هؤلاء الأوغاد مرة أخرى أبداً. رجاءً يا پالمي. لم أعد قادراً على البقاء هنا، وأمي وعدتني أنك ستسهر عليَّ. لماذا لا تفعل ذلك؟

– علينا أولاً أن نبتعد عن هذه النافذة.

– لماذا؟

– دانيال، هيا ننزل إلى الطابق السفلي.

– لقد حشوني بالسم يا پالمي. إنهم وحوش. لقد حشونا كلنا بالسم. هؤلاء الأشخاص منحرِفون وقتلة.

– دعنا ننزل ونناقش هذا يا دانيال. دعنا نبتعد عن هذه النافذة.

زال معظم التوتّر، وأوشك الموظفون على الانتهاء من إخراج آخر المرضى من الغرفة المشتركة، وبدا الحرّاس حول الأخوين مُسالِمين أكثر، وأُخمِد الحريق في المطبخ، واختفى الصراخ وجرس الإنذار. كما أن دانيال هدأ عندما رأى أخاه، وخفَّ قلق پالمي قليلاً.

– هل تتذكّر يا پالمي عندما مرضتُ وأحضَرتني إلى هنا؟ قلتُ لك إنني وصلتُ إلى كوكب الأرض على متن مذنّب سقط من السماوات بعد أن طُردتُ من هناك لأنني فقدتُ إيماني. هل أخبرتُك عن كل الآخرين؟

أمسَك دانيال بالمي وراح يهمس في أذنه وقد اختفى معظم الحرّاس.

– اسأل من أين جاء الآخرون.

– أي آخرين يا دانيال؟

– بقية طلاب المدرسة يا بالمي. اسأل إن أتوا من السماوات أيضاً، تابَع دانيال وهو يُمسك أخاه بكتفيه.

– أسأل ماذا ولمَن؟

– هؤلاء السفلة يعرفون جيداً ماذا فعلوا.

– عما تتكلّم يا دانيال؟ بالله عليك ابتعد عن هذه النافذة، ودعنا نعود إلى غرفتك رجاءً. يمكننا مناقشة عودتك إلى المنزل بهدوء.

– لعِلمك، كوكب الأرض في هذه اللحظة أقرب ما يمكن إلى الشمس يا صغيري بالمي، استأنَف دانيال كلامه وقد بدا عليه أنه استعاد سكونه. قبَّل جبهة أخيه بلطف، وعندما تراجَع إلى الوراء، شكَّ بالمي بما كان على وشك أن يفعله. صحيح أنه رآه في عينيه، لكنه فهِمه بعد فات الأوان. اختفت شرارة الحياة من عيني دانيال واستدار بصمت وقفز من النافذة. مرّ وقت لا ينتهي، ثم سُمِعت لطمةٌ في الأسفل.

مشى بالمي إلى النافذة متحجِّراً من الخوف ونظر إلى أسفل، ورأى دانيال مستلقياً على ظهره، وذراعيه ممدودتين، ورجلَيه ملقيتين على الدرج الشديد الانحدار الذي يؤدي إلى قبو المبنى.

بدأت تُثلج. وعندما وصلت الإسعاف أخيراً، كان الثلج قد غطى الجثة بكَفَن خفيف شفاف تقريباً.

2

في جزء آخر من البلدة، هناك منزل خشبي صغير مكسو بحديد مموَّج أسود يعود تاريخ بنائه إلى مطلع القرن، ويتألف من طابق أرضي وعليّة، وتحيطه حديقةٌ بُورٌ ليس لها سور. وهناك شجرة كبيرة تقف في إحدى الزوايا، وصفيحة وقود مفتوحة مسكوبة على الأعشاب البرية.

باب المنزل مفتوحٌ، وفاضت رائحة عصيدة شوفان إلى الموقد القديم الذي يتصاعد منه دخان أسود، ولم تتمكن الرائحة اللاذعة من تغطية الرائحة العفنة العابقة في الداخل. المطبخ قذرٌ إلى حد مثير للإشمئزاز مثل بقية المنزل، وهناك كومات من الصحف مكدَّسة على الأرض، وأكواب وأطباق قذرة متناثرة في كل مكان، وخِرَق معلَّقة على شمّاعات على الجدران أو مرمية على الأثاث. المكان مظلم، والنوافذ مُضاءة بنور المصباح القريب، وقد اخترق الضوء باب الغرفة الموجودة في ملحق غرفة الجلوس.

هناك فوضى مشابهة لفوضى الغُرف الأخرى تسود هذه الغرفة الخالية من النوافذ حيث تتدلّى لمبة عارية من السقف، ويوجد مصباح أخضر قديم أمالَ رأسه فوق المكتب كما لو أن يخشى أن يرفع نظره، عِلماً أنه مصدر النور الوحيد. وهناك كتب وصحف تملأ المكتب، ومحابر وأقلام حبر رائعة، وكذلك فونوغراف قديم يُصدر موسيقى هادئة. دفوراك. العالم الجديد.

جلس عجوزٌ يرتدي رداءً سروالياً أحمر رثّاً لكن سميكاً ودافئاً وراء المكتب، ومنتعلاً حذاءً ماركة كروكس. يداه شاحبتان، وأصابعه نحيلة وطويلة، ولم يقص أظافره منذ فترة طويلة. رأسه أصلع بالكامل تقريباً، وتاج شعره الأبيض عند أسفل جمجمته يسقط في جدلات فوق كتفَيه. عيناه صغيرتان وهناك لحية عمرها عدة أيام على وجهه. كان مقيَّداً بكرسيه وينزف، وتفوح منه رائحة البنزين الكريهة.

تشكَّلت بركة بنزين صغيرة عند قدميه، وامتدّ منها خط متواصل من الغرفة إلى غرفة الجلوس حيث تم رَشّ الجدران والأثاث والملابس، وكذلك المطبخ والباب الأمامي. كان الرجل الجالس على الكرسي ساكناً لا يتحرَّك، ولم يقل شيئاً ولم يحاول أن يحرِّر نفسه، بل انتظر بهدوء ما كان متأكداً أنه سيحصل، وبدا واضحاً أنه مُقتنِع بأنه يستحق هذا المصير.

سُمِعت هسهسة خافتة عندما كُشط عود الثقاب واشتعل، وحدَّق به الرجل المقيَّد بالكرسي والدموع تسيل على خدّيه، لكنه لم يقاوم، بل أومأ برأسه، وحرَّك شفتيه متمتماً أغنية مدرسية كما لو أنه يريد تهدئة نفسه.

وضعت يدٌ عود الثقاب الملتهِب بين أصابعه، فأمسكه للحظةٍ قبل أن يدعه يسقط أرضاً. لفّت النيران العجوز والكرسي والمكتب بلمح البصر، ثم امتدّت إلى غرفة الجلوس وهاجَمت الجدران. اشتعل المنزل بأكمله في غضون لحظات قليلة، وانفجرت النوافذ، وارتفعت ألسنة اللهب في ظلمة الليل. حاوَل أن ينهض، لكنه سقط عند باب الغرفة التي أضحت محيطاً من اللهب.

جدران غرفة الجلوس مرصوصة، إذا جاز التعبير، من الأرض إلى السقف بصفوف طويلة من الصور الفوتوغرافية المصفوفة بشكل أنيق، وقد بدا أن هذا هو الشيء الوحيد الذي اهتمّ به ساكن المنزل. احتوت الأطر القديمة على بورتريهات بيضوية الشكل لشباب كُتبَت أسماؤهم في قوسٍ، وظهرت المدرسة في وسط الجدار. ثم أفسحت صور الأفراد القديمة المجال لصور جماعية وَقَف فيها الأستاذ بعيداً قليلاً عن الطلاب الموزّعين على صفين أو ثلاثة صفوف. في الصور القديمة، ظهر الأولاد في أزهى ملابسهم، وقد ملَّس الفتيان شعرهم إلى الخلف وصفّفته الفتيات في جدائل، وبدا واضحاً جهد المصوِّرين لإضفاء بعض التناغم عبر ترتيب أماكنهم وفقاً لأعمارهم وأحجامهم، حيث جلس طلاب الصف الأول على الأرض، وطلاب الصف الثاني على كراسٍ، ووقف طلاب الصف الثالث خلفهم. أما في الصور الأخرى الحديثة أكثر، فقد وقف الطلاب حيث أرادوا ولم يعودوا يظهرون في أبهى ثيابهم، ورسم العديد منهم ابتسامات خجولة أو متألقة، وضحِك بعضهم الآخر. أظهرت تلك الصور تبدُّل موضة الثياب وطرق تصفيف الشعر، والسلوك في المجتمع. ففي الصور القديمة، كانت عيون الأولاد صافية

وتتطلّع إلى المستقبل، وملابسهم أنيقة، وبدوا منضبطين ومرتعبين من الكاميرا. أما في الصور الحديثة، فظهروا لا مبالين وشعرهم أشعث، ولا يحترمون اللحظة الراهنة أو التقاليد أو روحية المدرسة. ولا أحد منهم ملّس شعره إلى الخلف.

كان نفس الأستاذ يظهر في كل تلك الصور التي تلتهمها النيران الآن، وهو مثل طلابه تغيَّر على مر السنوات. ففي الصور القديمة، كان طالباً في المرحلة الابتدائية هو أيضاً، ثم طالباً في المرحلة الثانوية، وفي أولى الصور التي ظَهَر فيها أستاذاً إلى جانب طلاب حصّته كان يرتدي بذلةً وربطة عنق ونظّارات ذات إطار حديدي، وبدأ شعره يتساقط وراح يصفّفه جانبياً. بدا أن مستقبلاً مشرقاً ينتظره. ثم بدا لاحقاً مُتعَباً في كنزة رثّة وقد سقط شعره. لقد أصبح عجوزاً خائب الأمل. أظهرته إحدى تلك الصور واقفاً يظلّل ولداً يجلس على الأرض وبدلاً من أن ينظر إلى الكاميرا، كان ينظر إلى أستاذه. ذاك الولد هو دانيال.

بقي الأستاذ العجوز ممدَّداً على الأرض مقيَّداً بكرسيه، وفارقته الحياة في لهبٍ أخيرٍ.

3

واقفاً أمام الزجاج المحطّم، أبقى پالمي عينيه مسمّرتين على جثة دانيال، ثم استدار بسرعة وركَض نحو المصاعد، لكنه لم يجد أياً منهما هناك، فنزل الدرج. ظنّ أنه رأى أخاه يتحرّك، ولمع بصيص أمل فيه كالبرق. نزل الدرج كل أربع درجات معاً، وهرع إلى خارج المبنى ثم إلى الفناء الخارجي نحو الدرجات المؤدية إلى القبو، لكن لم يكن هناك داعٍ للإسراع، فدانيال ميت ومعظم عظامه محطَّمة.

جلَس بجانبه على الثلج وراح يراقب النُدَف تحطّ عليه إلى أن وصلت المساعدة والشرطة. لم يزعجه هؤلاء، بل وضعوا الجثة في الإسعاف وابتعدوا عن المستشفى ببطء. يتسبَّب كل انتحار بفتح تحقيقٍ، وأخذ ضباط التحقيق الجنائي إفادات الموظفين والأطباء وپالمي، لكن لم يكن لديهم الكثير ليقولوه. وسرعان ما انتشر خبر وفاة دانيال بين المرضى وعمَّ الصمت المبنى القلِق.

– كان فتى مؤدَّباً، قال مُشرِفٌ يعمل في المستشفى منذ فترة طويلة وعرَفه جيداً. كان بعض المُشرِفين والممرِّضات جالسين في كافيتيريا الموظفين يدردشون مع پالمي الذي لا يزال لا يصدِّق ما حصل للتو ولم يرد أن يرحل، أن يعود إلى منزله، أن يذهب إلى حيث لا يعلم. لقد أحضَره مُقدِّم رعايةٍ إلى هنا ليجنّبه البقاء تحت الثلج المتساقط. لم يمكث ضباط الجنائية طويلاً لأن القضية واضحة جلية، فهذه مستشفى أمراض نفسية وقد شهدت فوراتٍ انتهت بانتحار المريض، وقد رأى عدة شهودٍ دانيال يرمي نفسه من النافذة. لم يكن الأمر حادثاً، بل تصرّفاً اختيارياً.

– ماذا حصل بالضبط؟ سأل پالمي بذهول، ثم مال إلى الأمام على كرسيه ووضع وجهه بين يديه. كان صوته لطيفاً واضحاً، لكنه يلثغ قليلاً.

– لم يكن دانيال على طبيعته منذ بضعة أسابيع، أجاب المُشرِف. هذا

المُحسِن الذي تخطى الخمسين من عمره وذو شعر كثيف وغير مرتَّب وأنف كبير ووجه ممتلئ يدعى غودبيورن.

– لطالما كان مضطرباً، ويُتعبنا. تعرف كيف كان يتصرَّف عندما يرفض أخذ دوائه، ويبدأ بإخبار بقية المرضى أنهم عاقلون تماماً. بدا أنه فقد صوابه كلياً، لكن خلال الأسابيع القليلة الماضية أصبح هادئاً تماماً، وأخذ يتجوَّل في أرجاء المؤسسة غارقاً في تفكير عميق ولا يتكلَّم مع أحد.

– كنتُ أزوره كل أسبوع ولم ألاحظ أي تغيير لديه. كان هادئاً معظم الأوقات، ولم يشكُ من مُقدِّمي الرعاية. لماذا بدأ يهينكم ويصفكم بالحثالة؟

– كان يفرح كثيراً بأن يقلِّل من شأننا عبر وصفنا بشتى النعوت، أجاب مُشرِف آخر أصغر سناً يدعى إيليه.

عرَف پالمي أنها الحقيقة، فأخوه اتَّهم دائماً موظفي المستشفى والأطباء والممرِّضات والمُشرِفين بسوء المعاملة، وغالباً ما طلب أن يفحصه أطباء مستقلون. لم يكن يتلقَّى إلا أذونات نادرة وقد أعطته الاستشارات الطبية في البلدة عذراً ليتغيَّب عن المستشفى.

– برأيكم، ما سبب هذا التغيُّر المفاجئ في سلوكه؟ سأل پالمي مستفسراً.

– عليك أن تطرح هذا السؤال على طبيبه. عندي شعور أن للأمر علاقة بالزيارات التي كان يقوم بها ذلك الرجل له منذ بعض الوقت، رَدَّ غودبيورن. كان واضحاً أنه أكبر منه سناً، لكن ذلك لم يمنعهما من الدردشة معاً لساعاتٍ. لم أره من قبل أبداً. وما هو أكيد أنه بدا غالياً جداً على قلب داني.

– بالمناسبة، ماذا كان دانيال يناديه؟ قاطعته أندريا، وهي ممرِّضة قصيرة القامة ممتلئة الجسم ذات وجه لطيف.

– لا أتذكَّر إن كان هيلمار أو هوكور، حسناً، شيء من هذا القبيل، رَدَّ إيليه. لا أعرف بماذا كانا يتناقشان، لكنني أعتقد أنني سمِعتُهما يتكلّمان ذات يوم عن كبسولات زيت كبد القد وكانا منزعجين جداً. في النهاية، ربما لم أسمعهما جيداً، فأنا لم أكن أتجسّس عليهما بل كنتُ ماراً قربهما فحسب في الكافيتيريا، تابَع إيليه بنبرة اعتذارية.

– كبسولات زيت كبد القد! هل تعطون منها للمرضى؟ تساءل پالمي.

– آه لا! نحن لسنا مركز لياقة بدنية، رَدَّت أندريا وهي تحملق بزملائها.

– لم يكن لدى داني أحد غيري، وأنتم بالطبع. لا أفهم حقاً مَن سيكون لديه سبب ليزوره هنا، قال پالمي بتبصّر. هل كان يزوره أحد غيري عادةً؟

– أبداً، ما عدا في الأسابيع القليلة الأخيرة. اعتقَدتُ أننا أخبَرناك عن ذلك، رَدَّت أندريا.

– هل تعرفون إسم ذلك الرجل؟ هل تعرفون ما مهنته؟ سأل پالمي.

– لا يمكنني أن أتذكَّر. يجب أن تسأل يوهان، اقترَحت أندريا.

يوهان هو أكثر مُشرِف عرَف دانيال، فقد بدأ العمل في المستشفى منذ عشر سنوات ونشأت صداقة عميقة بينهما. ولطالما أدرك پالمي أن يوهان يفيد دانيال أكثر من كل الأطباء الذين تعاطوا معه خلال مرضه.

– أين هو؟

– رحل منذ أسبوع بعد أن أخبر المدير حقائقه الأربعة، رَدَّ غودبيورن. أعتقد أنه طُرد من العمل.

– طُرد؟ لماذا؟

– لم يعد بإمكانه تحمّل طريقة عمل هذا المستشفى، رَدَّت أندريا وهي تنظر إلى زملائها.

– لم يخبرنا أحد بأي شيء، قال غودبيورن. لم تكن هذه أول مرة يشتكي فيها يوهان إلى الإدارة، وذهَب ليعبِّر عن سخطه الأخير، ثم رحل. أظن أنه سئم من كل الكلام الفارغ، فقد تقلّصت المتابعة الطبية إلى الحد الأدنى، وعدد الممرِّضات غير كافٍ، والمستشفى يكافح ليحافظ على موظفيه. والحل الذي اعتُمد هو حشو المرضى بالأدوية ليبقوا فاقدي الوعي. هذا هو كل العلاج الذي حصلوا عليه. كان الوضع أفضل بكثير من قبل، عندما لم نكن نتكلّم عن التخفيضات في الميزانية التي أغضبت يوهان كثيراً. والطريقة التي نعالج بها المرضى أثَّرت عليه أكثر منا. لم نعد نحتفظ هنا إلا بالحالات القصوى، ونُعيد الآخرين إلى منازلهم حيث من الواضح أنهم يشكّلون مشاكل كبيرة.

– هل من الممكن إدارة مستشفى أمراض نفسية بهذه الطريقة؟ قال پالمي باستياء.

– كل شيء ممكن هنا، قال إيليه.

– لكنني لاحظتُ تفصيلاً بشأن ذلك الزائر، تابَع غودبيورن بتبصّر. قد يبدو هذا طفولياً قليلاً وغير مهم على الأرجح، إلا أن ذلك الرجل كان يأتي دائماً يوم الخميس حوالي الخامسة بعد الظهر ومعه حقيبة ملفات قديمة لم أرها يفتحها أبداً. كان شاحباً وأصلع وفاقد اللياقة. الآن وبعد التفكير في المسألة، هناك تفصيل آخر كنتُ أستغربه هو أنه يُمضي وقته يتمتم نفس الجملة.

– اليوم الجمعة، هل هذا يعني أنه أتى البارحة؟ سأل پالمي مستفسراً.

– لم أره، لكن هذا مرجّح جداً.

– ما كانت تلك الجملة التي يتمتمها باستمرار؟

– هذا ما بدا لي غريباً، رَدَّ غودبيورن. أعتقد أنها بعض أبيات جوناس هالغريمسون... *"أجمل لحظات تبجيلك ستلمع كالبرق في الليل"*.

4

مكتبة
t.me/t_pdf

عاد پالمي إلى منزله حوالي منتصف الليل، وهو لا يزال لا يفهم ما حصل في وقت سابق من ذلك المساء. أضاء ضوء الرواق وهو غارق في تفكير عميق، واستطاع سماع صوت التلفزيون في شقة جارته داغني. ليس لديه تلفزيون، بل شقته مليئة بأغراض من كل الأصناف – لوحات وخاصة كتب مصطفة بشكل أنيق على الرفوف التي تملأ كل الجدران. أعزبٌ وليس لديه أولاد، كان يجمِّع الكتب ويدير مكتبة لبيع الكتب المستعملة في البلدة.

وَضَع ماءً في الغلاية الكهربائية ليُعدّ كوب شاي عشبي قبل أن ينام، وراح يفكِّر بدانيال ويوهان وزيارات ذلك الرجل وعملية الانتحار قائلاً لنفسه إنها ربما طريقة الخروج الوحيدة التي وجدها أخوه. غالباً ما فتحا هذا الموضوع، لكن پالمي لم يفهم، والفكرة لم تخطر بباله أبداً، ووجد أنه منافٍ للعقل أن يرغب المرء بإنهاء حياته، بينما اعتبر دانيال هذا الأمر عادياً، وإذا أراد أن يقتل نفسه، فهذا شأنه لوحده فقط. لكن الخطوة بحد ذاتها بدت له مثيرةً للإشمئزاز ومؤلمةً، سواء كانت بقطع أوردة المِعصَم أو العنق، أو حتى بشنق نفسه، ووجد فيها شيئاً مُذلاً. اعتبر دانيال أن عملية الانتحار يجب أن تجري مثل عملية جراحية، كعملية استئصالٍ عاديةٍ أو إزالة دَوالي الأوردة.

أحد الأسباب التي منعته من العيش مع پالمي هو تحديداً أنه حاوَل إنهاء حياته مرات عديدة، وكاد ينجح في المرتين الأخيرتين، وقد وصف له الأطباء علاجاً مكثّفاً خلال معظم فترات وجوده في المستشفى. لا يستطيع پالمي أن يكون أكيداً أنه كان يتناول الأدوية التي يُفترَض به أن يتناولها بشكل صحيح ليخفّف النزعة الانتحارية التي لديه، وقد حاوَل أن يزيل أي شيء من شقته يمكن أن يمكِّن أخاه من تحقيق هدفه، لكنها معركة خاسرة من قبل، فقد عاد ذات يوم إلى المنزل

ليجد دانيال قد خنق نفسه بكيس بلاستيكي على رأسه واستطاع أن يُنعشه في اللحظة الأخيرة بتنفّس اصطناعي عبر الفم. وفي مرة أخرى استخدم حبلاً ليشنق نفسه، لكنه انقطع موقعاً إياه على الأرض، فحاول عندها أن يخنق نفسه بأن شدّه بأقصى قوته إلى أن أُغمي عليه.

أعاده پالمي إلى المستشفى، ومرّت سنتان دون أن يقوم بأي محاولة، ففكّر عندها بأن يعيده إلى شقته الجميلة التي ورثها من أمه لكنه غيّر رأيه. لقد شخّص الأطباء إصابة دانيال بالفُصام منذ سنوات، وبالكاد يتذكّر پالمي بداية مرضه، ففارق السنّ بينهما هو عشر سنوات وكان پالمي صغيراً جداً عندما ظهرت العوارض لأول مرة. يتذكّر اللحظات السعيدة لأمه وذلك الفتى السعيد الضاحك الذي لعِب معه، لكنها كانت لحظات وجيزة فقط في طفولة فظيعة. ويتذكّر بشكل خاص حزن أمه، وغضب دانيال، وزياراتهما المتكرّرة التي لا تنتهي إلى هذا المستشفى المُرعِب.

لقد طُرد دانيال من نعيم السماوات.

مما يعرفه پالمي فقد عاش أخوه طفولة عادية حتى سنّ الثالثة عشرة عندما تغيّر بشكل كبير فجأة، وبدأ يعاقر الشراب ويتعاطى المخدرات مع زملائه في المدرسة. وخلال السنوات القليلة التالية، شكّل مشكلةً متواصلةً لأمه ورجال الشرطة الذين بقوا يعيدونه إلى المنزل كل ليلة وأخرى ثملاً أو مخدَّراً بعد العثور عليه جالساً في الشارع. بعد سنوات قليلة على هذا المنوال، وبعد أن أصبح ينام لفترات أقل وأقل، بدأ يسمع أصواتاً ويُمضي ساعاتٍ يتكلّم مع مُحاوِرين وهميين تولّدهم هلوساته. راح يقرأ كل شيء تقع يداه عليه، كل أنواع الكتب التي كان يخصّص لها أحياناً ليالي بأكملها بدلاً من أن ينام. كان يحفظ كل شيء عن ظهر قلب ويعرف التفاصيل الدقيقة لمعظم المواضيع المختلفة، لكن يصدف أحياناً أن يقع من التعب في نهاية المطاف وينام ساعات قليلة في الصباح الباكر. كان يُمضي الليالي الأخرى في تعاطي المخدرات والتجوّل في البلدة، ولم تكن أمه قادرة على السيطرة عليه، وتعتبر أن كل هذا بسبب عشرته السيئة مع زملاء صفه. تسجّل دانيال في المدرسة الثانوية، لكنه توقف عن الدراسة سريعاً جداً، وتحوّل في الوقت نفسه إلى الاهتمام بالماورائيات التي لم تكن تستهويه أبداً من قبل، وادّعى أن الأصوات التي

يسمعها تنقل إليه رسالة سماوية قلبت كلياً تصوُّره للوجود. مثلاً، قرأ مقالاً في صحيفةٍ يشير إلى ظواهر غريبة ظَهَرت في السماء ناتجة افتراضياً عن مذنّب تفتّت في سلسلة متواصلة من الومضات عند دخوله الغلاف الجوي. لم يحتج إلى أكثر من ذلك ليدّعي أن ذلك المذنّب سقط من السماوات بعد أن طُرد منها، وأن عليه أن يكفّر عن ذنوبه إذا أراد أن يعود إلى هناك. أسوأ معاناة نفسية تعرّض لها في السنوات التالية كانت مرتبطة بهذه الفكرة الغريبة للسماوات المفقودة.

لم يفهم التغييرات التي تحصل له ورفض تقبُّل فكرة أنه مريض، بل على العكس تماماً، اعتبر أنه أكثر شخص منطقي بين كل الأشخاص الذين يلتقيهم، وقام بردّة فعل عنيفة جداً عندما طلبت أمه المنهكة والمرتعبة مساعدة طبيبٍ. وتفاقمت حالة مرضه ومنسوب حساسيته سنة تلو الأخرى. في نهاية المطاف، لم يعد قادراً على العمل ليعيل نفسه، وازدادت حدّة عنفه كثيراً، وحاول الانتحار عدة مرات. وذات يوم، ركض نحو پالمي ودفَعَه على جدارٍ بقوة كبيرة أفقدت أخاه الصغير وعيه. وعندما أرادت أمهما مساعدته، أمسَك دانيال سكين مطبخ وغرزها في كتفها قبل أن يهرب.

بقيت أمهما تُمانع لفترة طويلة وضعه في المستشفى، لكن لم يعد أمامها أي خيار آخر بعد أن هاجَم پالمي للمرة الثانية، وبشكل أعنف حتى. مرّت خمسة وعشرون سنة، وقد تُوفِّيت أمهما منذ سبع سنوات، وأصبح پالمي يعيش لوحده منذ ذلك الحين.

دانيال مريض نموذجي بالفُصام، لكن لا تاريخ لهذا المرض في عائلتهم، وهذا ما جعل أمه تستغرب كثيراً، فقد كانت مقتنعة أنه مرض وراثي، أو أنه ظَهَر كالرعد في سماء صافية ودمَّر حياتها. كان قدر إبنها يُغضبها كثيراً، وغالباً ما تبدأ بالبكاء حنقاً ويأساً. وهي أكثر شخص عرَفه جيداً قبل أن يبدّله المرض.

جالساً في غرفة جلوسه مع كوب الشاي العشبي، راح پالمي يحكّ الجهة الخلفية ليده اليمنى، وجفل كما لو أنه لا يزال يشعر بألم قديم. لقد احترقت هذه اليد بشكل سيئ، ولا يمكنه استخدام خنصره أو بنصره. تتألف العائلة من ثلاثتهم، فقد مات أبوه قُبيل ولادة پالمي، ولم يعرفه إلا من خلال الروايات التي كانت أمه ترويها له، والتي كانت تُظهره أنه من أفضل الرجال. كان بحّاراً سقط

عن متن السفينة في عاصفة هوجاء على الساحل الغربي. حتى عيوبه أصبحت موضوع قصص مسلّية، مثل إدمانه الشراب، حيث اعتاد أن يختفي أحياناً لأسابيع متواصلة لكي يثمل مع أصدقائه إلى أن لا يعود قادراً على شرب نقطة أخرى، لكن غياباته الطويلة تلك أُعطيت تفسيراً مختلفاً كلياً بعد موته: كانت الدلالة الواضحة على عشقه للمغامرات وعلى الجهد الذي بذله لتنمية صداقاته. لكن أياً من أولئك "الأصدقاء" الكُثُر تكبَّد عناء الاتصال بالأرملة ذات الطفلين بعد موته. لم يعد والدا پالمي جزءاً من هذا العالم وقد فقد أخاه الوحيد للتو.

لقد تركت أمهما منزلها العائلي في سنّ يافع جداً، ولم تعد تتواصل مع والديها منذ أن انتقلا إلى الدانمرك. لپالمي جَدّ عجوز جداً هناك، وقد أتى ذلك الرجل وزوجته إلى آيسلندا بُعيد وفاة إبنتهما، ومكثا ليومين فقط، وغادرا تاركين وراءهما شعوراً بغيضاً من الإنزعاج واللا مبالاة نحو حفيديهما.

سمِع قرعاً هادئاً على الباب. إنها داغني على الأرجح، المرأة القصيرة النحيلة التي تعمل سكرتيرة في الضمان الاجتماعي والتي سكنت في المبنى منذ بضع سنوات مع ولديها، وقد نشأت صداقة بينهما. عندما يريد پالمي مشاهدة برنامج معيّن على التلفزيون، وهذا أمر نادر جداً، يطلب الإذن من جارته التي تستمتع بصحبته والتي فضّلت الابتعاد منذ أن أنهت زواجاً فاشلاً وبعد أن لم يعد لديها أي حظ مع الرجال. لقد واعدت لفترة وجيزة تاجر جملةٍ لم يكن يفارق هاتفه الخلوي أبداً، حتى أثناء المضاجعة. لذا انتهى بها المطاف أن اتصلت به لكي تُنهي علاقتهما. وحتى تعرَّفت أيضاً على طبيب نفسي للأطفال لم يستطع تحمّل ولديها، وقد طلبت منهما أن يُخبراه أن أمهما لا تريد استشارةً أخرى. أما مع پالمي، فالوضع مختلف، والولدان يعشقانه.

– هل داني مَن تكلّموا عنه للتو في نشرة الأخبار؟ سألته قلِقةً.

– نعم، رَدَّ پالمي وهو يغلق الباب.

– ماذا حصل؟

– لا أعرف بالضبط بعد، لكنه فقَدَ صوابه تماماً هذا الظهر لسبب ما وقلبَ المستشفى رأساً على عقب، ثم قفز من إحدى نوافذ الطابق الأخير، ومات فوراً.

– مسكين داني.

– أعرف أن لديه هذه النزعة، لكنني أظن أن هناك خطباً ما. فقد تلقى دانيال عدة زيارات في الأسابيع الأخيرة، ولا أفهم حقاً مَن يمكنه أن يأتي لرؤيته، ولا أحد يعرفه في المستشفى. عليَّ أن أسأل يوهان، لكننا لا نعرف على كل حال بماذا كان دانيال وذلك الغريب يتناقشان. يعتقد أحد المُشرِفين أنه سمِعهما يتكلّمان عن كبسولات زيت كبد القد.

– كبسولات زيت كبد القد؟

– ربما لم يسمع جيداً.

– كان ميتاً عندما وصلتَ؟

– لا، رَدَّ بالمي، بل قفَز إلى الخلاء أمام عينيَّ. لو كنتُ أسرع في التفكير قليلاً، لربما تمكَّنتُ من إيقافه. لم أفهم ماذا كان يجري، ولم أرَ أي خطر وشيك. أو بالأحرى، لم أره إلا متأخراً جداً ولم تُطبق يداي إلا على الهواء. ثم أصبح ممدداً هناك على درج القبو، وانتهى كل شيء.

– من الطبيعي جداً أن تلوم نفسك، قالت داغني لتطمئنه، ومسَّدت خدّه بلطف.

كانا لا يزالان في الرواق خلف باب الشقة. لم تتطوَّر علاقتهما أبداً إلى حدود السرير، وكانا سعيدين بهذا الوضع.

– أخبَرني عن أشخاص سمّاهم "الآخرين"، وأرادني أن أستعلم عنهم. لا أفهم ما قصده بذلك. وأخبَرني عن السماوات، كالعادة، ثم فجأة ذكَرَ أولئك الآخرين وهذا أمر جديد.

– ما كان قصده برأيك؟

– أخبَرني عن المدرسة أيضاً. يعتبر أنه طُرد من السماوات وأمضى وقته يكرِّر أن عليه إيجاد طريقة ليعود إلى هناك، وعندها ستُحلّ كل الأمور وسيستعيد صحته. ثم أرادني أن أسأل من أين جاء الآخرون. أي آخرين؟ ومَن عليَّ أن أسأل تلك الأسئلة؟

– إلى أين كان يريد أن يصل بهذه الفكرة؟

– يبدو أن للمسألة علاقة بالمدرسة، وقد ذهب دانيال إلى ثلاث مدارس، حيث أمضى بضعة أشهر في المدرسة الثانوية، وسنة في مدرسة أرمولي، وكل

تعليمه قبل ذلك كان في مدرسة ڤيديغردي.

– أليس كل ذلك جزءاً من هذيانه؟ فقد قال أشياء كثيرة غير مفهومة.

– أخبَرني أيضاً أن كوكب الأرض في هذه اللحظة أقرب ما يمكن إلى الشمس. هذه كانت كلماته الأخيرة. كيف يجب أن نفسِّر هذا النوع من الكلام؟ تنهَّد پالمي.

– ألم تكن تعرف؟ تساءلت داغني التي لا يخفى عليها أي شيء يتعلق بعلم التنجيم ومسار الكواكب. الجميع في آيسلندا يظن أن ذلك يحدث في شهر يوليو، لكن يناير في الواقع هو الشهر الذي يكون فيه كوكب الأرض أقرب ما يمكن إلى الشمس.

5

اشتعَل الكوخ الخشبي القديم فوراً، وعندما وصل رجال الشرطة والإطفاء، كان قد احترق كلياً تقريباً، وشكر رجال الإطفاء حظهم الكبير لأن الكوخ موجود في مقاطعة ثينغهولت الكثيفة جداً بين مجموعة من المنازل الخشبية الأخرى وبالكاد كانت هناك أي رياح هذه الليلة، لذا راحت ألسنة اللهب ترتفع بشكل مستقيم إلى السماء وتلتهم كل ما تقدر عليه دون أن تمتد إلى الأبنية المجاورة. ولم يتم اكتشاف الجثة بين الأطلال المتفحِّمة إلا في اليوم التالي. فور نزوله من السيارة، فهِم المُشرِف إرلندور سڤاينسون أنه حريق متعمَّد، فالمرء لا يحتاج إلى أن يكون عبقرياً لكي يُدرك ذلك. والأرجح أن مُشعِل الحريق أراد إيصال رسالةٍ، لأنه عُثر على صفيحة بنزين سعتها عشرة ليترات مرمية على العشب المجمَّد في الحديقة في الجهة الخلفية للمنزل. بالكاد انبلج ضوء النهار والدخان لا يزال يتصاعد من الأطلال في برد يناير القارس، ووُضع شريط أصفر حول المحيط، وراح بضعة ضباط من الشرطة يفتّشون بين الرماد.

طلب منهم إرلندور التفتيش جيداً، وسرعان ما وجَد هيكلاً عظمياً متفحِّماً خالياً من أي قطعة لحم وأخذ يتفحّصه بعناية. رأى أن الكرسي الذي كانت الضحية تجلس عليه احترق أيضاً وقد سقط أرضاً على الأرضية التي سوّدتها النيران، وأن الفكّ مفتوح على مصراعيه ومَحجِرَي العينين المجوَّفين يحدِّقان بالسُحُب الداكنة. ولاحَظ فوراً آثار قيود حول الكاحلين والمِعصَمين.

– هل نعرف مَن يعيش هنا؟ سأل زميله من الجنائية، وهو شابّ يدعى سيغوردور أوْلي كان قد تبِعه إلى داخل الأطلال.

– شخص أعزب ومن دون أولاد ويعيش لوحده يدعى هالدور. لقد عاش هنا منذ أن أتى إلى ريكيافيك، وكان يعلِّم في مدرسة ڤيديغردي وتقاعد مؤخراً،

وهو من مواليد عام 1929 في إقليم أرنسيسلا.

– ممتاز. ربما تعرف أيضاً مَن الذي حرقه حياً؟ قال إرلندور ساخراً، فهو شخص مكتئب غالباً عند الصباح.

– لقد أمضيتُ اليوم كله على الهاتف، ردَّ سيغوردور أوْلي. هل أنت متأكد أنها جريمة قتل؟

– أفضِّل أن أعتبرها مأدبة شواء. حسناً، إذا كان هو من الأصل. هل لديك إسم طبيب أسنانه؟

– سأستفسر.

– هل تعرف إن كان لديه أقارب؟

– أختٌ، وفقاً لمدير مدرسة ڤيديغردي. إنها أكبر منه سناً وتعيش في هافنارفيوردور في دار للمسنّين.

– هل أخبرتَها؟

– سأراها لاحقاً. أخبَرني مدير المدرسة أنه تقاعد قبل السنّ القانوني بسنة، فقد بدأ يتقدَّم بالسنّ ويلعب فقط دور بديل للأساتذة الغائبين أو شيء من هذا القبيل، وهذا لم يرق له. وإذا فهِمتُ بشكل صحيح، كان الطلاب يُتعبونه كثيراً، وذات يوم، تحلّقوا حوله وانهالوا عليه بالبُصاق. ربما قرَّر أولئك الأولاد صنع مقلب له ليلة أمس.

– لا أرى سبباً لذلك بما أنه توقف عن التدريس، لكن لا يمكننا استثناء هذا الاحتمال.

راح إرلندور يتفحَّص الأدلة حول الجثة المتفحِّمة بينما حاوَل أن يتكهّن كيفية توزيع الغُرف في المنزل.

– لا يزال من الممكن رؤية آثار القيود هنا، علَّق سيغوردور أوْلي.

– يبدو أنها مصنوعة من مادة معوِّقة للنيران. اطلب من قسم التأمين ضد الحريق أن يرسل لنا خريطة المنزل.

– فعلتُ هذا من قبل، ردَّ سيغوردور أوْلي مسروراً من نفسه. لقد انضم إلى الجنائية مؤخراً، وأصبح شريك إرلندور الذي بدأ يعمل هناك منذ عقود. كان الشابّ يثير كثيراً أعصاب الرجل الأكبر منه سناً، لكنه لم يُعر ذلك اهتماماً، فهو

أيضاً كان في مركز عمله ليلة أمس، لكن خلافاً لإرلندور، لم يعُد إلى منزله. ورغم ذلك فقد بدا أنيقاً ونظيفاً إلى أقصى درجة، وهذا أمر أزعج المُشرِف بشكل كبير.

– في تلك الحالة، لماذا لم تُحضِرها؟ ردّ بحدّة.

– مهلاً لحظة، إنها في السيارة، رَدَّ سيغوردور أوْلي واختفى فوراً بينما تابَع إرلندور فحص المحيط حول الجثة المتفحِّمة، والتي كان جزؤها السفلي مستلقياً على كومة ألواح محروقة بدت أنها بقايا كرسي. يبدو أن ألسنة اللهب كانت أكثر حدّة حول الجثة، وقد احترق باقي المنزل بسرعة كبيرة. لم يكن القاتل بخيلاً بالوقود. وصل المصوِّر الفوتوغرافي، فطلب منه إرلندور أن يتمهل قليلاً قبل أن يلتقط صوره.

أظهرت الخريطة أن الجثة موجودة بين الغرفة الخلفية وغرفة الجلوس، واستنتَج إرلندور أن الرجل حاوَل أن يهرب. كما أظهرت أن المرء يدخل المنزل عبر ردهةٍ صغيرةٍ تمتد على طول غرفة الجلوس، وتوفِّر أيضاً وصولاً إلى المطبخ وإلى غرفة صغيرة أخرى. ولا يوجد سوى قاطع ضيق يفصل المطبخ عن غرفة الجلوس الممتلئة أرضيتها بكمية كبيرة من الزجاج المحطّم بحيث أنه يستحيل أن تكون قد أتت فقط من النوافذ التي تفجَّرت بفعل الحريق. كانت شظايا الزجاج تلك مُغطاة بأشياء بدت أنها أطر متفحِّمة، بعضها معدني وبعضها الآخر خشبي. وصل فريق الأدلة الجنائية للتو، لكنهم لم يجرؤوا على الدخول قبل حصولهم على الضوء الأخضر من إرلندور، فأشار لهم إلى صفيحة البنزين، فرفعوها بعناية ووضعوها في كيس بلاستيكي.

– لم يتصرَّف القاتل بتهوّر، تمتم إرلندور وهو يميل فوق بقايا الجثة، وأنصتَ إليه سيغوردور أوْلي جيداً. لم تكن هناك أي فرصة لكي يهرب هذا الرجل، تابَع المفوَّض كلامه. لكن بما أن هذه جريمةُ قتلٍ، لماذا لم يكن القاتل حريصاً قليلاً أكثر؟ لماذا لم يحاول حتى إخفاء الأدلة؟ لم يكن ذلك ليتطلّب منه جهداً كبيراً. لم أر أبداً شيئاً مماثلاً في حياتي كلها. صفيحة بنزين في مسرح الجريمة!

– بماذا تفكّر؟ سأل سيغوردور أوْلي وهو ينظر إليه.

أشار إرلندور إلى فريق الأدلة الجنائية بأنه يمكنهم الدخول، فدخل ثلاثة رجال

بحذر حاملين حقائبهم وأجهزتهم.

– بالكبرياء، رَدَّ إرلندور.

عاد إلى بقايا الجثة وتأمّل وضعيتها جيداً، متكئةً على قبضتين مشدودتين ممدودتين إلى السماء كما لو أنهما تتحدّيان وحشية طريقة الوفاة هذه. إذا كان هذا هو هالدور فإن عظامه رفيعة ويديه جميلتين، فكّر في سرّه.

– من الأفضل أن ننتظر تقرير فحص الأسنان قبل أن نُخبر أخته، ختم إرلندور كلامه.

مكتبة
t.me/t_pdf

6

يعيش المُشرِف السابق يوهان في شقة في الطابق السفلي على بولفار ميكلابرو حيث ضجة حركة المرور متواصلة والهواء مشبَّع بالتلوّث، لذا ركَّب زجاجاً رُباعي الطبقات لنافذة المطبخ التي تطلّ على هذا الشارع المزدحم جداً في ريكيافيك، لكن لا شيء نفع. في المقابل، كانت أسعار الشقق هناك هي الأدنى في المدينة. وأسوأ ما في الأمر هو خلال المساء والليل عندما يستخدم مجانين الدرّاجات النارية بولفار ميكلابرو كمضمار للسباقات فتصبح الضجة عند حد يُصمّ الآذان. وعبثاً تعتقل الشرطة الدرّاجين لأنهم يعودون دائماً.

يُمضي يوهان معظم وقته في المنزل بعد نهاية مسيرته المهنية وهذا يُشعره بضجر كبير، لكنه مسرور من أنه أفصح عن حقائقه الأربعة لمسؤولي المستشفى. فهذا الرجل الطيب النفس عادة ذهَب إلى مدرائه ووصفهم بالأوغاد، ورمى قبعته التي كانت زرقاء ذات يوم على الأرض غضباً. وها هو يرتديها على رأسه الآن وهو جالس في مطبخه وهناك كوب قهوة في يده، ويراقب پالمي ينزل الدرج. فبعد أن سمِع بالحادث الذي وقع في المستشفى وما حصل لدانيال، كان يتوقَّع زيارةً منه عاجلاً أم آجلاً.

– تفضَّل بالدخول، قال وهو يفتح الباب. لا داعي لأعبِّر لك عن أسفي عما حصل.

– شكراً يا يوهان، رَدَّ پالمي. انتقلا إلى المطبخ حيث كل شيء في مكانه، والأرضية والرفوف نظيفة تماماً، وقدَّم له يوهان كوب قهوة. لقد عاش لوحده دائماً ولديه سُمعة بأنه رجل دقيق جداً، ولطالما انسجم جيداً مع دانيال، إلى حدّ أنه يمكن القول إن المُشرِف عامله كأبٍ منذ لحظة وصوله إلى المستشفى. يوهان رجل طويل القامة ومَهيب، وذو يدين ضخمتين جداً، لكن صوته واضح وودود،

وكل شيء فيه يوحي بالثقة، بما في ذلك مشيته العرجاء قليلاً بما أن إحدى رِجليه أقصر قليلاً من الأخرى.

– أتذكّر أول لقاء لي مع دانيال حيث أقسَمَ أنه لن يبقى في المستشفى لمدة طويلة، قال يوهان وهو يجلس بجانب پالمي. بالطبع أملَتُ أن يكون محقاً، لكنه في النهاية أمضى معظم حياته هناك. يا لها من حياة، ختم المُشرِف السابق كلامه بنبرة حزينة.

– أودّ أن أشكرك على كل ما فعلته له طوال تلك السنوات، رَدَّ پالمي، وأخذ رشفة من قهوته الساخنة.

– أنا مَن يجب أن يكون ممنوناً أكثر، فهذه الصداقة أعطتني أكثر بكثير مما أعطت دانيال، وقد استمتَعتُ بها كثيراً. وأنا أمضي وقتي الآن في إخبار نفسي أنني لو لم أتلقَ صفعة من هذا المستشفى، لربما تمكّنتُ من مساعدته في أيامه الأخيرة. أتمنّى أيضاً لو أستطعتُ أن أودّعه، وقد فكّرتُ بالذهاب إلى هناك، لكنني لم أفعل ذلك، فقد غادرت ذلك المكان نهائياً ولن أعود إليه.

– لماذا تركت المستشفى؟

– ذلك المستشفى فضيحة حقيقية، وهذا بدأ منذ سنواتٍ. وغالباً ما ذهبتُ لأتكلّم عن ذلك مع الممرّضين، وكانوا يجيبونني كل مرة أن الأزمة هي السبب وأن القطاع العام مضطر إلى توفير المال. وقد اعترَضتُ قائلاً إنني مُشرِف هنا منذ سنوات وقد مرّت عليَّ أكثر من أزمة واحدة، لكن الحالة لم تكن مريعة إلى هذا الحد أبداً. ببساطة لا يوجد أحد هناك ليعتني بالمرضى، ولا يملك المُشرِفون التدريب الضروري لذلك، وأصبح لديَّ انطباع بأن الممرّضين فقدوا صوابهم بالكامل، ولم أتردَّد بإخبار المدير وكل أولئك الذين أرادوا سماعي في المكاتب.

– لكنهم لم يصغوا لك.

– لقد قرِفتُ من كل شيء يا پالمي، ولم تعد لديَّ القوة لأعمل هناك.

– متى رأيت دانيال لآخر مرة؟

– يوم رحيلي، أي منذ أسبوع فقط، حيث أمضيتُ بعض الوقت أدردش معه في غرفته.

– هل تغيَّر مؤخراً؟

– نعم. يمكنك القول إنه راح يتصرَّف مثل كل مرة يتوقف فيها عن أخذ دوائه. قد يكون هذا مفاجئاً، لكنه يصبح أكثر هدوءاً ويمكننا أن نتناقش لساعاتٍ بسلام تام. لذا تولَّد لديّ انطباع بأن كل تلك العلاجات لم تنفعه أبداً، وأنا لا أثق بالأدوية ولا أهتم إن رفَض أخذ حبوبه، لأن هذا يعني دائماً أرباحاً أقل في جيوب تجّار الأدوية، لكن ربما كانت تلك الأدوية تفيده، لا أعرف. على كل حال، من المذهل رؤية كمية الأدوية التي يمكن إعطاؤها لأولئك المرضى، وهذا ليس شيئاً جديداً، فنحن نحشوهم بحبوب من كل الأصناف والألوان والأحجام. هل تعرف لماذا؟ لأن المستشفيات لا تملك الوسائل لتقترح علاجات أخرى غير الأدوية. لقد جرى تقليص أعداد الموظفين، ولمنع اندلاع فوضى، وجب إبقاء المرضى فاقدي الوعي. أولئك الأشرار غير قادرين على دفع رواتب محترمة للعمّال، ومع ذلك يتبرَّعون بمئات الملايين لقطاع الأدوية كل سنة. لقد عمِلتُ هناك لسنوات ورأيتُ المرضى يلتهمون أطناناً من ذلك الهُراء. ثم نرسلهم إلى منازلهم بغض النظر عن حالتهم، ثم يعودون إلينا في حالة أسوأ حتى.

– المفاجئ هو أن دانيال تلقى عدة زيارات خلال الأسابيع القليلة الماضية، وكنتُ الوحيد الذي يزوره طوال سنوات. هل يمكنك أن تُخبِرني بالمزيد؟ لأن زيارات ذلك الرجل غير مدوَّنة في سجلات المستشفى.

– كان أستاذه السابق، وأظن أنه يدعى هالدور. إنه رجل غريب قليلاً، ومريض ومراوغ. ويبدو لي أنه زاره ثلاث مرات.

– ماذا يمكن أن يريد منه؟ دانيال لم يخبرني عنه أبداً، وقد تفاجأتُ عندما ذكره لي زملاؤك ليلة أمس.

– كان لحضوره تأثيرٌ مضحكٌ على داني. أتذكَّر زيارته الأولى حيث طرده داني من غرفته وطلب منه عدم العودة أبداً. لم يغضب، بل أخبَره بأن يخرج فحسب. لا أعرف عما تكلّما، وعندما سألتُ أخاك، رفَض إخباري.

– ولم يشرح لك أي شيء بعد ذلك؟

– لا.

– كيف عرفت أنه أستاذه القديم؟

– دانيال أخبَرني. فقد عاد ذلك الرجل لزيارته بعد أسبوع، وتمكّن من إقناعه

بأن يتحدّث معه، وبقيا يدردشان لفترة طويلة. وعندما سألتُ داني عما تكلّما، لزم صمت القبور. لكنه كان يعتبرني كاتم أسراره، وكنتُ أعرف أفكاره، وشهِدتُ نوبات غضبه. على كل حال، هناك شيء واحد أكيد هو أن ما أخبَره إياه ذلك الرجل أزعجه.

– أزعجه؟ بأي معنى؟

– أنت تعرف طبيعة داني. ثرثار وودود، ويمكنه أن يتحوَّل بلمح البصر إلى وغد حقيقي فيبدأ بالصياح، وبالسخرية من أي شخص، ولا يعود يطيق رؤية أي شخص، ويقول كل شيء يتبادر إلى ذهنه. لكنه أصبح صامتاً تماماً في تلك المرة، ومن المستحيل أن تنتزع ولو كلمة منه. راح يتحوَّل في المستشفى غارقاً في تفكير عميق، ودون أن يتكلّم مع أي شخص.

– وهذا السلوك مرتبط بزيارات ذلك الرجل؟

– ليس بالضرورة. داني شخص لا يمكن توقّع تصرّفاته.

– أخبَرني زملاؤك وبقية المُشرِفين الشيء نفسه، بأنه أصبح منصاعاً أكثر، لكنهم خلافاً لك، كانوا سعداء بذلك.

– نحن لا نرى الأمور من نفس الزاوية دائماً.

– أخبَرني إيليه أنه سمِعهما يتكلّمان عن كبسولات زيت كبد القد. هل يذكّرك هذا بشيء؟

– حسناً، هذا هو إيليه. كل شيء ممكن، لكنني لا أعرف المزيد.

– عما تكلّمتَ مع دانيال عندما رأيتَه لآخر مرة؟

– ليس الكثير. أنت تعرف نظريته بأنه طُرد من السماوات، وقصة المذنّب الذي تفتّت في الغلاف الجوي والذي سيكون برهانه. لقد أخبَرني أنه ليس الوحيد الذي عاش في السماوات، وأن أصدقاءه القدامى موجودون هناك أيضاً. هذا كل شيء.

– أخبَرني الشيء نفسه، لكنني لم أفهم قصده.

– العلاجات تشوّه شخصيات المرضى، ولا أعتقد أنني عرَفتُ دانيال الحقيقي في المستشفى، لكنني عرَفتُه أفضل من أي شخص ما عداك. داني الذي صادقتُه طوال تلك السنوات كان في الواقع مخلوقاً كيميائياً، شخصاً أخصاه قطاع الأدوية.

وأظن أنني لم أعرف شخصيته الحقيقية أبداً رغم كل ذلك الوقت الذي أمضيتُه معه، وهذا أمر مؤلم جداً. كنتُ أشعر أحياناً أنني ألمح نظرة خاطفة عنه خلف كل ذلك الضباب العلاجي، وأشعر أنه يظهر لي على حقيقته، لكن ربما كان ذلك مجرد خيالي. على كل حال، أنا مُقتنِع أن دانيال في أعماقه كان فتى جميلاً ورائعاً.

– بالكاد لديّ أي ذكريات عنه قبل مرضه، رَدَّ بالمي بحزن.

أمضى الرجلان وقتاً طويلاً في المطبخ، حيث يمكن سماع هدير السيارات رغم الزجاج الرُباعي الطبقات. حصل ذلك في بداية اليوم، وحركة المرور الصباحية في ذروتها، والزئير المتواصل للمحرِّكات يضجّ الهواء، وسحابة تلوّث مصفَرّة تُطبق على أنفاس المدينة حالما تهدأ الرياح. لم تهبّ أي رياح منذ عدة أيام، والسحابة راكدة على الأسفلت.

7

ذهب إرلندور وسيغوردور أوْلي إلى هافنارفيوردور لإبلاغ أخت هالدور سڤافارسون عن وفاة أخيها. لقد انتهت موجة البرد وتلاها بعض الدفء جعل الثلج يذوب في الشوارع ويمتزج بالملح وغبار القطران مما شكّل وحولاً رطبةً وباردةً تلتصق بالأحذية وتوسّخ السيارات والشقق. حالما تنخفض الحرارة تحت الصفر من جديد، سيتحوّل ذلك الطين إلى رُكام ثلجي قذر وجليد. تكلّم الشرطيان قليلاً خلال الرحلة فقد كانا غارقين في أفكارهما، بعد أن أكّد فحص الأسنان أن المتوفى هو هالدور سڤافارسون، وأشارت التحقيقات الأولية إلى أن الحادث حريق متعمَّد، لكن لم يُعثَر على أي بصمات على صفيحة الوقود. إرلندور الأقدم بين زملائه، وقد حقّق في جرائم وجنح كثيرة، فقد بقي أعضاء الجنائية لفترة طويلة غير موزّعين على اختصاصات محدَّدة، تماماً مثلما أن ضباط الشرطة يتعاطون مع كل أصناف الحالات. لكن الأمور تغيَّرت هذه الأيام وأصبح للجميع تخصّصهم، ما عدا إرلندور الذي بقي حراً في التحقيق بأي شيء يريده، فلديه باع طويل في الشرطة، وحتى أطول بكثير من رؤسائه.

إرلندور صارمٌ قليلاً في طرقه أحياناً، وسيغوردور أوْلي يعرف ذلك جيداً، لكنهما ينسجمان معاً بشكل جيد.

– مَن ارتكب هذه الجريمة وغدٌ وقِحٌ، قال إرلندور كاسراً الصمت. ولن أتفاجأ إذا تبيَّن أن أحد الأولاد في المدرسة صفّى حسابه مع الأستاذ القديم.

– إلا إذا أرادنا القاتل أن نصدِّق أنها عمل هاوٍ، رَدَّ سيغوردور أوْلي. هل تستبعد احتمال أن تكون الضحية قد أشعلت النار في نفسها؟

– كيف تتوقع أن يتمكّن الرجل المسكين من إشعال عود ثقاب وهو مقيَّد على ذلك الكرسي؟

– ربما كانت معه ولاّعة في يده ورماها أرضاً. كيف يمكننا أن نجزم؟

– أشكّ كثيراً أن يرغب أي شخص بأن يموت بهكذا طريقة شنيعة، ردَّ إرلندور. هل سمِعت عن ذلك الشابّ الذي رمى نفسه من النافذة في مستشفى الأمراض النفسية؟ يبدو لي أن أينار يتولى القضية. لقد حصَل ذلك في نفس توقيت اشتعال منزل هالدور.

– *إذاً؟*

– *إذاً؟* ما هذه *إذاً* التي نسمعها طوال الوقت؟ هل أصبحتَ تتكلَّم مثل الأميركيين الآن؟ قال إرلندور وهو ينظر إلى زميله منزعجاً. شعرتُ فقط أنها صُدفة غريبة أن تقع وفاتان في الوقت نفسه.

– عمليات الانتحار تحصل دائماً، قال سيغوردور أوْلي معلِّقاً.

تابَعا القيادة بصمت في هذا الوقت المُبكر من بعد الظهر والشمس تغرب من قبل، وسيحلّ الليل قريباً. كان الراديو يذيع عن المحاولات الجديدة للعلماء الاسكتلنديين لاستنساخ خروفٍ، وهي اختبارات وجَدها إرلندور دنيئة حقاً ولطالما انتقَدها كثيراً في المخفر، بينما اعتبر زملاء آخرون الاستنساخ تطوّراً علمياً مهماً وكانوا سعداء به، وسيغوردور أوْلي أحدهم.

– كم هذا مريع، تمتم إرلندور. يا لشناعة التدخّل هكذا في عمل الطبيعة!

– قرأتُ في مكان ما أنهم يريدون إنتاج خِراف لديها دم بشري أو شيء من هذا القبيل، وأيضاً غنم بقلوب بشرية.

– يا للجنون! صاح إرلندور. هؤلاء الأشخاص لا يحترمون شيئاً.

– هذا ما يبدو، وافَقه سيغوردور أوْلي مع ابتسامة صغيرة.

دار المسنّين هو أكبر مبنى في بلدة هافنارفيوردور، وكل طابق يضم عشر شقق، وقد سكن فيها كبار السنّ الصغار بعد أن باعهم إياها مقاولون بسعر باهظ مقابل خدمات أمنية مخفَّضة وبوّابٍ لم يره أحدٌ في حياته. العديد منهم ترك منزله الكبير ليأتي ويقيم في شقة ضيقة في هذا المبنى. لا شكّ أنه كانت لديهم رغبة عارمة بلعب البيلوت، إلا إذا أتوا إلى هنا على أمل أن يحظوا ببعض المضاجعة، فكّر إرلندور في سرّه.

ركبا المصعد إلى الطابق العاشر ورنّا جرس باب مدوَّن عليه هيلينا

سڤاڤارسدوتير، ففتحته جزئياً امرأة مسنّة صغيرة الحجم ونحيلة جداً وذات وجه مُجعَّد جداً، وبقيت تحدِّق فيهما للحظة بعينيها الصغيرتين الثاقبتين من خلف السلسلة التي تسدّ المدخل. يمكن أن تكون في الثمانين أو التسعين من عمرها، فكّر سيغوردور أوْلي في سرّه.

– هيلينا... سڤاڤارسدوتير؟ سأل إرلندور وهو يقرأ الإسم على الملصق.

– بشحمها ولحمها. مَن أنتما؟

– نحن من الجنائية. أنا إرلندور وهذا زميلي سيغوردور أوْلي. نريد أن نطرح عليك بعض الأسئلة عن أخيك هالدور سڤاڤارسون.

– إنه أخي غير الشقيق، صحّحت. ماذا حصل له؟

– ربما يمكننا الدخول للحظات، اقترح سيغوردور أوْلي.

– لا، لا أعتقد.

– لقد أتينا لنُخبرك أن أخاك، أو أخاك غير الشقيق، تُوفِّي، قال إرلندور.

بقيت العجوزة تراقبهما لبضع لحظات ثم أغلقت الباب. تبادَل الرجلان نظرةً وسمِعاها تفكّ السلسلة، وفُتح الباب مرة أخرى، ودعتهما هيلينا للدخول، وسارت بمساعدة عكّاز. الجو حار جداً في شقتها الصغيرة جداً، لذا خلع إرلندور وسيغوردور أوْلي معطفيهما السميكين. على يمين المدخل، هناك مطبخ صغير مجهَّز بلوحَي تسخين وفرن وسطح عمل، وقد تم وصل غرفة الطعام الصغيرة بغرفة جلوس صغيرة تحتوي على أريكة وكرسيين قديمين بحالة جيدة، وزُيّنَت الجدران بصور عائلية شكّلت الديكور الوحيد بالإضافة إلى رسم بالفحم يُظهر شابةً في إطار جميل معلّق فوق الأريكة، واعتقَد إرلندور أنه قرأ توقيع كجارڤال عليه. وعلى يسار المدخل، هناك حمّام صغير فيه دُش بجانب غرفة النوم مباشرة، وساعة قديمة تراقب مرور الوقت، والرقّاص داخلها يعدّ الثواني. كم دفعت العجوزة ثمن هذا الصندوق الصغير؟ تساءل إرلندور وهو يتأمل الشقة، لكنه فضّل أن يبقى صامتاً. بدا له أن خبر موت هالدور بالكاد أثّر على هيلينا.

– هل رأيتما البوّاب؟ سألت. لا شيء يعمل بشكل صحيح في حفرة الجرذان هذه، وأنا أحاول الاتصال به منذ يومين. لا أحد من جيراني في هذا الطابق رآه، وكلما أتصل أجد رقمه مشغولاً.

– البوّاب؟ لا، لا أعتقد، ردَّ سيغوردور أوْلي وهو يعرف جيداً أنه لن يعرفه حتى ولو التقى به وجهاً لوجه.

– يا للخدمة الكارثية في هذا المبنى اللعين! لقد وعدونا بعجائب ولم يتحقّق شيء! كما أنهم يخطّطون لتقليل عدد أمسيات البيلوت! قالت هيلينا دون أن تُظهر أي اهتمام لما حصل لأخيها.

– تُوفِّي هالدور في حريق ليلة أمس ونعتقد أنه عمل جرمي. هل تعرفين إن كان لديه أي أعداء؟ سأل إرلندور وهو يبتسم في سرّه رغم خطورة الموقف.

– لا أعداء، ما عدا ربما الأولاد السفلة في تلك المدرسة، رَدَّت هيلينا. لقد جعلوا هالدور المسكين يذوق الويل. كانوا دنيئين معه. هذا هو حال شباب اليوم، كلهم مخبولون تقريباً. خذوا مثلاً جاريتي جوهانا التي سُرق جزدانها من أمام المبنى منذ يومين فقط على يد أولئك الوحوش! وقد أوقعوها أرضاً في الشارع، ولم تصل قوى الأمن إلا بعد ساعتين. لم يتجاوب زملاؤكما الشرطة مع نداء استغاثتنا مدّعين أن أمن المبنى سيهتمّ بالمسألة. أمن المبنى! هل ترى هذا الجهاز وهذا السلك، إنه الخط المباشر. لكن المشكلة هي أن هذا الشيء معطَّل دائماً، ولا مجال لأن يصعد البوّاب إلى هنا لإصلاحه.

– متى رأيتِ هالدور لآخر مرة؟ سأل سيغوردور أوْلي وقد انزعج من ثرثرة العجوزة، خلافاً لإرلندور.

– تكلَّمتُ معه على الهاتف البارحة.

– ماذا أخبرك؟

– هو مَن اتصل بي، ونادراً ما يفعل ذلك، ولم أكن أفضل منه في البقاء على تواصل معه. لم نكن مقرَّبين من بعضنا أبداً، وهذا ليس مفاجئاً، فقد وُلدت في ريكيافيك وهو وُلد في إقليم أرنسيسلا. أنا في الرابعة والثمانين، وهو في السادسة والستين، أو كان في السادسة والستين. كنا مجموعة أخوة غير أشقاء وأخوات غير شقيقات من جيلي، لكنهم ماتوا كلهم، ولطالما ظننتُ أن هالدور سيكون آخر مَن يموت، والآن هذا الأمر يقع على عاتقي. أظن أن سفاقار العجوز كان في ستيناته عندما وُلد. كان أبي من طالبي المتعة، ويعرف كيف يستمتع بالحياة، وقد جَعَل عدة نساء سعيدات في حياته، ما عدا أمي. لديه على الأرجح عدة أولاد

في كل أنحاء آيسلندا. كان يعشق الأحصنة و...

– لماذا اتصل بك هالدور؟ قاطعها سيغوردور أوْلي، فرمقه إرلندور موبِّخاً.

– ما هذه الأخلاق؟ ردَّت هيلينا بغضب وهي تحدِّق بالشرطي اليافع.

– أكملي، قال إرلندور مُلحّاً. هل قلتِ إن سڤاڤار كان يعشق الأحصنة؟

– بالفعل، قد لا يكون هذا مهماً. على كل حال، لم تكن لديه أي علاقة بهالدور، فقد كان الصغير في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة عندما مات أبوه، ولم تبقَ أمه على اتصال به، فقد ماتت قبله. كانت غريبة الأطوار قليلاً. لم يُخبرني هالدور عن ذلك أبداً، لكنني أصبحتُ مُقتنِعة أكثر فأكثر أنها كانت معوَّقة.

– تقصدين والدة هالدور؟ سأل إرلندور متحققاً.

– نعم. أو لنقل أنها ساذجة. كانت معتادة أن تتجوَّل من مزرعة إلى أخرى في أرجاء سيلفوس، وأعتقد أنها اختبرت عدة أمور إذا فهمتَ قصدي.

– تقصدين أنها...

– أقصد ما أقصده. لقد صادفَت بضعة أشخاص غير شرفاء، ورغم أن ذلك لم يُذكَر أبداً، إلا أنه لا يمكننا استبعاد احتمال أن هالدور لم يكن إبن أبي. لا أعرف. كان هالدور يعاني من بضع مشاكل، وقد لجأ إليَّ عند وفاة أمه، وشجَّعته على أن يتسجّل في كلّية التربية، لكنني لم ألاحظ أبداً أي شبه بينه وبين أبي.

– كيف ماتت أمه؟ سأل سيغوردور أوْلي.

– انتهى بها الأمر أن انتقلت إلى ريكيافيك ووجدت نفسها، مثلما كانوا يقولون في ذلك الوقت، في نفس الحالة حالما وطأ الإنكليز تراب آيسلندا. عُثر عليها مجمَّدة حتى الموت أمام الثكنات العسكرية في نهاية الحرب.

– وماذا حصل لهالدور؟ سأل إرلندور.

– تبَعها إلى ريكيافيك وعاش لوحده معظم الأوقات، فقد كان قد أصبح كبيراً كفاية، وتابَع استئجار شقة أمه الصغيرة بينما عمِل كعامل. عرَف أن لديه نصف أشقاء، فاتصَل بي، وساعَدتُه بقدر ما أستطيع. لم يكن هذا الفتى أحمق، وأردتُه أن يُكمل دراسته، وهو مَن اختار دخول كلّية التربية، وأعتقد أنه كان أستاذاً ممتازاً. وفي أعماقه، كان رجلاً طيباً.

سكتت هيلينا قليلاً، وساد صمتٌ بالكاد خرقته تكتكات الساعة القديمة.

– هناك شيء يجب أن تعرفاه عن هالدور، قالت. لم يُطلعني عليه إلا مؤخراً، ومن الواضح أنه لم يكن ليُخبرني عنه لو لم يحصل شيء في المدرسة منذ سنوات. لا أعرف طبيعة ذلك الحدث، لكنه أقلقه كثيراً.

– ما هو؟ سأل إرلندور.

– هل ترى هذا الرسم خلفي؟ استأنفت هيلينا كلامها مغيِّرةً الحديث فجأة كما لو أنها خشيت أن تكون قد قالت الكثير أو كشفت تفصيلاً لم ترغبه أن يتطوَّر، أو ربما أرادت أن تنسى كل شيء ببساطة. إنه بورتريه لي رسمه كجارڤال في لحظات، ولم يحتج إلى أكثر من بضع شطبات لتدبّ الحياة على الورقة. إنه الشيء الوحيد الذي أحتفظ به. كنتُ أعمل في ثينغفيلير، وكان يأتي أحياناً ليحتسي القهوة ويدردش معنا نحن الفتيات في الفندق. كان لطيفاً جداً، ويقول عنه الجميع إنه غريب، لكنني لم ألتقي أبداً بأي شخص عاقل وذكي مثله. رسَمنا كلنا وأعطانا تلك الرسوم قائلاً إننا كنا أقزامه الصغار في حقول الحِمم. يا له من رجل طيب.

– كان كجارڤال عبقرياً، وافقها إرلندور الرأي وهو ينظر إلى الرسم التمهيدي. ماذا كنتِ ستُخبريننا عن هالدور؟

نظَرَت هيلينا إلى الشرطيين الواحد تلو الآخر كما لو أنها لم تعرف ما إذا كانت ستُكمل هذا الحديث أو تطلب منهما تركها وشأنها، وساد صمتٌ في الشقة مرة أخرى. راح إرلندور وسيغوردور أوْلي يراقبانها أيضاً، وقد خنقتهما الحرارة العالية.

– كلَّمني عن ذلك مرة واحدة فقط، قالت هيلينا ببطء، لكنه تعرَّض لسوء المعاملة في طفولته. إنني أتكلَّم عن سوء معاملة ذات طبيعة جنسية. راحت تحدِّق بهما بعينيها الصغيرتين الثاقبتين اللتين ضاقتا تدريجياً إلى تكشيرة ألم.

– هيلينا، قال إرلندور بلطف. ماذا أراد هالدور؟ ومتى اتصل بك؟

أخرجت العجوزة منديلاً من مئزرها ووضعته على عينيها، ولم يعد يُسمَع شيء إلا تكتكة الساعة.

– اتصل بي في المساء ليُخبرني أن الأمر انتهى أخيراً، أنه فعل ما أراد أن يفعله وأنه وجَد الطمأنينة أخيراً. ثم ودَّعني.

– هل تعرفين ماذا قصد؟

– ليست لديَّ أي فكرة.

8

أمضى پالمي اليوم في مكتبته في شارع لوغافيغور. يناير شهرٌ ميتٌ للتجّار، واليوم هادئ جداً، لذا أرسَل بائعته اليافعة إلى منزلها حوالي الظهر. إنها طالبة أدب في الجامعة وتقرأ أي شيء تقع يدها عليه. كان پالمي قد نشر إعلاناً عن حاجته إلى موظف بدوام جزئي، وتقدَّم كُثُر إلى الوظيفة، لكنه فضَّل أن يوظِّف هذه الشابّة لأنها فاجأته: فبدلاً من أن تُبرز إمكانياتها، أخذت كتاباً من المتجر وسألته إن كان يقبل أن تقرأ له بضع صفحات بصوتٍ عالٍ.

بدأ پالمي هواية تجميع الكتب منذ أيام المدرسة الثانوية، ولطالما كان مثل أمه شغوفاً بقراءة أي شيء يعثر عليه، لكن حبّه للأدب أصبح في مراهقته شغفه الحقيقي الوحيد ولا يزال هكذا حتى هذا اليوم. لديه قلّة من الأصدقاء، ولم يفعل أي شيء ليخفّف حدّة وحدته. أما بالنسبة للنساء، فهنّ برأيه جبال لا تُقهَر، وكانت لديه صديقتان في الثانوية، دَرَستا الطب لاحقاً وسافرتا للتخصّص في الخارج منذ عدة سنوات. بقي يراهما كلما عادتا لزيارة آيسلندا، لكنهما بدأتا على مر السنوات تبدوان كغريبتين أكثر من آيسلنديتين، فأصبحتا تتكلَّمان كسائحتين، وتشتكيان من الأسعار المرتفعة جداً والطقس السيئ، ثم تسافران من جديد. شَعَر پالمي بالحزن عليهما، لكن ذلك لم يمنعه من أن يستمتع متعةً مَلَكيةً معهما كلما التقوا. لا يمكنه قول الكثير عن علاقاته الغرامية، فأطول علاقة دامت ستة أشهر، وهو يتساءل أحياناً إن كان وجود دانيال في حياته يفسّر فشله في الحبّ، لكن ذلك بدا له غير محتمل لأن مسؤولية أخيه في هذه المسألة غير مباشرة تماماً. فوفقاً له، يجب أن يشكِّل ذلك تأكيداً لانعدام الجاذبية لديه، فهو شخص منعزِل كرَّس حياته للمطالعة وبدأ شعره يخفّ منذ أن كان في العشرين، لكنه لا يفتقر لطيب الحديث أو للفكاهة وفقاً لكل الذين عرَفوه بشكل جيد بما

فيه الكفاية.

بينما كان زملاؤه من المدرسة يلتقون زوجاتهم المستقبلية، وينجبون أولاداً، ويتابعون تحصيلهم العلمي، ويشترون شققاً، ويراكمون ديوناً، ويتحضَّرون لحياتهم المهنية، كان پالمي يمضي وقته في القراءة. تسجَّل في مادة الأدب في الجامعة، لكنه وجد الحصص مُضجرة، فتحوّل إلى التاريخ الذي لاءمه أكثر. كانت قد تراكمت لديه كمية لا بأس بها من الكتب في ذلك الوقت، وفكرة أن يصبح بائع كتب مستعملة خطرت بباله عندما لاحَظ أن تشكيلته متنوِّعة مثل تشكيلة بائع الكتب المستعملة الذي يشتري منه. لذا نشأت لديه تجارة صغيرة في مقاطعة ثينغهولت، ثم اغتنم فرصة إفلاس متجر ثياب فاخرة في شارع لوغافيغور خلال أزمة 1990، فاشتراه ليبيع فيه كتباً بدلاً من ملابس باهظة الثمن. هذا أمر جيد للصالح العام، صاح يوهان عندما أطلعه پالمي على الخبر. ازدهرت أعماله بسرعة وأصبح قادراً على تحمّل كلفة توظيف طالبة الأدب اليافعة تلك، والأهم من ذلك أنه أصبح قادراً على أن يخصّص بعض الوقت لعمله كمؤرِّخ. نشَر مقالات في مجلتَي سكيرنر وأندفاري، وركَّزت أبحاثه على الرحلات التي قام بها الآيسلنديون المقيمون في غرينلاند إلى أميركا في نهاية القرن العاشر. وعمِل لبعض الوقت على كتاب كامل عن غودريدور ثوربيارنردوتير، والدة سْنورّي ثورفنسون، أول ولد أبيض يُولد على الأرض الأميركية. اكتسب پالمي سُمعةً بأنه باحث شديد التدقيق وحريص، ولا يحبّذ كثيراً الصيغ الجازمة. تميَّزت كل حياته باهتمامه وجديته بكل شيء، وبرفضه الحاضر. فهو لا يملك تلفزيوناً لأنه يهدِّد بالتأثير على الوقت الذي يكرِّسه للكتب، ولا يملك حاسوباً لأنه لم يفهم فائدة هكذا جهاز ولا الإمكانات التي يقدِّمها، ولم تخطر بباله فكرة استكشافها. كان يكتب مقالاته بخط يده ثم يطبعها على الآلة الكاتبة.

لوحده في مكتبة كتبه المستعملة، راح يفكِّر بما أخبَره إياه يوهان عن دانيال، وعن حقيقة أنه لم يعرف أبداً شخصيته الحقيقية التي تبدَّلت بفعل العلاجات. لكن الأمر لم يختلف عنده، فقد عرَف أخاه طوال حياته، رغم أنه بقي لغزاً بالنسبة له. غالباً ما يتذكَّره كمشكلةٍ وكرجلٍ خطيرٍ جداً. يتذكَّره يصرخ بكل قوته عند منتصف الليل أمام مبناهم دون أي سبب وإلى ما لا نهاية إلى أن يفقد

أحد جيرانهم صبره ويتصل بالشرطة.

تذكَّر كل تلك الزيارات إلى المستشفى، وكل رحلاته مع أمه في الحافلة لرؤيته. في ذاكرته، كان الجو بارداً باستمرار، وكان الشتاء والليل دائماً، وأضواء المدينة تتراقص على نوافذ الحافلة المُغطاة بالصقيع، والبخار يتصاعد من ملابس الركاب الرطبة ورائحتها اللاذعة تملأ مِنخَريه. كانا يضطران إلى أن يستقلا حافلتين للوصول إلى المستشفى، والرحلة تستغرق أكثر من ساعة أحياناً. تذكَّر معطف أمه السميك وحذاءها الشتوي الكبير والرخيص. لم يكونوا أغنياء، لكن بالمي لم يكترث لذلك. وعندما يكون الطقس بارداً، تُلبسه أمه كنزة دافئة والسترة الوحيدة التي يملكها، وتضع على رأسه قبعته الصوفية التي تسبّب له الحكاك والتي يُمضي وقته في تعديل وضعيتها. تذكَّر صوت خُطى سيرهما من محطة الحافلات إلى المستشفى، وزعيق قدميهما على الثلج المجمَّد وتردُّد صدى الجليد في سكون ليل الشتاء.

كان المبنى أجمل في ذلك الوقت فلم تكن هناك قضبان على النوافذ بعد، والمنتزه يخضع لصيانة دورية، والزينة تملأ الأشجار الكبيرة في فترة احتفال الشتاء. لقد مرَّ دانيال عبر كل أقسام هذا المستشفى، وصدَف أحياناً أن مُنِع وأمه من رؤيته، بينما وجداه في أحيان أخرى ينتظرهما في الغرفة الصغيرة المخصصة للزيارات. على حد ما يذكُر بالمي، كان دانيال يرتدي دائماً قمصاناً بيضاء رثّة والتي لديه عدد كبير منها، حيث يغسلها بنفسه، ويُمضي ساعات في كيّها وطيّها، ويغيِّرها كل يوم.

شكَّلت الزيارات جزءاً من الحياة اليومية للعائلة. يبقى دانيال هادئاً أحياناً، ويستمع بصمت إلى أمه تروي له الأحداث الصغيرة التي طبعت حياته وحياة أخيه الصغير، بينما يبدو في أوقات أخرى كما لو أنه يجلس على جمرٍ، فيبدأ السير ذهاباً وإياباً في الغرفة وهو يدخِّن سيجارة تلو الأخرى، ويتكلّم بلا هوادة، وينتقل من موضوع إلى آخر بشكل عشوائي، ويلوِّح بأصابعه الصفراء من التبغ التي غالباً ما حملت آثار حروق بما أنه يدخِّن سجائره وصولاً حتى الفلتر دون حتى أن يشعر بذلك. تظهر على ذقنه أحياناً لحية عمرها يومان، بينما يتركها تنمو أحياناً أخرى. يحلق رأسه بالكامل أحياناً، بينما يدع شعره أحياناً أخرى

ينمو إلى أن يشكّل عُفرة كثيفة شقراء تتهدّل فوق كتفَيه. كان ذات يوم شاباً وسيماً مفتول العضلات، لكن ظهره تحدّب وأصبح يسير مُحنياً رأسه إلى الأمام قليلاً، والأهم من ذلك هو أن عضلاته ذابت بعد سنواتٍ من كثرة الجلوس وعدم القيام بأي نشاط، وبعد أن أصبح نحيلاً كمسمارٍ، لم تعد لديه أي قوة في ذراعيه أو رِجليه. سبَّب له تدخينه المُفرط سعالاً سيئاً، وكانت بشرته تبدو شاحبة في منتصف الشتاء وتكاد توازي بياض قمصانه. مع تقدّمه في السنّ، أصبحت العضلات في وجهه أنعم وأشبه بفارغة من أي مادة. وبعد أن فقد وقاره وطاقته، أصبحت التعابير على وجهه فاترة وبلا حيوية، وكان لظلمة الشتاء الأبدية تأثيرٌ كارثيٌ عليه، فبدأ مع مرور الوقت يعاني من نوبات عصبية تجعله يمدّ لسانه ويهزّ رأسه بدون أي سبب. وعندما يستقبل زوّاراً، لا يقوم بأي ردّة فعل أحياناً بل يكتفي بالتمايل على كرسيه، وتتوه نظراته في وعيه المتداعي.

إذا أُبقي عليه في غرفته، لا يُسمَح لأمه وأخيه الصغير برؤيته رغم رحلتهما الطويلة. في تلك الحالة، يستقبلهما أحد الأطباء الكُثُر الذين عالجوه على مر السنوات في مكتبه ويزوّدهما ببعض الشروح القليلة. في أغلب الأحيان، عندما يكون يوهان مناوِباً، يأتي إليهما ويشرح لهما الأمور بدقة، ويُمضي وقتاً معهما، ويقوّي عزيمتهما حيث أن الأطباء لطالما اعتبروا حالة دانيال غير قابلة للشفاء.

– بدأنا علاجاً جديداً منذ ثلاثة أسابيع قد يجعله عنيفاً في البدء، لكن حاله ستتحسَّن، أخبَرهما أحدهم، وكان قد بدأ العمل في المستشفى منذ بضعة أشهر فقط.

– وأوقفتم الأدوية القديمة؟ سألت أمه متفاجئةً، فقد كانت حاله أفضل بكثير منذ بعض الوقت.

– لم تُحدث التأثير الذي كنا نتوقّعه، ردَّ الطبيب النفسي.

– أتساءل أحياناً إن لم يكن داني حقل تجارب لأدويتكم اللعينة.

– لا يمكنك قول ذلك على الإطلاق! العلاجات تتطوَّر باستمرار، وصدِّقيني أننا نبذل جهدنا لنجد أنسب علاج له. وهي ليست رخيصة أبداً، بل تكلّف الدولة ودافعي الضرائب الكثير من المال.

– هل يمكننا أن نأمل أن ينجح أحدها بشفاء إبني؟

– لا يوجد أي علاج للفُصام.

– لا أفهم شيئاً. كان صغيري داني طبيعياً ثم بدأ فجأة يحتسي الشراب ويتعاطى المخدرات. لقد تحوَّل إلى وحش ولم أعد أتعرَّف عليه.

بقي الوضع على هذه الحال لسنوات، حيث يأتي أطباء جدد ويرحلون، وطرق العلاج تتوالى، وبقي دانيال في المستشفى يتقدَّم بالسنّ ويذبل شيئاً فشيئاً مثل أوراق الشجر في الخريف. بدت بعض العلاجات نافعة، فتدبّ فيه الحياة وتنحسر الكآبة، لكنه يغرق في حالةٍ من الزهو في نهاية المطاف. لم تعرف حالته النفسية أي توازن، فإما يكون في قمة الابتهاج أو في قعر اليأس.

كان لدى پالمي في طفولته سبب وجيه ليرفض زيارة أخيه، فهذا المبنى الكبير والمرضى الذين يقطنونه يخيفونه، لكن داني يخيفه أكثر، إلا أن أمه تصرّ عليه أن يرافقها كل مرة ولم تكن لديه أي طريقة ليرفض ذلك. لكنه أصبح يتوقف عند الباب من وقت لآخر خلال سنوات مراهقته وينتظرها أن تُنهي زيارتها. وعندما يدخل المستشفى معها، يبقى في حُضنها ولا يقول الكثير، ودانيال لا يعيره انتباهه في أغلب الأحيان، لكن يصدف أيضاً أن يُظهر له حناناً مدهشاً ويبدأ بمعانقته. كان پالمي يشعر بالحرج، فهو لا يفهم هذا الرجل، والخوف الذي يبثّه في نفسه كان قد أصبح متجذّراً فيه، فقد حاوَل دانيال أن يقتله، حاوَل أن يحرقه حيّاً.

9

أغلق پالمي مكتبته وعاد إلى منزله، وقد انخفضت الحرارة مرة أخرى محوِّلةً الثلوج التي تكسو الشوارع والأرصفة إلى جليد راح ينسحق تحت قدميه بينما خطا خطوات كبيرة نحو وسط المدينة ليصل إلى محطة حافلته. عدد المارّة قليل في المدينة وحركة المرور خفيفة، فالسكان في شهر يناير يدخلون مرحلة سباتٍ بعد فورة الأعياد. تذكَّر يوم الشتاء البعيد ذاك وتلك الزيارة الأولى إلى المستشفى، فلن ينسى أبداً اللحظة التي أشعل فيها دانيال ذلك الحريق.

سيبقى ذلك الأربعاء محفوراً في ذاكرته فقد كان المسلسل التلفزيوني المفضَّل لديه على وشك أن يبدأ على التلفزيون وينتظر مشاهدته بفارغ الصبر، لكن كل البث تغيَّر ولم يعد هناك سوى شيء واحد على التلفزيون: مخطوطات آيسلندية قديمة عائدة إلى ربوع الوطن بعد أن أعادتها الدانمرك. تذكَّر أن أمه كانت خارج المنزل وقتها، وهو نفس منزل العائلة الذي لا يزال پالمي يسكن فيه حتى الآن. تتألف الشقة من أربع غُرف لطيفة، منها غرفة جلوس كبيرة مكسوة بالموكيت وثلاث غُرف نوم صغيرة ذات بلاط من الفلين، مما أعطى الأخوين غرفة نوم خاصة لكل واحد منهما، وقد تم توسيع المطبخ بسقيفةٍ تخدم كخزانة للمكانس وغرفة تخزين. لقد اشترى والداهما هذه الشقة بعد زواجهما مباشرة وكانا سعداء هناك طوال السنوات القليلة التي عاشاها معاً.

في تلك الفترة تقريباً تغيَّر دانيال جذرياً، وقد أملت أمه أن تصطلح الأمور، لكن ذلك لم يحصل، بل ازدادت حاله سوءاً حتى ولو رفضَت الإقرار بذلك. في يوم زيارته الأولى إلى المستشفى، عندما شرحت العائلة للأطباء ما حصل، قال الأطباء إن دانيال يشعر بالتهديد من العلاقة القوية بين پالمي وأمه، ولهذا السبب حاوَل أن يقتل أخاه. بدا لهم ذلك جلياً جداً. لم يُخبِرهم دانيال بكلمة عما فعله،

ولم يسألوا بالمي أبداً.

كان قد عاد إلى المنزل حوالي الظهر في يوم ربيعي جميل بعد أن تجوَّل في الحي مع رفاقه، آخذاً مفتاح الشقة معه. أمسَكه دانيال حالما اجتاز العتبة.

– اعذرني يا صغيري بالمي، قال له وهو يوقعه عند المدخل. لم يعرف الأخ الصغير إن كان عليه أن يقاومه ويحاول الهروب أو أنها مجرد لعبة. بدا دانيال غريباً ومنزعجاً جداً، ويتكلَّم دون ترابط، ويشتم ويلعن، وشَعَر بالمي أن أخاه يجادل نفسه.

– ماذا تفعل يا داني؟ سأله.

– لا تتحرَّك يا صغيري.

– لقد ألمتني!

– ألا تسمعهم؟ رَدَّ دانيال. إنهم في كل مكان. في الجدران، في الأثاث. رَفَع بالمي مثل ريشةٍ وهو يتابع حديثه مع نفسه، وأخذه إلى غرفته حيث رَبَطه بالسرير دون أن يكافحه.

– يجب ربطه. ربطه جيداً. لكن لا يجب إيذاؤه. لا يجب إيذاء بالمي.

– ما خطبُك يا داني؟ سأله الصغير مرة أخرى قلِقاً. هل نلعب لعبة الهنود؟

– لا، لا، لا. إنها لعبة أخرى.

– أي لعبة؟ شَعَر بالمي بالقلق وهو ينظر إلى سماء الربيع الزرقاء خارج نافذة غرفة النوم.

– سيكون كل شيء بخير لي. سأصبح أفضل. نعم، نعم، نعم. السماوات تحاول ردعي. هذا واضح. إنها تحاول. اخرس أيها الحقير!

أخرجَ دانيال علبة ثقاب من جيبه، وزحف تحت السرير لينزع قطعتين من فلين الأرضية عند زاوية الغرفة، ثم أشعلهما. كافحَ الحريق كي يندلع، لكن ألسنة اللهب تصاعدت شيئاً فشيئاً، وعندها بدأ بالمي يصرخ.

راح يصرخ بكل قوته بينما أدّى دانيال رقصة حربٍ حوله وهو يطرق على صدره. اشتدّت ألسنة اللهب، وبدأت تلتهم السرير، وارتفعت إلى السقف، ثم توقَّف دانيال عن الرقص فجأة.

– ها قد تم الأمر. ها قد تم. كل شيء انتهى. يمكنني أن أحرّره الآن. دعني

أحرّره! صرَخ دانيال وهو يخلع ملابسه وينتف شعره. *دعني أحرّره!*

– ماما! صاح پالمي وهو يكافِح بيأس على السرير وقد فشل في الإفلات من قيوده. معه سكين لا تفارقه أبداً رغم تأنيب أمه له، ولم يعد يفكّر بأي شيء آخر: النجاح بالإمساك بها. بدأ خشب السرير يحترق، وألسنة اللهب تلعق جوانبه، واستطاع پالمي الشعور بدفئها تحت ظهره وحوله. لقد رَبَطه دانيال بزوايا السرير الأربعة من كاحليه ومِعصَميه بحبال رفيعة، وبدأت يداه تحترقان. دبَّ فيه الرعب فصَرَخ بأخيه الكبير الذي كان سعيداً بمشاهدته دون أن يقول شيئاً أو يتحرَّك، بل اكتفى بالوقوف هناك يراقبه يكافح ويسمع صرخاته بذهن شارد، ثم استدار وغادر الغرفة.

تحرّرت إحدى يديه فجأة، ورغم أنها كانت مصابة بحروق بليغة، إلا أنه لم يشعر بالألم عندما استخدَمها ليُمسك سكين جيبه ويفتحها بأسنانه. لحسن حظه أنه كان قد تمرّن كثيراً على فتح النصل بسرعة بهذه الطريقة، فقطعَ حبل يده الأخرى وهو يصرخ، ثم نهض ليقطع قيود قدميه. كان الحريق في ذلك الوقت قد غطى الفِراش كله، واشتعلت النار بالسرير كله بلمح البصر.

فرَّ من الغرفة وهو يصرخ، وقد عانى شعره ويداه وملابسه من آثار النيران. انتشر الحريق إلى النافذة والستائر، ووصل إلى السقف في زاوية غرفة النوم والجدار فوق السرير. خرج پالمي من الشقة، وقرَع على باب الشقة المجاورة، لكن لم يُجبه أحدٌ، فنزل إلى الطابق الذي تحتهم، لكنه لم يعثر على أحد هناك أيضاً. ثم صعد إلى الطابق الذي فوقهم ليجرّب حظه، لكن لا أحد ردَّ على قرعه. في الطابق الرابع والأخير، يعيش عجوزٌ فتح له الباب بعد سماعه يطرق عليه لفترة طويلة.

– داني أشعَلَ النار في غرفتي! قال له صارخاً.

– ما هذه الضجة؟ هل هذا أنت مَن سمِعتُه يصرخ سابقاً؟

– هناك حريق!

– ما هذا الكلام! ردَّ العجوز الذي لم يبدُ أنه يريد أن يقوم بأي ردّة فعل.

لكن ما كان عليه سوى النظر إلى پالمي ليصدِّق ما يقوله له، فاتصل بمركز الإطفاء أخيراً ونزل معه، ورأيا دخاناً كثيفاً يخرج من الشقة. هذا المبنى مجهَّز بأبواب مقاوِمة للحريق، قال الجار قبل أن يدخل بلا تردّد. انتبه، أعتقد أن داني

في الداخل، حذَّره پالمي، لكن العجوز لم يُنصت له، ووجد أن الغرفة بأكملها تحترق، لكن الحريق لم ينتشر إلى الغُرف الأخرى، فاكتفى بفتح الباب وإغلاقه فوراً.

عندها رأى پالمي أخاه جالساً بهدوء على الأريكة في غرفة الجلوس، وفاتحاً كتاباً في يده، ومستغرقاً في قراءته.

– أين كنتَ يا صغيري پالمي؟ سأله.

نزَل پالمي من الحافلة وأسرعَ نحو المنزل. عند وصوله إلى مبناه السكني، رفع نظره إلى نافذة غرفة نومه القديمة واستذكر ألسنة اللهب التي أتلفتها. قبل وصول رجال الإطفاء، انفجرت النافذة بفعل ضغط الحرارة، وتساقطت شظايا الزجاج في كل مكان. صحيح أنه تم استبداله، لكن لم يُعاد طلاء الغرفة، فلم تكن أمهما قادرة على تحمّل كلفة إصلاحها، ثم زالت رغبتها بذلك لاحقاً، وأصرَّت على ترك هذه الغرفة على حالها كتذكار لمرض دانيال. عندما يُشفى إبنها، ستقوم بما يلزم. عندما ماتت أمه، أراد پالمي القيام بالخطوة الجريئة، لكنه غيَّر رأيه أخيراً. لم يفتح باب تلك الغرفة أبداً.

دخل المبنى وفكَّر بالرجل الذي زار دانيال.

هالدور. بالكاد يتذكَّره پالمي، ولو أنه تعلَّم في مدرسة ڤيديغردي أيضاً. عليه أن يتصل به ويسأله عما أراده من أخيه. دخل منزله وشغَّل الراديو ليستمع إلى نشرة الأخبار، وأول شيء سمِعه هو أن أستاذاً سابقاً يدعى هالدور سڤاڤارسون مات في حريق قضى على منزله في 89 شارع أوردرستيغور في ريكيافيك، وأضاف المذيع أن الجنائية فتحت تحقيقاً بالحادث.

جلس پالمي إلى طاولة المطبخ، وراح يدلِّك الندبات على يده بلطف.

مكتبة
t.me/t_pdf

10

أوصلَ إرلندور سيغوردور أوْلي إلى منزله بعد عودتهما متأخرين من منزل هيلينا التي رفضت إخبارهما المزيد عن هالدور، أو الاستفاضة حول الطبيعة الدقيقة لسوء المعاملة التي عانى منها. وقد توسَّلتهما أن يغادرا واحترما مشيئتها رغم أن سيغوردور أوْلي كان يودّ أن يضغط عليها أكثر. استمَعا إلى نشرة الأخبار على الراديو، ووافَق إرلندور أن تُصدر الجنائية بياناً سيُنشَر في صحيفة المساء، بعد أن لم يجدا أي عضو آخر من عائلة هالدور غير هيلينا التي أبلغاها رسمياً بموت أخيها غير الشقيق، وبعد أن صوَّر الصحافيون الأطلال من كل الزوايا بسبب حماستهم لدعم مقالاتهم بصورٍ، وكشفوا هوية مالك المنزل بإعلانهم أن الجثة التي عُثر عليها تعود لهالدور. لكن الشرطة لم تعطهم أي معلومات عن أسباب الحريق وتقدُّم التحقيق. إرلندور يكره الصحافيين، ويجهد ليقطِّر المعلومات التي يعطيهم إياها، ويفرح عند رؤيتهم يكافِحون في الضباب والليل، وقد تعرَّض للانتقاد أكثر من مرة لعدم تعاونه مع الصحافة، لكنه لا يكترث لذلك.

بعد إيصاله زميله اليافع الأعزب إلى شقته، عاد إلى المركز الرئيسي للجنائية المتواجد في منطقة كوبافوغور الصناعية والحِرفيّة، بين متجر بائع عجلات ومركز لتسمير البشرة. المركز الرئيسي عبارة عن مبنى إداري مُرعِب ذي طابق واحد وذي واجهة متصدّعة كما لو أن زلزالاً كبيراً ضربه، فقد انفكّت قطعة كبيرة من الأسمنت عند زاوية المبنى وراحت تهدِّد بالسقوط في أي لحظة.

وجَد إرلندور تقرير الطبيب الشرعي المختصر على مكتبه، والذي أكَّد ما كان يعرفه من قبل بأن لا شك أن هالدور مات ميتةً مؤلمةً جداً فقد استغرق موته في محيط اللهب هذا بعض الوقت. أخبَر إرلندور نفسه أن عليه أن يعود إلى منزله حيث لا ينتظره سوى النوم وسريره المألوف، فارتدى معطفه ووشاحه وعاد إلى

سيارته وهو يفكّر بهالدور سڤافارسون وهيلينا وسيغوردور أوْلي، ذلك الولد الذي لا يُطاق والذي يفتقر للباقة، لكنه ومع ذلك فتى مؤدَّب. إرلندور يدين له بخدمةٍ، فقد ارتكب خطأ ضرب تاجرٍ تحت أنظار زميله اليافع الذي لم يكن قد مرّ على بدئه عمله في الجنائية سوى بضعة أسابيع، وسيغوردور أوْلي لم يسامحه أبداً.

إرلندور مطلَّقٌ منذ فترة طويلة، وأبٌ لولدَين نادراً ما يتلقى أخبارهما إلا عندما يقعان في مشاكل. إبنته على علاقة برجل مشتبه به بالاتجار بالمخدرات، ويخشى أن تبدأ هي أيضاً بالاتجار بتلك المادة، ويعتقد أنه فعل كل ما بوسعه ليُخرجها من ذلك المأزق الذي تصرّ على العودة إليه طوال الوقت. لم يتمكن من فهم هذا السلوك أبداً، فتوقف عن محاولة تسليمها إلى متخصصين أو محاولة التعاون معها، وحتى ذهَب بعيداً جداً إلى حدّ أخذ سنة إجازة ليُبقيها معه وينقذها من حياتها الكارثية تلك. بعد جهود خارقة من قبلهما، نجح في إخراجها من تلك الهاوية، لكن الفتاة انتكست بعد بعض الوقت وعادت إلى المخدرات وفرّت من منزل أبيها، لذا حاوَل جعل حياتها أسهل عندما يستطيع، لكنه توقف عن الاكتراث لها وراح ينتظر أعجوبةً. ربما ستجد طريقةً للتوقف عن تعاطي المخدرات من تلقاء نفسها.

أما إبنه فمدمن شرابٍ أساء فهم مركز إعادة التأهيل وظنّه فندقاً. لم تجهد أُم ولدَيه لتخفِّف حدّة الطلاق أبداً، بل أمضت وقتها تشوِّه سمعة إرلندور أمامهما، وتعطيهما صورة مشوَّهة عنه، وفعلت كل شيء لتحدّ من حقوق زيارته لهما، لذا استسلَم لها بسرعة لكي يتمكن من رؤيتهما بشكل دوري.

لكنهما كبُرا إلى مرحلة المراهقة ووجدا فيه رجلاً لا يشبه أبداً صورة الشخص الفظ التي وصفتها لهما أمهما. يقدِّر إبنته بشكل خاص، وغالباً ما يندم لعدم تشبّثه بزواجه المُحتضَر لفترة أطول، ويُخبر نفسه أن وجوده ربما كان سيمنع ولدَيه من الغرق في عالم الإدمان. يشعر بالندم رغم أنه سعيد أيضاً أنه لم يضطر إلى تحمُّل مسؤولية عائلةٍ وأنه يمكنه الاستمتاع بحرية العزوبية، وهو مقتنع أنه لم يكن ليشكّل أباً صالحاً.

كان قد أعطاهما مفتاح شقته، وعند عودته إلى المنزل ذات مساءٍ، وجَد إبنته نائمة على الأريكة. إسمها إيفا ليند، وهو إسم سخيف أصَرَّت أمها على إطلاقه

عليها رغم كل اعتراضات إرلندور، لكن رأيه لم يكن يُسمَع، وكان يفضِّل أن تُلقَّب ثوربيورغ على إسم جَدّته لأمه التي أحبّها كثيراً، والتي كانت قابِلة ومشهورة في منطقتها لشجاعتها ورشاقتها خلال الولادات. ثوربيورغ؟! صاحت الأم اليافعة مرتعِبةً. هل تريد إعطاءها إسم عجوزةٍ؟ آمل أن تتقدَّم بالسنّ، رَدَّ إرلندور وهو يعرف أنه خسِر معركة الإسم الأول مسبقاً. كانت علاقة الزوجين في ذلك الوقت قد أصبحت في مهبّ الريح، وكان أخ إيفا ليند أصغر منها بسنة، ولم يحضر إرلندور حفلة تلقيبه، ثم أصبح غائباً بعد ذلك. لقد لُقِّبَ إبنه سيندري سناير.

استيقظت إيفا ليند عندما أغلق الباب. إنها في الثانية والعشرين، لكن وجهها مجعَّدٌ من قبل. من الواضح أنه بالنسبة لأمه، كان إسم ثوربيورغ سيليق بها أكثر.

– آه لقد عدتَ يا بابا! تمتمت وهي تستوي جلوساً على الأريكة.

أضاء إرلندور الضوء، فوَضَعت وسادةً أمام وجهها لكي لا يُبهرها النور. كانت ترتدي سترة جلدية سوداء، وسروال جينز رثّاً، وتنتعل حذاءها الكبير ذا النعل السميك الذي يشبه حذاء التزلّج على الثلج.

– هل من خطب يا صغيرتي؟ سأل مستفسراً وهو يخلع معطفه.

– لقد ضربني، رَدَّت وهي تُبعد الوسادة التي أخفت وجهها. بدت شفتها العليا مجروحة ومتورّمة، وبياض عينها اليمنى مُحتقِن بالدم، وهناك رضّة كبيرة حولها، كما سال خيط رفيع من الدم من مِنخَرها. كل جسمها يؤلمها، وأغلب ضربات حبيبها أصابت رأسها. جلَس إرلندور بجانبها وعانَقها.

– لماذا ضربكِ؟ سأل.

– وجَدتُ حقيرةً واضعةً رأسها بين منفرج ساقيه عند عودتي إلى البيت.

– و؟

– لم تتوقف عندما رأتني.

– هكذا إذاً.

حافظ إرلندور على هدوئه أمام إبنته، لكنه كان يغلي من الغضب.

– أخبَرتُهما أن ينصرفا، لكنه ضحِك في وجهي وأكملا ما يفعلانه.

– وهذا أغضبك بلا شك.

– ركَلَتُ الفتاة على رأسها.
– بهذا الحذاء؟
– فعضَّت منفرج ساقيه بأسنانها الحادّة، ولديها صفّان كاملان منها.
– لا شك أنه تألم كثيراً.
– فقط لو سمِعتَ صراخه...
– كنتُ أودّ ذلك.
– ثم ضربني. راح يلكمني ويركلني، وشدّني من شعري ورماني على الدرج. لقد فقد صوابه بالكامل.
– هل انكسر أي شيء فيكِ؟
– لا، حسناً، لا أعتقد.
– ألا تريدين أن يفحصك طبيبٌ؟
– القرار متروك لك. تعتقد أنني مجرد قذرة، أليس كذلك؟
– هل ضربك من قبل؟
– كثيراً ما يكون حقيراً حقيقياً.
– ولماذا تبقين معه؟
– لديه مخدرات ويكون لطيفاً أحياناً.
– هل سترينه مرة أخرى؟
– فقط لقتله.
– لطالما قلتُ إنه يجب أن يكون لك إسم مُحاربةٍ مثل ثوربيورغ، قال إرلندور ساخراً. بالإضافة إلى ذلك، مَن يمكنه أن يتخيّل قاتلة تدعى إيفا ليند؟

رنَّ الهاتف في منزل سيغوردور أوْلي حوالي منتصف الليل ذلك المساء، وطلب منه إرلندور أن يلاقيه أمام منزلٍ في شارع هفيرفيسغاتا لأمر عاجل. لم يرغب أن يُخبره أكثر من ذلك، لكنه طلب منه أن يُسرِع، فنهض سيغوردور أوْلي من سريره الدافئ وهو يتنهَّد. إنه يعيش في شقة فاخرة في الحي الغربي، وقد طلا جدرانها بألوان باستل، وزيَّن غُرفها بأُصُص زهور رائعة ونباتات جميلة، واختار أثاثاً أنيقاً، فهو يحبّ الراحة ومن أصحاب نظرية رفاهية الروح بالإضافة إلى رفاهية الجسد، ويفضِّل الموسيقى الكلاسيكية على موسيقى البوب، ويذهب إلى مركز لتسمير

البشرة بشكل دوري دون أن ينسى زيارة النادي الرياضي. كان مفتول العضلات أيضاً، ويجذب النساء في المرات النادرة التي يخرج فيها مع أصدقائه أو زملائه، لكنه لم يرغب أبداً بأن يُقيم علاقة طويلة، مفضّلاً الغراميات التي تدوم ليلةً واحدةً. ظنَّ بعض معارفه أنه مثليّ الجنس بناءً على بشرته المسمَرّة وعضلاته المفتولة، وبالأخص لأنه غير متزوج.

لطالما أراد أن يكون من عداد الشرطة، لذا بعد تخرّجه من الثانوية، بدأ يدرس القانون في الجامعة، لكنه أنهى دراساته ليدخل أكاديمية الشرطة الوطنية. سافر إلى الولايات المتحدة لبعض الوقت، حيث تخصَّص في عِلم الجريمة، ثم عاد إلى آيسلندا حاملاً شهادات لامعة، وعلى حد قول إرلندور، مُحضِراً معه جواً فكرياً نادراً في الشرطة. وُضع في البدء تحت مسؤولية إرلندور لكي يمكنه إكمال تدريبه، وعُدَّ ذلك شراكةً بين سمكة شبّوطٍ وأرنبٍ. فمن جهة هناك إرلندور بخبرته الطويلة وأسلوبه، ومن جهة أخرى هناك سيغوردور أوْلي بمظهره المتغطرس وسعيه إلى المثالية في كل النواحي. لطالما أراد معرفة كل شيء قبل الآخرين، لكنه شهِد الليلة شيئاً لا تدرِّسه أي مدرسة، انتقاماً شخصياً من قِبل شخص مشهور في الشرطة.

عند وصوله إلى شارع هڤيرفيسغاتا، رأى سيارة إرلندور أمام منزل خشبي ذي طابق واحد مكسو بحديد مموَّج، فركَن خلفه، وانضم إليه، وجلس على مقعد الراكب.

– إذاً أنت لا تتوقف عن العمل أبداً؟ قال متنهِّداً وهو يرمقه بنظرة توبيخ.

– آه... لستُ متأكداً أنه يمكننا التكلّم حقاً عن العمل، ردَّ إرلندور.

– ماذا إذاً... حقاً؟

– أظن أنه يمكنك القول إنها مهمة حارس شخصي. أودّ أن ترافقني في زيارة صغيرة. لن يكون عليك أن تقول شيئاً، بل يكفي أن تكون معي بعضلاتك الكبيرة. لديَّ بعض الكلمات التي أريد أن أقولها للشابّ الذي يعيش في هذا المنزل، فقد هاجم إبنتي وأريد التأكد أنه يعرف أنه تحت مراقبة لصيقة. لستُ متأكداً أنه يمكنني معالجة هذه المسألة لوحدي وأريدك أن تتدخّل إذا ساءت الأمور.

– هاجَم إبنتك، كيف ذلك؟ ردَّ سيغوردور أوْلي مذهولاً وحتى مرتعِباً أكثر

من رؤية إرلندور يورّطه رغماً عنه في شؤونه العائلية.

– ثق بي. هل ستفعل لي هذا المعروف الصغير؟

– هل هو لوحده؟

– نعم، لقد تحقّقتُ.

– حسناً، هيا بنا.

أراد سيغوردور أوْلي أن يعود إلى منزله في أسرع وقت ممكن لنسيان هذه المسألة، لكن حشريته استحوذت عليه.

خرَجا من السيارة وصعدا بضع خطوات. لم يكن الباب مُقفلاً، فدخلا بهدوء إلى الشقة المثيرة للإشمئزاز في الطابق الأرضي حيث تفوح رائحة عفنة قوية. الجدران بلون الأزرق البحري، وتتدلّى لمبة من سقف الغرفة المجهَّزة بمطبخ صغير ومفروشة فقط بفِراش على الأرض، وهناك مرحاض في الجهة الخلفية. هذا كل شيء. رأيا شاباً في الثلاثين من عمره تقريباً نائماً على الفِراش. الجو بارد، والنائم لا يزال مرتدياً كنزته لكنه خلع بنطلونه وتمدَّد على اللحاف. الأرضية مليئة بقمامةٍ أغلبها مغلِّفات أطعمة، والرائحة اللاذعة لمشتقات الألبان الفاسدة تُصيب المرء بالغثيان. اعتقَد سيغوردور أوْلي أنه لاحَظ ضمادة على منفرج ساقَي الشابّ. هناك مكبِّرًا صوت كبيران يُصدران موسيقى صاخبة، وافترض الشرطيان أنها موسيقى رغم أنها بدت أشبه بتسجيلٍ لحادث سيرٍ. أطفأ إرلندور قارئ الأقراص المضغوطة ثم أمسكه ورماه بكل قوته إلى الشارع عبر الباب المفتوح، لكن الشابّ بقي نائماً نوماً عميقاً رغم الضجيج. لا شكّ أنه مُعتاد على الضجة. ساد صمتٌ مطبقٌ في الغرفة الآن، ولا يمكن سماع سوى صوت محرِّك سيارة تمرّ في شارع هفيرفيسغاتا. أيقظ إرلندور الشابّ الثلاثينيّ بركلة قوية، وكان سيغوردور أوْلي مرابِطاً عند الباب.

– هل أنتَ ماغني؟ سأله إرلندور. كان الشابّ نحيلاً لدرجة أنه يمكن عدّ أضلاعه، بشرته سمراء، شعره يصل إلى كتفه، وجهه هزيل، لحيته سوداء ومتفرقة، ولديه أسنان كبيرة ناتئة. شَعَر إرلندور أنه يشبه جرذاً يتلوّى ألماً بعد الركلة التي سدّدها له.

– مَن أنت أيها الحقير؟ ثم تجشأ وهو يرفع نظره بعد أن استعاد أنفاسه.

– أردتُ رؤية زير النساء. كازانوفا بشحمه ولحمه، ويمكنني إخبارك أن أملي لم يخب من الرحلة.

– كازا مَن؟ ردّ الهيكل العظمي الحيّ.

– إذاً تحبّ أن تضرب النساء؟

– ماذا؟

– أقصد، هل يثيرك ذلك جنسياً؟ هل هذا هو صنف الأمور التي تعجبك؟

وَضَع إرلندور يده اليسرى خلف ظهره وقدَّم قدمه إلى الأمام، وانتظَر بهدوء. مرابِطاً دائماً عند الباب، ندِم سيغوردور أوْلي على تلبيته طلب زميله.

– تباً لك أيها العجوز! قال ماغني وهو ينهض.

– أرى أنك قادر على إجراء محادثة، قال إرلندور ساخراً. كازانوفا معسول اللسان يستمتع بضرب الفتيات.

– هل تعرف ماذا قالت عنك أيها الشرطي الغبي؟ ردّ ماغني بحدّة وقد فهِم فجأة مغزى هذه الزيارة، ثم اقترب من إرلندور الذي شمَّ رائحة أنفاسه الكريهة. لقد وصفتك بالحثالة، وأنت حثالة فعلاً! أمها العاهرة هي التي أخبرتها ذلك. أما بالنسبة لك، فيمكنك إخبار إيفا أنني سأقتلها عندما أراها في المرة القادمة... هكذا، أضاف وفرقع أصابعه تحت أنف الشرطي.

– لن تقتل أي شخص يا كازانوفا، حذَّره إرلندور دون أن يغضب. بالله عليك، فتى وسيم ومعسول اللسان مثلك ويعيش في هكذا شقة جميلة. باختصار، صِهر مثالي، أليس كذلك؟ أضاف وهو يستدير إلى زميله. هل أذيتَ نفسك في المكان الخطأ يا بنيّ؟ قال وهو يُخفض نظره.

كان ماغني قد لفّ عضوه الذكري بمنشفة بيضاء استطاع إرلندور رؤية بقعة حمراء عليها.

فقد الشابّ أعصابه فجأة وهمَّ أن يضربه، لكن إرلندور رأى ذلك. كان رجلاً قوي العضلات تخطى الخمسين من عمره، وذا ذراعين طويلتين وقبضتين هائلتين، وقد تمرَّن على الملاكمة سابقاً رغم أنها رياضة محظورة في آيسلندا، وبالتالي لا يزال بصحة جيدة وردود فعله اللاإرادية جيدة جداً. سدَّد لكمة صاعدة بيده اليسرى على ذقن ماغني، ثم لكمة أخرى بيده اليمنى على خدّه،

وشَعَر سيغوردور أوْلي أنه سمِع الهواء يهسهِس. لم تسنح الفرصة لماغني ليثأر حيث أنه فقد وعيه، وانكسر فكّه فوراً، وانهار على الفِراش بلا حراك.

– هل فَقَدتَ عقلك؟! صاح سيغوردور أوْلي قلِقاً وهو يُسرع نحوه.

– كان سيضربني، ردَّ إرلندور وهو لا يزال هادئاً تماماً.

راقَبا ماغني جامداً على السرير دون أن يتفوّها بأي كلمة، ثم بعد وقت طويل، اتصل إرلندور بالإسعاف عبر هاتفه الخلوي. ركَع سيغوردور أوْلي بجانبه وتنفّس الصعداء عندما وجده لا يزال حيّاً.

– يا إلهي، ما الذي أصابك؟

– لقد هاجَمني. ماذا كنت تريدني أن أفعل؟ أن أدعه يحطّم وجهي؟

– أنت استفزّيته لينقضّ عليك، وهذا هو السبب الوحيد لقدومنا إلى هنا.

– لقد أذى إيفا، وأردتُ رؤية أي صنف من الرجال هو. إيفا معه منذ بعض الوقت، وقد أتت إلى منزلي هذه الليلة ووجهها ينزف بسببه. كانت لديّ بعض الكلمات لأقولها له، لكنه هاجَمني، ولا أحبّ أن يهاجمني أحد.

– ضرب إبنتك وبالتالي يحقّ لك أن تقتله؟ يا لها من عقلية متخلّفة.

– متخلّفة! هل ستطبّق ما تعلّمتَه في الكلّية عليّ؟ لا تكن عنجهياً يا صغيري لأنك كنتَ ستفعل الشيء نفسه لو كانت إبنتك. لقد لقّنتُ هذا الحقير درساً صغيراً فقط لا غير. إنه شخص عنيف وتاجر مخدرات ومغتصِب ويجب أن يكون في السجن، لكن لا أحد قدَّم شكوى ضده، وهذا الصنف من الأشخاص يُحاكَم فقط عندما يرتكب جرائم متكرِّرة. وحتى وقتها، ينال عقوبةً مع وقف التنفيذ، فيُمضي بضعة أشهر في الظل، ثم يستعيد حريته ويعاود نشاطاته من جديد كأن شيئاً لم يكن.

– وتعتقد أن ما فعلتَه للتو سيوقفه؟

– لا أعرف أبداً ما الذي يمكنه إيقاف هذا الصنف من الحثالة.

– وأنا، لماذا جعلتني آتي إلى هنا؟

– هذا الشابّ ليس شخصاً شريفاً، وأنت شاهد على أنه حاوَل ضربي.

– ماذا لو قلتُ الحقيقة؟ هذا إذا لم يكتشفها زملاؤنا بأنفسهم، فهي واضحة تماماً.

– الحقيقة؟ صاح إرلندور وقد سمح لغضبه الذي كان يغلي فيه أن يخرج لبرهةٍ. ما قصة هذه الحقيقة؟ هل تريدني أن أُريك الحقيقة؟ إنها في منزلي وكلها رضوض خلّفها هذا القذر! لذا لا تبدأ بوعظي عن الحقيقة! إذا كنتَ قد وجدتَها أثناء دراستك في أميركا، فإنني أهنّئك من كل قلبي!

– كيف تجرؤ على توريطي في شؤونك الخاصة؟ صاح سيغوردور أوْلي غاضباً وقد جرحته كلمات زميله. أنا لستُ مثلك أبداً، ولم أُمضِ حياتي كلها أتعفّن في نفس الوظيفة الرديئة. لا شكّ أنه يمكنك أن ترى أنها لا تناسبك. لستَ أفضل من هذا الشابّ المسكين، وتسمح لنفسك أن تورّطني في هذا الانتقام. هذا لا يعجبني. لا يعجبني أبداً!

– انتقام! هذا الشابّ انقضّ عليَّ، كرَّر إرلندور متنهّداً.

خرجا من المنزل، وسمِعا صفارة إنذار من بعيد. ثم وصلت شابّة كحّلت عينيها بشكل شنيع وطلت شفتيها بطبقة سميكة من أحمر شفاه وأرادت أن تدخل، فأجبَراها على التراجع وأخبراها بألا تعود إلى هذا المنزل أبداً.

– هل رأيت وجهها؟ سأل سيغوردور أوْلي مستفسراً.

– لديها أسنان حادّة، ردَّ إرلندور.

لم يُخبر سيغوردور أي شخص عن الحادث أبداً، وأمضت إبنة إرلندور أسبوعاً في المستشفى، لكنها عادت إلى الحضيض بعد ذلك الأسبوع. أما ماغني فبقي في المستشفى لمدة أطول، وتحقّقت العدالة حيث أن الشرطة عثرت على كمية كبيرة من المخدرات في منزله، ونظراً لجرائمه المتكرّرة، حُكم عليه بالسجن لثلاث سنوات، مع وقف تنفيذ إحداها، ولم يُسجَن إلا سنة واحدة من عقوبته. لم يتقدَّم ماغني بأي شكوى ضد إرلندور، لكن رؤساءه لاموه على العنف الذي وجَّهه إلى أحد أنشط تجّار ريكيافيك. ادّعى الدفاع عن النفس ودعَمه سيغوردور أوْلي على طول الطريق: لقد حاوَل ماغني أن يضرب إرلندور. خلال استجوابه، لم يذكر ماغني علاقته بإيفا ليند، ولم يشر أحدٌ إلى ذلك أبداً.

غالباً ما يتذكَّر سيغوردور أوْلي تلك الليلة، فمن غير المحتمل أن ما رآه من إرلندور سيرسِّخ فيه حساً قوياً بالأخلاق.

11

على مكتب الطبيب النفسي نسخةٌ من تقرير تشريح جثة دانيال، وصباح هذا الاثنين قارسٌ ولا يزال الجو حالك السواد. لقد قرأ الطبيب المستند الذي أكّد ما كان واضحاً وهو أن دانيال مات على الفور، حيث انفجرت الجهة الخلفية لرأسه على درج المستشفى، وتحطّمت كل عظامه تقريباً، وعُثر على قِطع من دماغه على الأسمنت. سلّم الطبيب النفسي التقرير إلى بالمي الذي قرأه بعناية دون أن يعرف مرتبة هذا الطبيب في اللائحة الطويلة للأشخاص الذين اهتمّوا بأخيه. غونار رجلٌ ودودٌ في منتصف العمر ذو حركات بطيئة وحديث معتدل، ونظّاراته السميكة تكبِّر مُقلتَي عينيه بشكل مبالغ، وشَعَر بالمي كما لو أنه ينظر إليه بعينين جاحظتين.

– أظهرت فحوص الدم أنه توقّف عن أخذ دوائه قبل موته بعدة أسابيع، شرَح غونار، وأنت تعرف أن هذه لم تكن أول مرة، وتحتاج تأثيرات الأدوية إلى بعض الوقت دائماً لكي تزول من الجسم. على كل حال، توقُّف العلاج يفسّر حالة نشوة الفرح التي كانت لديه في الأيام الأخيرة.

– لقد حاوَل أن ينتحر سابقاً.

– عمليات الانتحار شيء غريب ولا يمكن توقّعها بالكامل. ورغم أن دانيال حاول أن ينتحر عدة مرات، إلا أنه لا يمكننا القول إنها من عواقب مرضه، وربما حفّزتها عوامل أخرى. أي شخص عادي معرَّض لأن يضع حداً لحياته، فما بالك بالشخص الذي يعاني من مرض ذهني. الجميع يفكّرون بالانتحار في مرحلة ما في حياتهم، ولسوء الحظ، هناك دائماً أشخاص ينفّذون ذلك فعلاً. لدينا أمثلة كثيرة عن أشخاص انتحروا لسبب غير واضح. أنا مثلاً بقيتُ لبعض الوقت أتابع امرأةً أتت لتستشيرني بعد وفاة زوجها بطلقة في رأسه. كانا سعيدين

معاً وكل شيء بخير، ولديهما أربعة أولاد، ثلاثة منهم راشدون غادروا المنزل. كانا في أوجّ عطائهما، وكلاهما بصحة جيدة، ويسافران كثيراً ولديهما الكثير من الأصدقاء، والزوج ناجح في عمله، وقد نال ترقيةً، وراتبه جيد. لم يملك الزوج سلاحاً نارياً أبداً، ولا يعرف كيفية استخدامه، لكن مالك الشركة التي يعمل فيها صيّادٌ ويحتفظ ببندقيتين في مكتبه. فتح الزوج الخزانة المقفلة، وعثر على الخراطيش الملائمة، وقاد سيارته إلى ضواحي البلدة وأطلق النار على رأسه دون حتى أن يترك رسالة وداع. بدا ذلك مثل رعدٍ في سماءٍ صافيةٍ، ولم يفهم أحدٌ شيئاً. كان لديه كل شيء يمكن أن يحلم به المرء، ومع ذلك حصل شيءٌ جَعَل الحياة في نظره لا تستحق العيش.

– كان دانيال منزعجاً جداً عندما وصلتُ إلى هنا.

– لقد توقّف عن أخذ دوائه. هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكنني أن أقدّمه لك. لم يصل إلى هذا الحدّ أبداً من قبل رغم أنه سبَّب بعض المشاكل من وقت لآخر. كان فظّاً ويحبّ أن يحرِّض بقية المرضى على التمرّد على الموظفين والأطباء.

– وصفكم بالحثالة.

– هذا ليس أمراً جديداً مثلما تعرف، قال غونار بجفاء ونبرة عالية بعد أن كان يتكلّم سابقاً بنبرة محايدة واحترافية. لم يتعرَّض دانيال لسوء المعاملة هنا أبداً، مثله مثل المرضى الآخرين. من جهة أخرى، ليس أمراً غير مألوف أن نُتَّهَم بسوء المعاملة، فنحن هدف سهل، لكن موظفينا كفوؤن جداً.

– لقد تلقى عدة زيارات في الأسابيع الأخيرة، ولا شكّ أنها من هالدور أستاذه السابق. ما عدا ذلك، كنتُ الوحيد الذي يزوره. يبدو أنهما دردَشا كثيراً، وحسبما قيل لي، تلك كانت الفترة التي بدأ فيها يتصرّف بغرابة. هل يمكن أن يفسِّر ذلك ما حصل؟

– لا أعرف.

– هل أخبرك عن هالدور؟

– لا. كنا نجلس معاً ونتناقش كل أسبوعين، لكنني لم ألاحظ أي تغيير في سلوكه. ربما لاحَظ مُقدِّمو الرعاية الذين عمِلوا معه بشكل يومي شيئاً. على كل حال، لم يُخبِرني عن تلك الزيارات ولم أعرف بوجود هالدور ذاك.

– هل كان دانيال يأخذ التريلافون؟

– نعم، طوال سنة. تريلافون ليس دواءً قوياً جداً عندما تكون الجرعات صحيحة ويعطي نتائج جيدة. كما وصفتُ له أرتان أيضاً للحدّ من التأثيرات الجانبية. يحق لك أن تعرف، وهذا مسجَّل أيضاً في تقرير تشريح الجثة، وهو أنه لم يكن لدى دانيال عمر طويل ليعيشه.

– ماذا تقصد؟

– هل هناك تاريخ مشاكل في القلب في عائلتك؟

– لا أعرف.

– كان قلب دانيال مُنهَكاً بالكامل، وأشبه بقلب عجوز. أعتقد أنه لم يكن ليعيش أكثر من سنتين أو ثلاث سنوات.

– هل لديك تفسير لذلك؟

– لم يكن قلبه قوياً والعلاجات لم تساعده. تريلافون نافع، لكنه سيئ للقلب.

– كان يُصاب بنوبات صَرَع.

– اعتاد دانيال أحياناً أن يحتفظ بالجرعات التي تُعطى له ليتناولها دفعةً واحدةً، ولا نعرف كيف استطاع فعل ذلك. عندما يجد أن الكمية أصبحت كافيةً، يبتلعها كلها ويسمِّم نفسه، فيُصاب بنوبة صَرَع ويقع في غيبوبة، وينخفض ضغط دمه إلى الحد الأدنى. كان يريد أحياناً أن يفقد وعيه.

– أتذكَّر ذلك جيداً. وتلك هي الأوقات الوحيدة التي رأيتُها فيها مُسالِماً حقاً. كان يشتكي أحياناً من شعور بالخَدَر.

– عليَّ الإقرار أن تريلافون سمٌ حقيقيٌ. يضرّ الأسنان، ويُبطئ التواصل بين الأعصاب والدماغ، وله آثار جانبية أكثر من ذلك بكثير، لكنه نافع للمرض. دانيال مقيمٌ في هذا المستشفى منذ فترة طويلة، وبدأتُ أعالجه منذ سنتين فقط ولا أعرف تاريخه جيداً، لكنني أعتقد أنه يمكنني القول إنه كان حزيناً معنا في السنوات الأخيرة.

لا تزال غرفة دانيال على نفس الحال الذي كانت عليه في زيارة بالمي السابقة قبل يومين، فكل شيء فيها مقلوب رأساً على عقب. الملاءات والصحف

والمجلات والملابس تملأ الأرض، والخزانة مفتوحة وكل محتوياتها مرمية خارجها، والشيء الوحيد الذي بقي في مكانه هو كومة القمصان البيضاء المُنشّاة المخزّنة في صندوق صغير في زاوية الغرفة. المغسلة مكسورة، وكذلك المرآة التي فوقها، وتم قَلْب الطاولة والكرسي. الأغراض الشخصية لدانيال قليلة جداً، وكان قد استعار بضعة كتب من مكتبة المستشفى لا تزال في غرفته.

قرّر پالمي أن يرتّب الغرفة قليلاً لكي يستطيع أن يرى بوضوح أكثر في هذه الفوضى ويأخذ معه أغراض أخيه. هناك كتب من كل الأصناف، من بينها بعض أعمال توماس مان، والمجلد الثالث لـ *أخطار البحر* تأليف لودڤيك كريستيانسون، وطبعة رخيصة من قصائد جوناس هالغريمسون كتب مقدمتها توماس غودموندسون، وكذلك قصائد أورن أرنرسون. كما عثر پالمي على بضعة كتب كان دانيال قد استعارها منه ورفعها عن الأرض.

عثر على محفظة في جارور المكتب، لكنه لم يعرف أن أخاه يملك واحدةً، فعلى حد علمه، لم يكن دانيال يملك مالاً. صحيح أن الدولة تدفع بدل إعاقة له في حسابه المصرفي، لكن المبلغ زهيد وينفقه على شراء السجائر والحلويات، ولطالما رفض المشاركة في ورش العمل الحِرفية حيث يستطيع المرضى كسب بعض المال القليل عبر صنع بعض الأشياء. وجَد پالمي صورةً سوداء وبيضاء لأمهما في المحفظة لم يرها من قبل، التقطها أبوهما قبل أن يُولد. إنه الصيف، وأمهما في حديقةٍ ترتدي فستاناً طويلاً، وتبتسم للمصوِّر، وتضع يدها فوق عينيها لتحمي نفسها من الشمس، ودانيال بجانبها بعمر السنتين وبدا سعيداً وبديناً. بقي پالمي يتأمل الصورة لفترة طويلة، وعثر على بضع صور أخرى لأمه اليافعة، لكنه لم يعثر على أي صورة للأخوين قبل أن يدخلا المدرسة.

بدا دانيال ولداً جميلاً ذا وجه حالم، وهناك لفائف شقراء طويلة تتدلّى على كتفَيه، ويرتدي كنزة مقلّمة يملك پالمي مثلها ويحتفظ بها في خزانة ملابسه. تذكّر أن أمهما أحبّت تلك الكنزة كثيراً، وكانت تُخرجها من خزانتها أحياناً لتمسّدها بعد دخول دانيال إلى المستشفى. كان أبوه قد أحضرها معه من رحلةٍ، ثم أحضر واحدة مماثلة لاحقاً وأعطاها إلى پالمي.

عثر على أشياء صغيرة أخرى في وسط كل ذلك الركام. صور لممثلين من

هوليود تواجدت أحياناً داخل علب العلكة وكان دانيال يجمّعها، وقد أصبحت لديه ثلاث رزمات منها ربطها بأحزمة مطاطية كبيرة داخل علبة أحذية. تعرّف پالمي على مارلون براندو في الرزمة العليا في شخصية زاپاتا بشاربه الكثيف الذي يصل إلى طرف فمه وقبعة السومبريرو على رأسه. بدا الممثل مكتئباً كالعادة، وخلفية الصورة حمراء نارية.

كما عثر على صورة الصف المدرسي تحت السرير. هذه أول مرة يراها فيها، ولا شك أنها وصلت إلى هناك عندما بعثر دانيال كل شيء في غرفة نومه. بدت مصفَرّة ورثّة عند الزوايا وبلا إطار، وهناك خط طيّ على طولها، لكنها واضحة تماماً، وتُظهِر الطلاب موزّعين على ثلاثة صفوف وفقاً لطولهم، حيث وقف الفتيان الأطول في الصف العلوي، وجلست الفتيات على الأرض. يمكن رؤية دانيال واقفاً هناك في أقصى اليمين، وكان الوحيد الذي لا ينظر إلى العدسة لحظة التقاط الصورة، بل كان رافعاً نظره إلى أستاذه الواقف متصلّباً كعصا على يمين طلابه.

أخذ پالمي الأغراض الشخصية المسكينة لأخيه، وغادر الغرفة، وسار إلى نهاية الرواق الأخضر الطويل، ثم توقّف بجانب المرضى الذين يدخّنون، وأعطاهم علبتَي السجائر اللتين اشتراهما لهذه المناسبة. ثم فتَح الباب وعاد إلى برد ذلك الصباح من شهر يناير. إذا كان قد أملَ أن يشعر بالارتياح، فقد فات الأوان على ذلك كثيراً.

مكتبة
t.me/t_pdf

12

لاقت الاجتماعات الصباحية التي يعقدها رئيس الجنائية الجديد اعتراضاً صامتاً من رجال الشرطة الذين اعتبروها غير ضرورية، حيث يُتوقَّع منهم أن يحضروها كلهم مع رؤسائهم ويستعرضون فيها التحقيقات الرئيسية وتقدُّمها على أمل توفّر رؤية أوضح لها عند مناقشتها جماعياً. لكن ما لم يفهمه الرئيس الجديد الذي أمضى معظم مسيرته المهنية في وزارة التعليم هو أن معظم القضايا التي تعالجها الجنائية هي مجرد جنح صغيرة، كسرقات متاجر أو مكاتب مثلاً، وأكثرها شيوعاً هي سرقة الحواسيب، وهناك أيضاً الموظفون الذين يستخدمون النقود الموجودة في خزنات شركاتهم. أمور بلا فائدة تجعل مرتكبي الجنح الآيسلنديين من الصنف السيئ عادة.

شكَّلت جريمة قتل هالدور سڤاڤارسون استثناءً لسببين. فمن جهة، هي عملية اغتيال صريحة لا شكّ تم التخطيط لها بعناية، ومن جهة أخرى، لم يتم القبض على الفاعل. جرائم القتل نادرة في آيسلندا، ويتم اعتقال الجناة بسرعة عادة، حيث أن أفعالهم لا تكون متعمَّدة في معظم الأوقات بل نتيجة حادث عرضيّ أو لحظة جنون، كأن يطعن أحدهم شخصاً أثناء خروجه من نادٍ ليلي، أو أن يطلق رجلٌ النار من مسدَّسٍ في منزله. تفتح الشرطة تحقيقاً، ويُلقى القَبض على القاتل. لذا لا يوجد قسم في الجنائية متخصّص بجرائم القتل، وقد اعتبرت السلطات أنه من غير الضروري إنشاء واحدٍ، أما بالنسبة لقسم الأدلة الجنائية فإن تقنياته وأساليب عمله تعود إلى العصر الحجري. بدا أن عدد الأشخاص الذين يختفون في تزايد، وربما أحد أسباب ذلك هو الطرق العنيفة بشكل متزايد لتجّار المخدرات.

شهد الاجتماع الصباحي في ذلك اليوم شعبيةً كبيرةً، حيث حضره جميع

العاملين في المبنى، بما في ذلك الموظفون الإداريون ومسؤولو قسم مكافحة المخدرات، وهذا فاجأ إرلندور، لكنه امتنَع عن إبداء أي تعليق، وراح الموظفون المحشورون في الغرفة الضيقة يُصغون له جيداً. لقد مرّت ثلاثة أيام على اكتشاف جثة هالدور سڤاڤارسون المتفحِّمة بين رماد منزله في مقاطعة ڤينغهولت بعدما حرقه قاتله حيّاً، لكننا لا نعرف أكثر من ذلك، أشار إرلندور، عِلماً أن التحقيق لا يزال في بداياته. إنه المسؤول عنه وبالتالي عليه أن يطلب الموظفين الذين يحتاج إليهم، خاصة أنه تم تعليق كل القضايا الأخرى. كان إرلندور يقف عند أحد جدران الغرفة عارضاً خلفه خريطة منزل الضحية ورسماً تمهيدياً لموضع الجثة المتفحِّمة، بالإضافة إلى بعض الصور لأطلال المنزل، ثم قرأ التقرير الأولي لقسم الأدلة الجنائية الذي وصله في وقت سابق من هذا الصباح.

– هذا ما نعرفه: هالدور سڤاڤارسون، أستاذ سابق، قُيِّدَ بكرسي في منزله الواقع في 89 شارع أوردرستيغور مساء 16 يناير، ورشَّ القاتل مادة البنزين عليه وعلى بقية منزله، ثم أضرم النار فاشتعَل المنزل الخشبي بلحظات قليلة. صفيحة الوقود التي عثرنا عليها في الحديقة لم تحمل أي بصمات أصابع، ولم نعثر سوى على الهيكل العظمي المتفحِّم لهالدور الذي تعرَّفنا عليه من بصمة أسنانه.

– كان يذهب إلى نفس طبيب أسنان مدير المدرسة التي علَّم فيها، وهذا مكّننا من الحصول على المستندات بسرعة والتأكد أن الضحية هو مالك المنزل، علَّق سيغوردور أوْلي موضِّحاً، لكن كل الحاضرين في قاعة الاجتماعات لم يفهموا فائدة هذه النقطة وبقوا يحدِّقون بإرلندور.

– هل يمكنني أن أُكمل؟ استفسر إرلندور وهو ينظر إلى زميله.

– نعم، عذراً.

– هالدور أعزب وليس لديه أولاد، ولديه أخت غير شقيقة أجرينا مقابلة معها من قبل، لكننا سنراها مرة أخرى. عاش في هذا المنزل منذ وصوله إلى ريكيافيك منذ عقود، ويبدو أنه ليس لديه أصدقاء كُثُر. علَّم في مدرسة ڤيديغردي لخمس وثلاثين سنة، وعلينا أن نستجوب المدير والموظفين لأنه من الواضح أنه عانى من مشاكل مع طلابه، ونحتاج إلى استكشاف هذا المسار. وفقاً لتشريح الجثة، ورغم أن استنتاجاته غير حاسمة، إلا أنه هلَك خلال الحريق وليس قبله.

جمجمته سليمة، والقيود التي عثرنا عليها عند كاحليه ومِعصَميه مصنوعة من مادة قوية جداً ومصمَّمة لتتحمَّل درجات حرارة عالية وفقاً لفريق الأدلة الجنائية. يمكن شراء هذا النوع من القيود من أي متجر خردوات، لذا ليس مستحيلاً أن يكون القاتل قد اشتراها بمحض الصُدفة لأنه لا يبدو أننا نتعامل مع محترفٍ، فهو ترك صفيحة البنزين في الحديقة مثلاً. لم نجد أي آثار أقدام بسبب العاصفة الثلجية، وليس لدينا أي مشبوهين حتى الآن أو أي فكرة عما حصل، لكن من المثير للاهتمام ملاحظة أن مُشعِل الحريق لم يكن خائفاً من ترك أي آثار، إما لأنه واثق جداً من نفسه، أو لأنه مُهمِل حقيقي.

– إذا كان واثقاً من نفسه، قال أينار مقاطِعاً وهو رجل تخطى الخمسين من عمره ويعمل في الجنائية أيضاً ويحقِّق في موت دانيال، فذلك لأنه يظن أننا غير قادرين على إيجاد رابط بينه وبين الضحية؟ لهذا السبب، أرى أننا لا يجب أن نستبعد احتمال أن يكون قد تصرّف دون مبرّر وأنه ربما قتل هالدور بالصُدفة. طبعاً لا شكّ أنه لحظ الفرصة وتعمَّد استغلالها، لكن الرَجلين ربما لا يعرفان بعضهما البعض. ولا يمكننا استبعاد احتمال أن يعاود الكرّة، وبالتالي قد نكون أمام أول عملية حرق لقاتل متسلسل.

– قاتل متسلسل حارِق؟ ردّ إرلندور بحدّة. في أي فيلم شاهدتَ هذا؟

– إذا كان مُهمِلاً حقيقياً، ردَّ أحد أفراد قسم الأدلة الجنائية ويدعى ثورارين، فربما هو أحد طلابه السابقين؟

– يجب أن نستكشف هذا المسار، رَدَّ إرلندور.

– يا لها من طريقة مبتذَلة أن نفكّر بالأولاد بهذا الشكل فنعتبرهم بلطجيين. أجد صعوبة في تخيّل الأولاد يفعلون هكذا أمور، احتجَّ زميلٌ آخر من قسم الأدلة الجنائية وهو أب لولدَين على وشك أن يدخلا الثانوية.

– لا أعرف، قال سيغوردور أوْلي بهدوء. علينا أن نتعامل مع حالات غريبة في هذه الفئة العمرية، فالأولاد يستهلكون المزيد والمزيد من الشراب والمخدرات، وأنا مُقتنِع أن كل العنف الذي يشاهدونه على التلفزيون وفي الأفلام يؤثر عليهم سلباً. أعتقد أنهم لا يميِّزون بين ما يشاهدونه للترفيه وبين ما يفعلون في الواقع. تتلوَّث عقولهم منذ الطفولة، وعندما يتخرّجون من المدرسة، يكونون قد رأوا صوراً عنيفةً

أكثر مما رأى أي راشد في حياته كلها قبل عشرين أو ثلاثين سنة. وأنا لا أتكلّم عن الأفلام والمسلسلات فقط، بل لم يعد لنشرات الأخبار على التلفزيون أي علاقة بالأخبار، بل أصبحت مجرد صور لأشخاص مقطّعين أو مقتولين بطلقات نارية بين فاصلَين إعلانيين.

– برأيي، من السخافة القول إن الأولاد يصبحون عنيفين لرؤيتهم صوراً عنيفةً، اعترَض ثورولفور، أحد أصغر الحاضرين في قاعة الاجتماعات وعضوٌ جديدٌ في الجنائية. لا يوجد أي دليل على أن الأولاد يقلّدون ما يرونه في الأفلام. نعم، هناك بضعة أمثلة فردية تم تسليط الأضواء عليها لأن الصحافة تستفيد منها، لكن يمكن أن يكون لهذا النوع من الصور تأثير رادع أيضاً. لطالما كان العنف موجوداً، والنسبة المئوية للأشخاص الذين يلجأون إليه ثابتة، وإلقاء اللوم على التلفزيون والسينما هو إقرار بالعجز، فلا توجد أهداف أسهل.

– لكن لماذا لم يضربه القاتل حتى الموت، أو يقتله بطلقة نارية، أو يطعنه؟ لماذا كل هذه المسرحية؟ قالت إلينبورغ إحدى النساء القليلات اللواتي يعملن في الجنائية. لماذا أراد أن يحرقه حيّاً؟ لا شكّ أن لهذا الأمر أهمية، لأنه يمكن تفسير حرق الشخص كدلالة على حنقٍ غير محدودٍ أو رغبةٍ بتنفيذ طقسٍ ما. كان الناس في الماضي يُدانون بالحرق على أوتاد بتهمة الهرطقة أو الشعوذة، ولا يمكننا أن نستبعد أيضاً أن يكون القاتل قد عذّبه قبل إشعال النار في المنزل. ربما نتعامل مع شخص ساديّ، لكن يمكن أن يكون القتل بدافع الانتقام أيضاً. أنا مُقتنِعة أن لهذا الحريق معنىً رمزياً دقيقاً.

– أضرم القاتل النار ليغطي آثاره، ردّ صوتٌ بنبرة حاسمة.

– نعم، بتركه تلك الصفيحة مرمية في الحديقة، قالت إلينبورغ بسخرية. وبشرائه قيوداً مقاومة للنيران.

– هذه الصفيحة لا تساعدنا كثيراً، قال إرلندور وهو ينظر إلى تقرير الأدلة الجنائية. فهي حديثة وسعتها عشرة ليترات، وتُستخدَم لنقل كل أنواع السوائل. مثلاً، شراب شعير احتفال الشتاء يُباع في هذا النوع من الحاويات. أخيراً، أظن أنه لا يمكننا حقاً استبعاد احتمال أن يكون العمل انتقاماً.

تابَعوا مناقشة الفرضيات المختلفة حتى الظهر تقريباً، عندما بدأ اليوم يشرق

أخيراً، هذا إذا أمكن اعتبار ذلك الضوء المعتم نهاراً، فظلمة الشتاء تخيِّم على المدينة مثل شراع رمادي سميك، وهناك نُدَف ثلج كبيرة تحوم بلطف عند النافذة. يفقد إرلندور صبره عادة عندما تطول الاجتماعات، لذا وزَّع المهام على زملائه حالما أصبح قادراً على فعل ذلك. سيذهب مع سيغوردور أوْلي إلى المدرسة حيث عمِل هالدور لمقابلة المدير وزملائه السابقين، وستنقّل مجموعة من رجال الشرطة من منزل إلى آخر في حي ثينغهولت لسؤال المقيمين إن لاحَظوا أي شخص مشبوه يتردّد في الشارع، وستذهب مجموعة ثانية إلى محطات الوقود في البلدة وحولها لسؤال العاملين هناك إن رأوا رجلاً يملأ صفيحةً سعتها عشرة ليترات بالبنزين، وكُلِّف فريق صغير بإيجاد قيود مشابهة لتلك التي عُثر عليها في مسرح الجريمة. سيتولى إرلندور لوحده مهمة التحدّث مع الصحافة، فلا يجب أن يتسرَّب أي خبر عن التحقيق الحسّاس جداً: المشبوهون الوحيدون في الوقت الحاضر هم طلاب المدرسة. تخيَّلوا الفضيحة في الصحف! زمجرَ إرلندور وهو يتخيَّل نفسه يحاول تبرير هذا القرار. سيتابع فريق الأدلة الجنائية البحث عن أدلة في أطلال المنزل، وقد نُصبَت خيمة كبيرة في المكان يدفئها منفاخ هواء ساخن يعمل ليلاً نهاراً.

13

يمكن سماع الرنين المكتوم لهاتفٍ في المنزل الذي يضم ثمانية هواتف، لكن رقم هذا الجهاز غير مذكور في الدليل. إنه هاتف خلوي مخبّأ في جيب رداء معلَّق على شمّاعة في أحد الحمّامات الأربعة، ومالكه، وهو سبعيني يتمتّع بصحة جيدة وعضلات قوية وبشرة مسمَرّة، يأخذ دُشاً ولم يسمعه إلا بعد وقت طويل. أغلق الحنفية، وأمسك الرداء، والجهاز يتابع رنينه، وأخرجه الرجل من قعر جيبه وردَّ باقتضاب.

يقع المنزل في خليج كالارنْيَس، على بُعد عشرين كيلومتراً من ريكيافيك، حيث يبني كل الذين يريدون حماية أنفسهم من ضجيج المدينة وتلوّثها وصخبها منازلهم. كان أحد تلك المنازل، وهو الأكبر ويقع على قطعة أرض بعيدة ومخفية عن بقية العقارات السكنية، من بين أوائل البيوت التي بُنيَت هناك، ويقف على نقطة صغيرة ناتئة في البحر، ويتضمن جناحين أسمنتيين ضخمين ونوافذ قليلة جداً، ويحيطه سور أسمنتي سميك فيه بوابة كهربائية كبيرة. في المرأب الذي يمتدّ نحو الساحل ويمكنه أن يتّسع لأربع مركبات، هناك سيارتا مرسيدس-بنز وجيب باجيرو. لم ير الجيران المالك أبداً، وتخيَّلوه غريب الأطوار أو رجلاً يأتي في هَبَّة رياح فقط. لم يكن يتدخّل بشؤونهم ولا يتدخّلون بشؤونه، ويمكنهم أحياناً رؤية سيارات سيدان تسير بأقصى سرعتها على الطريق المؤدي إلى المبنى، وافترَضوا أنهم حرّاسه الشخصيون. حتى أولادهم لا يتجرّأون على الاقتراب من هناك.

هذا المنزل الذي يشبه حصناً هو قصر حقيقي من الداخل، فأعمال أهم الرسامين في البلد تزيّن الصالون الكبير الموجود في أحد الجناحين، وحتى أن هناك لوحة بريشة سيزان، وهي اللوحة الوحيدة التي يملكها آيسلنديٌ. يتضمن المنزل ثلاث مداخن، ووُضعَت تماثيل هنا وهناك في قاعة الاستقبال، وفُرشَت

الأرضيات بجلود حيوانات، وهناك فرو دب قطبي هائل يستريح أمام الموقد الكبير في الصالة الرسمية، وقد جعلته روعة المكان عاجزاً عن الكلام. كما توجد مكتبة غنية تحتلّ نصف الجناح الآخر.

– هالدور مات، قال الصوت على الطرف الآخر للخط بنبرة باردة.

خرَج الرجل من الحمّام عارياً وارتدى الرداء.

– سمِعتُ ذلك في نشرة الأخبار.

– لم يكن من الممكن أن يموت ميتةً أشنع من ذلك.

– هل تكلَّم مع أحد؟

– يبدو أنه ذهَب إلى المستشفى عدة مرات لزيارة دانيال وتكلَّما كثيراً. لقد هدَّدني هالدور قائلاً إن لديه أدلة على كل هذا وسينشرها قريباً، وإنه سجَّل محادثاته مع دانيال. لقد فقد ذلك الرجل صوابه بالكامل.

– ماذا تقصد أنه سجَّل محادثاته؟ هل تقصد على كاسيتات؟

– أظن ذلك.

– وعما دارت تلك المحادثات؟

– ربما علاقاته بنا. ربما الأيام الخوالي في المدرسة. لا أعرف. أخيراً، لا أعتقد أننا يجب أن نأخذ كل هذا على محمل الجد. كان هالدور قد بدأ يُضجرني بتهديداته المتواصلة، رغم أنه لم يتجرّأ على تنفيذها أبداً.

– بما كان يهدِّدك؟

– بإفشاء كل شيء. كان يشعر بذنب كبير، ولم يفهم أبداً هذه القصة كلها.

– لقد حان الوقت أن يختفي.

– أما بالنسبة لدانيال فقد انتحَر.

– نعم، علمتُ ذلك أيضاً.

– إنه السابع. رمى نفسه من نافذة المستشفى ومات فوراً. ربما لم يتحمَّل سماع ما أخبَره به هالدور.

– على الأقل لم نعد مضطرين إلى القلق بشأنه.

– إذاً لم يبقَ سوى سيغمار؟

– نعم، سيغمار المسكين. ثم سيطمئن بالنا.

– حان الوقت لنضع حدّاً لكل هذا.

– فعلاً. لكن قد تواجهنا مشاكل كبيرة إذا كان هالدور قد سجّل تلك المحادثات على كاسيتات، وإذا كان دانيال قد ذكر إسمنا في هذيانه.

– ربما. ومع ذلك، يمكننا دائماً الادّعاء أنها مجرد جعجعة عجوزٍ مصابٍ بالفُصام. مَن سيصدِّق هكذا شخص؟ لا أعتقد أنه يمكن حشرنا بإفادتهما. كما أنهما ماتا الآن.

– ومع ذلك ألا تعتقد أنه من الأفضل أن تحاول الحصول على تلك الكاسيتات أو تتحقّق من وجودها فعلاً؟ إذا شاع ما يعرفه هالدور فقد يكلّفنا ذلك غالياً جداً.

– نعم، من الأفضل أن نتحقّق، رغم أنه لا يمكنني أن أتخيّل هالدور ينخرط في هكذا نوع من الألاعيب. كان مجرد رجل مسكين، مجرد منحرِف لا يملك دليلاً ليبرهن تدخّلنا في أي شيء.

– هل وصلك خبر من الكوريين؟

– يريدونك أن تذهب إلى هناك، ولا يريدون القدوم إلى آيسلندا. ذلك الرجل عجوز جداً ويرفض القدوم إلى هنا بشكل قاطع. عليك أن تذهب.

– مستحيل. سيأتي في نهاية المطاف. لا يمكنه أن يدع هذه الفرصة تفوته. ونحن الوحيدون الذين يمكنهم إعطاؤه ما يريده. أنا متأكد من ذلك.

– ممتاز. هل رحل الألمان؟

– نعم، ليلة أمس.

– وكيف حال الفتيان؟

– بخير. يكونون بخير دائماً عندما يتواجدون في آيسلندا.

– إذاً كل شيء جاهز؟

– كل شيء جاهز، أكّد الرجل في رداء الحمّام وهو ينزع شعرة نائتة من مِنخَره بملقط صغير، لكنه فعل ذلك بشكل أخرق بحيث سالت دموع من عينيه.

14

توسَّعت ريكيافيك شرقاً بسرعة خلال الأربعينات والخمسينات، وساعد الازدهار ما بعد الحرب في ذلك، فلم يحصل أبداً من قبل أن هجر هذا العدد الكبير من الناس الريف ليستقرّوا في المدينة حيث نمت الأبنية بسرعة الهندباء في الحقول، وغزت الأبنية والمنازل مقاطعات لاغاليتي وراينسغردي وبروارليتي وڤيديغردي، تماماً مثل محيط شارع غرينيفيغور الذي استقرّ فيه أشخاص من كل الطبقات الاجتماعية، فعاش العمّال والحِرفيون في أبنية غطت ظلالها المستقيمة قمة التَلّتين فجأة. وشاع بناء منازل متلاصقة بأحجام مختلفة وذات طابقين أو ثلاثة طوابق بين كتل الأبنية لتكون عياداتٍ للأطباء ومكاتب لتجّار الجملة. انتقل الأثرياء إلى فيلات كبيرة في شارع ستاكاغردي أو شارع فافنيسغردي، وعاش الفقراء في الشقق الشعبية التي بنتها المدينة في شارع غرينيفيغور، وسرعان ما لقبّها الناس غرينيد، أو العشوائيات. وأُنشئت مدرسة ڤيديغردي في وسط هذه المقاطعة في أوائل الستينات، وتألف جزؤها القديم من مبنى ذي طابق واحد يضم رواقين طويلين يؤديان إلى غُرف التدريس الموجودة على اليمين، وفي نهاية الطابق الأرضي تقع غرفة الأساتذة ومراحيض الطلاب. في غضون سنوات قليلة، أصبحت المدرسة صغيرة جداً لتتّسع لأولاد الحي، فتم تكبيرها بإضافة جناحين بنفس طراز المبنى الأولي، وتم وصل كل شيء بأروقةٍ، ثم شُيِّدَ الجناح الرابع لاحقاً، مع نادٍ رياضي وحوض سباحة. شكّل هذا الصرح نموذجاً لبقية الصروح التي بُنيَت في الأقاليم، وأصبح من الممكن رؤية نُسخ مطابقة لمدرسة ڤيديغردي في كل أنحاء آيسلندا، وكانت تتألف أحياناً من مبنى واحد، وأحياناً من مبنيين أو ثلاثة.

حين ذهَب إرلندور وسيغوردور أوْلي إلى هناك، كان قد تم ترميم جزء من الأبنية بعدة ملايين الكرونات، ولم يبق سوى ترميم المبنى القديم الذي تم تأجيله

عندما أُقرّ المشروع، وحدَّدت الوزارة أنها تحتاج إلى سنتين على الأقل لتحصل على التمويل المطلوب. يضم ذلك المبنى موظفي المدرسة وفريق الإدارة، ولا تزال هناك ثلاث غُرف تدريس فيه تُستخدَم للتعليم. أما غرفة الأساتذة السابقة، التي كانت مخصّصة ذات يوم لكل الموظفين، فأصبحت اليوم مكتب المدير وسكرتيرته.

عُيِّنَ ذلك المدير الخمسيني حديثاً، ولا شكّ أنه اضطر إلى انتظار بعض الوقت ليتبوأ هذا المنصب، بعد أن بقي كبير الأساتذة في مدرسة أخرى حيث بقي ينتظر ترقيته. وقد ابتهج كثيراً عند شغور المنصب في مدرسة قيديغردي، خاصة أنه يعيش في الحي.

بعد أن عرَّف عن نفسه مع سيغوردور أوْلي، دخل إرلندور صلب الموضوع دون مواربة فور جلوسهما على كرسيين صلبين غير مريحين بمواجهة المدير الذي افترَض أنهم سيأتون لاستجوابه عاجلاً أم آجلاً. شَعَر إرلندور كما لو أنه تلميذ جرى استدعاؤه إلى مكتب المدير ويتوقع أن يتلقى توبيخاً، فقد حصل هذا الأمر أكثر من مرة خلال سنواته المدرسية.

– ما حصل لهالدور مريع حقاً، قال مدير المدرسة مستهلاً الحديث. كان كريستن بديناً، ويضع شعراً مستعاراً مجعَّداً يعرف الجميع أنه يُخفي به صلعه. لو أخبَره أحدهم أن حله أسوأ بكثير من مشكلته، لتخلّى ربما عن كامل تشكيلة الشعر المستعار ذات الأطوال المختلفة التي لديه وفوراً، لكن لم يتجرّأ أحد على فتح هذا الموضوع، وزوجته تفضِّل رؤيته يضع شعراً مستعاراً لأنه يجعله يبدو أصغر سناً. هذا لم يمنع سخرية الطلاب منه عندما يسير في أروقة المدرسة، وقد لقَّبوه كريسي باروكة. كريسي باروكة بشعره المجعَّد مثل *خروفة* – مااااااء...

– لقد تكلَّمتَ مع زميلي سيغوردور أوْلي عن مصاعب هالدور مع الطلاب، وبما أنه ليس لدينا أي مشبوهين، علينا أن نركِّز على مدرستك وطلابها، ردَّ إرلندور ولم يستطع أن يمنع نفسه من أن يحكّ عُفرته الكثيفة.

– بمعنى؟

– يجب أن تفهم أن هذا الحديث يجب أن يبقى سراً بيننا. هذا مهم جداً، فهي جريمة قتل.

– هالدور قُتل؟

– هذا ما يبدو.

– عفواً؟ لا أفهم! مَن سيرغب أن يؤذي هالدور المسكين؟

– ربما طلاب سابقون؟

– طلاب من هذه المدرسة؟ لا أرى إلى أين تريد أن تصل في هذا. هل تقترح أن بعض طلابي يمكن أن يرتكبوا جريمة قتل؟

– كل شيء ممكن.

– هذا سخيف. آمل ألا تُخبِر الصحافة بهذا لأنه سيكون كارثة على المؤسسة. وماذا سيقول أهالي الطلاب؟

– يمكنك الاتكال علينا، طمأنه إرلندور. وسنعتبر أيضاً أن هذا الحديث الذي نجريه معك الآن لم يحصل. لقد حذَّرتُ زملائي مسبقاً والكل يفهمون جيداً أن هذا الخبر لا يجب أن ينتشر أبداً. ورغم ذلك، لا يمكننا استبعاد فرضية أن بعض طلاب مدرستك لعبوا بالنار.

– ماذا تريد أن تعرف؟ سأل كريستن. ملف هالدور معي هنا، وهو أحد أقدم الأساتذة في هذه المدرسة. أتى إلينا من إقليم سودورلاند حيث علَّم في هڤولسڤولور، وعمِل هنا لحوالي خمس وثلاثين سنة. لم يكن يُفترَض به أن يتقاعد قبل السنة القادمة، وكان أستاذاً ممتازاً، خاصةً في شبابه حسبما قيل لي. بقي بعيداً عن زملائه في غرفة الأساتذة ولم يكن لديه أصدقاء كُثُر، ويمكن القول إن أفضل شخص عرَفه كان زميله أستاذ الرياضيات يواكيم، لكنه تُوفِّي العام الماضي. يمكنني أن أعطيك ملفه إذا وعدتني أن تعيده لي، ختم كلامه وهو يعطي إرلندور ملفاً رفيعاً.

– أخبَرتني عن المصاعب، عن طلاب بصَقوا في وجهه، علَّق سيغوردور أوْلي بنبرة تفكير عميق.

– برأيي، لم يكن للأمر أي علاقة بهالدور نفسه، فهذا النوع من الأمور يحصل في كل المدارس، وقد مررنا بظروف صعبة. الأساتذة يكبرون في السنّ، ويصبحون عجزةً فجأة. كنا منذ وقت غير بعيد نخصِّص صفاً خاصاً للحمقى ونعيِّن له الأساتذة الكبار في السنّ الذين يرون الويل في الواقع إذا أظهروا أي ملامح ضَعفٍ. كانت هذه طريقة المؤسسات لتنحّي جانباً الأساتذة القدامى

والطلاب السيئين، وكان أولئك الأولاد القذرون يشعرون أن أساتذتهم ضعفاء وفي نهاية مسيرتهم المهنية، لذا لا يتردَّدون في البصق عليهم. تحسَّن الحال عندما ألغينا تلك الصفوف، لكن بقي عدد كبير من الأساتذة الكبار في السنّ يكافحون، وبشكل مُقلِق أحياناً، لأنهم لا يُدركون طرق التعليم الجديدة وتابعوا التدريس بطرق تعود إلى بدايات مسيرتهم المهنية. لقد توقَّفوا عن إثارة اهتمام الطلاب منذ زمن طويل والأولاد يلحظون نقاط ضَعفهم.

– وكان هالدور من ذلك الصنف من الأساتذة؟ علَّق إرلندور.

– نعم، أحد أسوأ الأمثلة. لم يعد المسكين يستحق أن يسمّى أستاذاً، وحاوَلتُ إقناعه أن يتقاعد منذ ثلاث سنوات، ثم أعدتُ الكرّة منذ سنتين، لكنه رفض أن يصغي لي. لم يكن أستاذاً سيئاً، مثلما قلتُ سابقاً، لكن لم تعد لديه أي سلطة عليهم. أنا متأكد أنه أحبّ طلابه، فقد كنتُ أشعر بذلك كلما كلّمتُه.

– لكنهم كانوا يضايقونه.

– بالفعل. واللحظة الفاصلة كانت عندما بصَقوا عليه في فناء المدرسة منذ حوالي سنة. نادراً ما نتكلَّم عن التنمّر الذي يعاني منه الأساتذة، ونركِّز أكثر على ما يمرّ به بعض الطلاب، وهذه خبرة مُرعِبة، لكن يصدف أيضاً أن يواجه الأساتذة ذلك. لم تُجرَ أي دراسة في آيسلندا، لكن يُقال إن عشرة بالمئة من الأساتذة في النروج يتعرّضون للتنمّر، وأشكّ أن تكون النسبة المئوية أقل لدينا.

– كم عمر أولئك الطلاب؟

– كان هالدور يدرِّس الصف الرابع، لذا فإن سنّهم بين الثانية عشرة والثالثة عشرة.

– وماذا حصل؟

– ليسوا أولاداً سيئين، لا تصدِّق ذلك أبداً. كان هناك حَشد صغير منهم في الفناء، وكان هالدور مسؤولاً عن الحصص البديلة، وقد درسوا حصة رسم في وقت سابق من ذلك الصباح مع أستاذة بديلة أخرى دخلت مكتبي باكيةً. عندما ذهبتُ إلى الغرفة، وجدتُ الطلاب هائجين تماماً. نجحتُ في تهدئتهم، لكن ليس كلياً، وتفاقمت الأمور منذ حصتهم الأولى مع هالدور. الأولاد أحياناً

وحوش حقيقية، وقد لاحَظ أن بعضهم يأتي باستمرار ليتكلّموا معه بينما يراقب فترة الاستراحة، وعندما أخبَرني بذلك، قال إنه يجده أمراً جميلاً. لا يوجّهون الحديث إليه عادة، لكن بينما يكلّمه أحدهم لإلهائه، يتسلّى آخران بالبصق على ظهره. كل طلاب الحصة فعلوا ذلك، ولم يفهم لعبتهم إلا بعد فات الأوان. ثم اندفع عليه فجأة كل طلاب الحصص الأخرى في الفناء، وأتى إلى مكتبي والبُصاق يغمره.

– ماذا أخبرك؟

– بدا لي أنه لم يعتبر الأمر سيئاً جداً، لكنني أظن أن الصدمة أصابته لاحقاً، وما فاجأني هو قوله في النهاية إنه نال ما استحَقه. تلك كانت كلماته الحرفية، لقد نلتُ ما أستحقه.

– أخبَرتنا أخته عن أحداثٍ حصلت في المدرسة منذ عدة سنوات، قال إرلندور. هل يذكّرك هذا بشيء؟

– على الإطلاق. عليك أن تسأل المدير السابق ربما يعرف شيئاً عن الموضوع. يهتمّ الأساتذة كثيراً باحترام خصوصيتهم، وهذا مفهوم لأن الأولاد، ناهيك عن الأهل، متطفّلون جداً أحياناً لدرجة أنك تتساءل إن كانوا يعتبرون الأساتذة من ممتلكاتهم الخاصة.

– لمّحَت أيضاً إلى تعرّضه لاعتداء جنسي في طفولته، قال إرلندور على مضض لأنه لا يحبّذ كشف خصوصية الآخرين، خاصة إذا كان لا يثق بمُحاوِره، لكن لا يزال عليه طرح الأسئلة. نعرف أن تأثير هكذا اعتداء يتجلّى على الأرجح لدى الذين تعرّضوا له، تابَع يقول وهو يختار كلماته بعناية.

– هل تعرف إن اعتدى هالدور على طلابه جنسياً؟ سأل سيغوردور أوْلي بلباقته المعهودة.

– يا للهول! صاح كريستن. ما معنى هذه الاتهامات؟!

لم يأتِ كُتُر إلى جنازة دانيال، وجرت المراسم في الجناح الصغير لدار عبادة فوسڤوغور الاثنين التالي، وحضرها پالمي وجارته داغني، ويوهان ومُشرِفان آخران من المستشفى، وكذلك رجلٌ تذكّر پالمي أنه رآه من قبل، لكنه نسي إسمه، عِلماً

أنه وصل بعد بداية المراسم وجلس في الجهة الخلفية لدار العبادة محاولاً عدم لفت الأنظار إليه. پالمي زميلٌ سابقٌ في الكلّية لرجل الدين الذي ألقى كلمة شدَّد فيها على عدم إهمال حسن الضيافة حتى للغرباء، وضرورة أن يتذكَّر المرء الذين في ضيقةٍ كما لو أنه هو نفسه في تلك الضيقة.

اقترح رجل الدين أن يُفتَح التابوت لوداع المتوفى قُبيل الدفن فقط، لذا بعدما أنهى مراسم الجنازة وفُتح النعش المبطَّن، بدا رأس دانيال مرفوعاً قليلاً على وسادة مائلة جانبياً، ووجهه مخفياً تحت قطعة قماش بيضاء صغيرة. نهض كل واحد بدوره إلى التابوت ورسم علامة الخشوع على وجهه، وانحنى الغريب الذي وصل متأخراً ورفع قطعة القماش البيضاء بلطف، ونظَرَ إلى دانيال للحظةٍ طويلةٍ، وطبع قبلةً على شفتيه ورسم علامة الخشوع. ألقى پالمي نظرة سريعة على داغني، ووجد أنها هي أيضاً وجدت هذا التصرّف لطيفاً، وتساءل لماذا لم يفعل مثله، وشَعَر بالخجل تقريباً.

دُفن دانيال بجانب أمه في الجزء الحديث من المقبرة، حيث كان پالمي قد اشترى مدفناً على إسمه من قبل. حَمَل ويوهان التابوت مع عمّال الحانوتي، وتبِعهم الغريب إلى القبر حيث رمى فيه حفنة تراب مثل كل شخص آخر. لم يكلِّمه أحدٌ، ولم يتكلَّم مع أحدٍ، وعاد إلى دار العبادة بخطوات كبيرة. لحِق به پالمي وقدَّم نفسه قائلاً إنه أخ دانيال، وقد بدأ الثلج يتساقط بغزارة، وبالكاد يمكن الرؤية على بُعد بضعة أمتار فقط، لكن الجو كان لطيفاً.

– مرحباً، ردَّ الغريب بلطف، وأشاح بنظره عند وصولهما إلى مرأب السيارات أمام دار العبادة. كان رجلاً طويلاً ونحيلاً، ولديه لحية طويلة وشعر طويل، وبدا فقيراً مرتدياً سترةً خفيفةً وسروال جينز وحذاءً رياضياً، وهي ملابس غير ملائمة لفصل السنة، وبدا أنه يرتعش. لاحَظ پالمي الإبزيم النحاسي الضخم على حزامه الذي يُظهر وجه زعيم هندي عجوز.

– لم يكن لدى دانيال أصدقاء كُثُر، وعليَّ أن أعترف أنني فضولي قليلاً، فلديَّ شعور أنني رأيتُك من قبل.

– أتذكَّرك أيها الصغير، ردَّ الرجل وهو يتجنَّب النظر في عينيه.

– أيها الصغير؟ إذاً أنت تعرف دانيال منذ أن كان ولداً؟

– أنت بالمي، أليس كذلك؟

– نعم.

– أتذكَّرك في عربة الأطفال، فقد كنا نأخذك في نزهة دائماً. علمتُ بوفاة داني من الصحف، وكنتُ أتوقَّع ذلك منذ فترة طويلة، فلطالما عرَفتُ أن الأمر سينتهي بهذه الطريقة. كان دانيال أفضل واحد بيننا.

– كنتَ معه في المدرسة؟

– نعم، في نفس الصف.

– بالمناسبة، ما اسمك؟

كان الرجل على وشك أن يرحل ويختفي خلف ستارة الثلج السميكة، لكن بالمي أمسكه من ذراعه.

– ماذا تقصد بأنك كنتَ تتوقع ذلك منذ فترة طويلة؟ عما تتكلَّم؟

– ألم يُخبِرك؟ تساءل الرجل الذي حرَّر نفسه من قبضة بالمي قبل أن يبتعد.

– ما الذي لم يُخبِرني إياه؟ صاح بالمي جاهزاً للحاق به وقد اقتربت داغني ويوهان من مرأب السيارات، وأكمل الغريب ابتعاده تحت الثلج المتساقط. ماذا كان عليه أن يُخبرني؟ مَن أنت؟

أسرع خلفه، فصاح له الرجل شيئاً ثم انطلق كالسهم واختفى على الفور خلف النُدَف. توقَّف بالمي وقد جمُد في أرضه، فما قاله له هذا الغريب للتو أرعبه.

– مَن كان هذا؟ سألت داغني وهي تركض نحو صديقها. ماذا أخبرك؟ ماذا يجري يا بالمي؟ أنت شاحب تماماً.

– كبسولات زيت كبد القد، رَدَّ.

– ماذا؟ سأل يوهان الذي انضم إليهما للتو، وراح ينقل نظره بين داغني وبالمي. بقي الثلاثة واقفين هناك بملابسهم السوداء، وقد أحاطتهم نُدَف الثلج المتساقطة عليهم ومن حولهم. بقدر ما تستطيع أن تراه العين، مدَّت المدينة مجسّاتها في عدة هالات ضيائية مثل شِعاب مرجانية في قعر هاويةٍ.

– أخبَرني أن تلك الكبسولات احتوت على شيء غير زيت كبد القد، قال بالمي.

15

في غرفة الجلوس في شقتها، راحت هيلينا تتذكَّر الماضي، ورغم مُمانعتها، إلا أنها استسلَمت في نهاية المطاف لحجج الرجل الجالس على الكرسي أمامها. كانت قد خبطت الباب في وجهه في البدء طالبةً منه أن يتركها وشأنها، لكن أمام إصراره، تركته يدخل أخيراً. يدعى پالمي، وقد أخبرها أن أخاه انتحر منذ وقت قصير بعد أن أمضى كل حياته في مصحّة عقلية، وأن أخاها هالدور كان أستاذه وقد زاره عدة مرات في المستشفى. رأى پالمي نعي الأستاذ السابق في الصحيفة وأراد أن يسأل أخت المتوفى بضعة أسئلة. لقد أبدى هذا الشابّ المهذّب جداً اهتماماً كبيراً برسم كجارڤال وراح يشيد كثيراً بأناقة شقة هيلينا. من الواضح أنه يعرف كيفية مخاطبة السيدات العجائز اللواتي يعشن لوحدهن مثلها في شقة للمسنّين. حصل هذا اللقاء بُعيد جنازة دانيال.

– لسوء الحظ، شرَح پالمي، لم نكن مقرَّبين من بعضنا أبداً، وأخشى أن الذنب ذنبي، فلطالما تجنَّبتُه ولم أرغب بمعرفته حقاً، ومع ذلك لم يكن لديه أحد غيري. وبعد وفاة أمنا، ابتعدتُ عنه أكثر فأكثر، رغم أن موتها كان يجب أن يقرّبنا من بعضنا، لكن العكس هو الذي حصل، وهذا ذنبي. كان دانيال مريضاً ويحتاج إليَّ وكنتُ أهرب منه. كنتُ أزوره مرةً في الأسبوع لكن على مضض، وأشعر بالارتياح كلما غادرت ذلك المستشفى. يمكن تبرير ذلك أيضاً بحدثٍ حصل بينه وبيني عندما كنتُ صغيراً، فلطالما اعتبرتُه وحشاً. أما اليوم فأفهم أنه كان عليَّ أن أساعده منذ وقت طويل. أودّ الآن أن أحاول فهم مَن كان حقاً. ما عاشه قبل أن يمرض. لماذا مرِض. كيف عاش. باختصار، مَن كان دانيال؟

باح پالمي بكل هذا لهيلينا، وبقيت تُصغي له جيداً وشَعَرت أنه صادق، وأحسَّت بألمه رغم أنها لم تفهمه حقاً، وكانت متلهّفة لمساعدته. صحيح أنها لم

تعرف ما الذي يريده منها بالضبط، لكنها كانت مصمِّمة على الإجابة على كل أسئلته دون إخفاء أي شيء عنه، خلافاً لما فعلته مع الشرطيين. اعترَفت له أن رَجلين أتيا لإبلاغها بموت أخيها، وحدَّدا لها أنه قُتل.

– قُتل؟ هالدور؟ ردَّ پالمي بارتياب.

– حُرق حيّاً. هل يمكنك أن تتخيَّل شيئاً كهذا؟

– لم يذكروا ذلك في الأخبار.

– فتحت الشرطة تحقيقاً في جريمة قتلٍ. الرجلان اللذان أتيا إلى هنا لم يستمعا حتى إلى شكوتي عن طريقة عمل هذا المبنى. كان أحدهما ودوداً جداً، والآخر عصبياً ومتوتّراً. أعتقد أنني أتذكَّر أن إسم الشرطي الطيب هو إرلندور. كلاهما يعملان في الجنائية.

– هل يعرفان لماذا قُتل؟ هل لديهما مشبوه؟

– لا يعرفان دافع الجريمة وليس لديهما أي مشبوهين. أخبَرتُهما عن أولئك الأولاد القذرين في المدرسة والمآسي التي جعلوا هالدور يعيشها. أظن أنهم قتلوه في نهاية المطاف. لقد بقي هالدور حزيناً في تلك المؤسسة لوقت طويل، فالطلاب يكرهونه وقد أذاقوه الويل.

– هل تعرفين السبب؟

– أخبَرني هالدور أن الأساتذة القدامى يعانون في أغلب الأحيان، وأقرّ أنه كان عليه أن يتقاعد قبل ذلك بكثير، لكنه لم يقدر على ذلك، وشَعَرتُ أنه أراد أن يواصل التعليم حتى وفاته. لم يكن أستاذاً سيئاً رغم أن لديه عيوباً.

– لكن لماذا رفض أن يتقاعد؟

– أعتقد أنه شَعَر بالذنب، وذلك الشعور بالذنب تفاقم فحسب على مر السنوات، وصدَّق أن مواصلته التعليم ستمكّنه من تصحيح أخطائه الماضية. لم أُخبِر ذينك الشرطيين، فقد أخبَرتُهما بما فيه الكفاية. أخبَرتُهما أن هالدور تعرَّض لاعتداء في طفولته، وحاوَلا دفعي إلى البوح بالمزيد، لكنني تمنّعتُ.

بقي پالمي يستمع بصمت وهو جالس مقابل هيلينا.

– لم تكن ردّة فعلي بليغة جداً عندما أخبَراني أنه قُتل، فقد تعلَّمتُ منذ أن كنتُ صغيرة أن أروي الأمور مثلما هي وأن أقول الحق دون مواربة. لم يكن

هالدور رجلاً سيئاً، وعلى الأرجح ما كان ليُخبرني أبداً بما حصل له في طفولته لو لم ينحرف هو نفسه ويصبح عاشقاً للأطفال. لقد أبقى ذلك سراً دفيناً طوال تلك السنوات دون أن يُخبر أحداً، وقد أخبَرني أنه عانى منه كثيراً، خاصة أن ميوله المنحرفة تلك تجلّت لديه بُعيد شغله ذلك المنصب في مدرسة ڤيديغردي. كان قد انتقل إلى ريكيافيك بعد تعليمه لبضع سنوات في هڤولسڤولور، وأظن أن شيئاً ما حصل هناك أيضاً.

– لا أتذكَّر أخاك غير الشقيق جيداً، أقرّ بالمي. كنتُ ودانيال تلميذين في مدرسة ڤيديغردي، وأنا أصغر منه بسنوات عديدة، وهالدور لم يعلِّم صفي أبداً. أتذكَّر فقط أنه كان أحد الأساتذة في المدرسة.

– المسكين أحبَّ وظيفته كثيراً، وأحبَّ العمل مع الأولاد، وأعتقد أنه كان أستاذاً جيداً. بالطبع، لا يمكن الغفران للرجال الذين سبّبوا الاعتداءات التي ارتكبها، والحقيقة هي أنه كان طيب القلب. لم تكن الحياة منصفة معه.

– تقولين إن شيئاً حصل في هڤولسڤولور، كيف ذلك؟

– اعتدى على الأولاد.

– تقصدين ضايَق الفتيات؟ سأل بالمي.

– الفتيات؟ كرَّرت هيلينا متفاجئةً. لا، كان يفترس الفتيان.

بعد قولها هذا، أعطته ملخصاً عن حياة هالدور.

– وُلد عام 1929 من أُم تدعى فريدجردور نَسبت أبوّته إلى الفارس المشهور ومتسلّق الجبال سڤاڤار هيدنسون. لم يعترف سڤاڤار أو ينكر أي شي، ولم يهتَمّ بالصغير أبداً، لكن سجلات دار العبادة تذكر أنه الأب، ولطالما تساءلتُ إن كان أخي حقاً، لكن هالدور كان متأكداً من ذلك واعتبرني دائماً كاتمة أسراره. فريدجردور من إقليم المضايق الغربية الذي غادرته في شبابها لتعمل في إقليم سودورلاند كعاملة يومية، واعتبرها كثيرون ساذجةً. كانت غريبة الأطوار جداً، وصعب العيش معها، وفظّة ومفترية، وتتصرَّف بشكل سيئ في المجتمع، وسُمعتها سيئة بإنها لا تتردَّد في مضاجعة الرجال. لم تكن تمكث طويلاً في نفس المزرعة، وغالباً ما تنتهي إقامتها بفضيحة. تقدَّمت بشكوى ضد فلاحَين استخدماها في منطقتَي لاندسفايت وميردالور، لكن القضيتين طُمستا، وادّعى السكان المحليون

أن شيطاناً يسكن فريدجردور تلك، وأنها تبحث عن المشاكل عن قصد.

هالدور إبنها الوحيد، وقد ربّته بمفردها، وكان يتبعها في كل مكان، لكن لا أحد يستطيع القول إنه تلقّى حنان الأم منها، بل على العكس تماماً. أما بالنسبة لأبيه فبالكاد رآه يوماً. عندما كان في السابعة من عمره، توظّفت أمه كعاملة منزل في وادٍ بعيدٍ في المضايق الشرقية لدى أخوين أعزبين من دون أولاد وسُمعتهما سيئة. أمضت فريدجردور ثلاث سنوات معهما، وخلال ذلك الوقت اعتدى الرجلان على هالدور جنسياً.

بدأت تلك الاعتداءات الجنسية بعد بضعة أسابيع على وصولهما إلى هناك، وكان هالدور يقوم بأعمال غريبة في المزرعة، حيث يبحث عن الأبقار، ويُطعِم العجول، وذات مساء حاصره الأخوان في الحظيرة وأجبراه على... يا للهول، لا أقدر على لفظ ما حصل! يا للعار! لقد دام ذلك ثلاث سنوات!

– وفريدجردور؟ استفسر پالمي بعد صمت طويل. ألم تفعل أي شيء لإيقاف ذلك؟ ألم تترك تلك المزرعة؟ ألم تقم بأي ردّة فعل؟

كانت هيلينا تذرف دموعاً صامتةً.

– برأيي، لم تكن بكامل رشدها، رَدَّت. ووفقاً لهالدور، لم تحاول حمايته أبداً، يا لها من سافلة، يا لها من امرأة قذرة!

عمَّ الصمت الغرفة، ولم يعد يمكن سماع غير تكتكة الساعة القديمة التي تزيِّن الجدار. نهض پالمي بعد لحظة وعرض إعداد القهوة فأومأت برأسها.

– إذا لم يكن لديك مانع يا بنيّ.

وجَد ما يحتاج إليه في المطبخ الصغير، ووَضَع مصفاةً وبعض القهوة في صانعة القهوة التي على الطاولة، وأحضر كوبين وبعض السكر، وملأ مرطبان الحليب الصغير، ثم وَضَع كل شيء على صينيةٍ وانتظَر أن تجهز القهوة. عندما عاد إلى غرفة الجلوس، كان وهيلينا قد خرجا من حزنهما قليلاً، وسألته إن كان يريد بعض المعجنات المقلية، فهناك كيس منها في الخزانة التي بجانب الموقد.

– لا أمانِع، شكراً، رَدَّ عليها وذهب ليُحضر الكيس. ثم شرِبا قهوتهما بينما أكلا بعض كعكات الدونات الآيسلندية النموذجية تلك وهما يُصغيان إلى تكتكة الساعة.

– ماذا حصل لذينك الأخوين؟ سأل بالمي مستفسراً.

– ماتا منذ وقت طويل.

– وفريدجردور؟

– لحسن الحظ أنها تركتهما أيضاً في نهاية المطاف. ربما طفح الكيل لديها منهما، أو ربما شَعَرت بذرّة حُب أمومي في داخلها. وَصَلت إلى ريكيافيك مع بداية الاحتلال البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما تأقلمت مع الأجواء هناك، وعاشت ببيع حُسنها للجنود. سكنت مع هالدور في شقة في الطابق السفلي في الحي الغربي، وعاشا عيشة جيدة، وحتى أفضل بعد وصول الأميركيين، لكن الأمور انتهت بشكل سيئ. ففي شتاء 1944، عُثر عليها متجمِّدة حتى الموت أمام ثكنة كامب نوكس، ولم يُعرَف أبداً ما الذي حصل. كانت ترتدي ملابس خفيفة، وشُوهدت قبل ليلةٍ في حفلة للجنود، لكن لم يُعرَف كيف وَصَلت إلى ذلك المخيَّم العسكري ومَن الذي أحضَرها إلى هناك. كان الجنود على وشك مغادرة آيسلندا، ولم يُجرَ أي تحقيق. أظن أن الشرطة لم تجد فائدة من ذلك، ولم يهتموا بموت امرأة من البرد أمام ثكنةٍ.

– كان هالدور في السادسة عشرة أو السابعة عشرة وقتها، علَّق بالمي.

– نعم. وكانت أحواله جيدةً جداً، حيث كان يعمل في متجر توماسربود كموظف توصيل ومندوب مبيعات. أراد أن يتواصل مع أبيه وأخوته، رغم أن سقاقار العجوز لم يهتمّ لأمره أبداً، وذهَب هالدور لرؤيته في منزله ذات يوم وأعتقد أنه نال نصيبه من الإهانات. كان أبي قد قارب الثمانين من عمره، وقد رفض أخوته غير الأشقاء وأخواته غير الشقيقات فتح أبوابهم له أيضاً، لكنه أعجبني. بدا لي مهذّباً، وخجولاً قليلاً، وعصبياً تقريباً، وأراد أن يتعلَّم، وتسجَّل في كلّية التربية وتخرَّج بشهادة دراسية منها. وبما أنه لم يستطع إيجاد وظيفة في ريكيافيك، بَحَث عن عمل في إقليم سودورلاند حيث علَّم في هيلا أولاً ثم في هڤولسڤولور. بعد انتهاء الحرب، نمت المدينة كثيراً، وتدفّق إليها الناس من الريف، وبُنِيَ عددٌ من المدارس، وأصبحت هناك حاجة كبيرة إلى الأساتذة، فتوظَّف هالدور في مدرسة ڤيديغردي حيث كان الراتب جيداً وأعجَبه العمل هناك. أما اليوم فرواتب الأساتذة زهيدة، والجميع يشكو من نوعية التعليم السيئة، لكن المرء

يستغرب تفاجؤ الناس من هذه الحالة.

– ألم يتزوَّج أبداً؟

– كان هالدور رجلاً محطماً حتى ولو أخفى ذلك.

– هل أخبرك ما حصل في هڤولسڤولور؟

– لا، لقد رفَض التكلّم عن ذلك، لكنه كان أمراً خطيراً جداً. أظن أن أحدهم كان يبتَزّه بعد معرفته ماذا فعل هناك. أخبَرني أن بعض الأشخاص استغلوه بعد ذلك في مدرسة ڤيديغردي.

– هل فهمتِ ما قَصَده بذلك؟

– ليست لديَّ أي فكرة.

– عندما كنتُ في الإبتدائية، كانت تُوزَّع كبسولات زيت كبد القد على كل الطلاب. وقبل ذلك، كانوا يشربونه من ملعقةٍ أو من القارورة مباشرة، لكن الكثير من الأولاد كرهوا مذاقه ورفضوا تناوله، وحتى أن البعض تقيأه. ولم تكن العملية صحية جداً بما أن الملاعق والقوارير تنتقل من فم إلى آخر، لذا قرَّروا إعطاء الجميع تلك الكبسولات المطلية بالسكر والطيبة المذاق كل يوم، وأصبح كل أستاذ يضع مرطباناً منها على مكتبه. كانت جزءاً من السياسة الصحية للمدرسة، رغم أنها سياسة اختفت منذ زمن طويل، ومن التقاليد اليومية في المدرسة على غرار لوائح الغائبين وعصا الأستاذ. كنا نعقشها، وحتى نسعى إلى سرقتها من المرطبانات بدافع الشراهة. هل أخبرك هالدور عنها؟

– أبداً، ردَّت هيلينا.

16

في الصباح التالي، نشرت الصفحة الأولى لأهم صحيفة في آيسلندا عنواناً مرعباً بأحرف ضخمة، وشَعَر إرلندور بانقباض في معدته وهو جالس وراء مكتبه يقرأ الصحيفة اليومية. *الاشتباه بطلاب مدرسة بقتل أستاذهم*. لقد نقل المقال الواقع بأمانة، حيث كشف أن احتراق منزل هالدور سڤاڤارسون الخشبي الصغير في مقاطعة ثينغهولت جرى بدافع القتل، وأن التحقيق الذي فتحته الجنائية يركِّز على طلاب مدرسة ڤيديغردي. كان إرلندور يعرف أنه من المستحيل كتم سر هكذا قضية لوقت طويل، رغم أنه أملَ أن يحظى ببعض الوقت الإضافي قبل أن يشيع الخبر. لم تكشف الصحيفة عن أسماء مصادرها، بل أشارت فقط إلى "مُخبِرين موثوقين" أو لجأت إلى تعابير مُبهمة مثل "وفقاً لمصادرنا".

كان الصحافي قد أجرى مقابلة مع ممثلة لجنة الأهل التي لم تستطع إخفاء رعبها من طرق عمل الشرطة التي لم تجدها ملائمة أبداً. ما السبب الذي جعله يُجري تلك المقابلة؟ فكَّر إرلندور، فهو سأل مدير المدرسة أيضاً الذي أظهر لباقة مدهشة برفضه التحدّث بينما التحقيق جارٍ، رغم أنه أكَّد أن عملاء الجنائية أتوا لرؤيته في مؤسسته بما أن الضحية كان يعلِّم هناك. وحتى إنه كذَب مدّعياً جهله أن هالدور اشتكى من إذاقة الطلاب الويل له. فوفقاً له، لم يشتكِ الأستاذ أبداً.

رنَّ الهاتف على مكتبه. إنه رئيس الجنائية.

– هل رأيتَ الصحيفة؟ لقد أغلقتُ الخط للتو مع الوزير، وقد سألني إن فقدنا صوابنا. إذاً؟ هل فقدناه أم لا؟ إنني أسألك بدوري. لقد أخبَرني أن الشباب الآيسلندي لا يرتكب هكذا أفعال، وخاصة ليس في هذه المنطقة.

– حقاً؟ ماذا يعرف؟ ردّ إرلندور بحدّة. آمل أن تكون قد شرحت له أنه تحقيق روتيني، وأننا استجوبنا المدير لأن الضحية كان يعلِّم في مدرسة ڤيديغردي،

وأننا لا نملك أي دليل على تورّط أولئك الأولاد، وآمل أن تكون قد تذكَّرتَ إخباره أن العمل القذر للصحافة الصفراء يؤذي التحقيق جدياً. هذا هو المسار الذي سنعتمده خلال المؤتمر الصحفي الذي ستعقده بعد ظهر اليوم. سننكر كل شيء، وسنقول إنه من المهم جداً عدم نشر أي مقال بهذا الشأن حفاظاً على مصلحة التحقيق الذي بدأ للتو. وسنضيف أننا نأسف لتسرُّب هذه المعلومات السرية، وأننا سندفِّع المسرِّب الثمن عندما نكتشف هويته. لن نقول أي شيء آخر اليوم وغداً، وكذلك في الأيام القليلة المقبلة عندما تنهال علينا الاتصالات من كل حدب وصوب.

– ولجنة الأهل؟ تلك المرأة أخت زوجة الوزير.

– أهالي الطلاب. تباً لهم جميعاً! زجَر إرلندور مقلِّداً تاجر المخدرات الذي أفقده وعيه بلكمةٍ منذ بضع سنوات.

– متى ستكون جاهزاً لذلك المؤتمر الصحفي؟

– ما عليك سوى استدعائهم حوالي الساعة الثالثة وهذا سيعطي محطات التلفزيون وقتاً كافياً لتحضِّر موضوعها لنشرة أخبار المساء مع احترامها وجهة نظرنا. كما سنطالب بحق نشر ردنا على الصفحة الأولى في طبعة الغد.

أغلَق إرلندور السمّاعة. لا يمكنه تحمّل الصحافيين ويتردَّد كثيراً قبل أن يتحدّث معهم. ما كاد يُغلق السمّاعة حتى رنَّ الهاتف مرة أخرى دون أن يتفضَّل بالردّ عليه. بقي الهاتف يرنّ بإصرار إلى أن خَبَط باب مكتبه ساخطاً ليذهب ويحتمي في سيارته.

كانت خطوط هاتف الجنائية ترنّ بلا توقف عندما عاد إلى عمله، ووجد زملاءه ينتظرون وصوله إلى الاجتماع الصباحي ويتناقشون بأصوات منخفضة. حلّ الصمت فور دخوله الغرفة، وراح يجول بنظره عليهم.

– سأسوّي مسألة التسريب بأفضل طريقة ممكنة، قال بهدوء. لقد انتهى عقد هذا النوع من الاجتماعات، ففي هذا النوع من التحقيقات، خاصة عندما يتعلّق الأمر بأولادٍ، من المهم أن نكون قادرين على العمل براحة بال كاملة، لكن ذلك الصفاء تضرَّر جدياً لأن شخصاً في هذه الغرفة لم يستطع أن يُبقي فمه مطبقاً. لا يجب أن يخرج أي شيء عن القضية من هنا، ولا يُفترَض بنا أن نُخبر زوجاتنا،

أصدقاءنا، أنسباءنا، أحبابنا وعشيقاتنا، أولادنا وحيواناتنا الأليفة أي تفاصيل. التحفّظ من واجبكم كلكم وعليكم احترام ذلك. حالما نكتشف "مصدر" الصحيفة، سيُطرَد من عمله، وصدِّقوني أننا سنكتشفه. أنا متأكد أنه يُدرك ذلك وأتمنّى له حظاً سعيداً في المستقبل. سأجتمع بعد قليل مع كل مجموعة محقِّقين على حدة. يمكنكم الانصراف.

– لماذا يتّهمنا بذلك التسريب؟ استفسر أينار قبل أن يتفرَّق الجمع. يمكن أن يكون قد أتى من أي شخص يعمل هنا.

– يكفي أن تقرأ ذلك المقال وسترى أن الصحافي يتكلَّم كأنه حضر الاجتماع الصباحي البارحة، كما أنه قادر على الأرجح على إخفاء نفسه بين حَشد الأشخاص المتواجدين هنا. نحن نعيش في مجتمع صغير يتغذّى على الإشاعات، ومن الصعب تصفية المعلومات التي تُعطى للصحافة، وحتى أصعب تصفيتها داخل جدراننا.

فرغت الغرفة بسرعة وبقي إرلندور وسيغوردور أوْلي ورئيس الجنائية لوحدهم.

– سيُعقَد المؤتمر الصحفي عند الساعة الثالثة، أعلن الرئيس. هل تعتقد حقاً أنه يجب التوقف عن عقد هذه الاجتماعات؟ برأيي، يمكنها أن تكون مفيدة جداً.

– أردتُ وضع الأمور في نصابها وإفهام الجميع أننا نعاقب بقسوة أي خرق لواجب التكتّم. هذه الاجتماعات عديمة الجدوى، وهي لا تساهم في عدم تقدّم التحقيق فحسب، بل البعض سيُخبِرون أي شخص عما قيل فيها.

– لا أوافقك الرأي. عندما عمِلتُ في وزارة التعليم، كانت الاجتماعات مفيدة جداً.

– بكل تأكيد، وما على المرء سوى النظر إلى حال التعليم في هذا البلد. الأولاد يحرقون أساتذتهم أحياء!

– أياً يكن!

– حسناً، هل يمكننا أن نبدأ العمل؟ اطَّلِع يا سيغوردور أوْلي على نتائج تحقيقات الفريق مع الجيران ومحطات الوقود ومتاجر الخردة. لا أعرف كيف سنفعل ذلك بناءً على ما حصل للتو، لكن من الواضح أن علينا استجواب

طلاب هالدور السابقين. كما علينا العودة إلى هيلينا وإفهامها أنها لا يجب أن تعيق التحقيق بصمتها.

– حسناً، سأتركككما لعملكما، علّق القائد قبل أن ينصرف كما لو أن لديه أشغالاً كثيرةً. لا تنسَ مؤتمر الساعة الثالثة.

رنَّ الهاتف في قاعة الاجتماعات، فنهض سيغوردور أوْلي ليردّ. إنها مكالمة على حساب المتصَل به من بلدة هڤولسڤولور الصغيرة، فأخبَر العامل أنه يقبل دفع ثمنها. بعد بضع ثوانٍ، طلب المتصل أن يتكلّم مع ضابط الشرطة الذي يحقّق بمقتل هالدور سڤاڤارسون، فمرَّر سيغوردور أوْلي السمّاعة إلى إرلندور.

– أنت مَن يحقّق بجريمة قتل هالدور؟، سأل صوتٌ مُسنٌّ أجش.

– نعم. مع مَن لي الشرف التحدّث؟

– إنني أتصل لأُخبرك عنه، ردَّ المتصل وهو يسعل. إسمي غودني. كنتُ ذات يوم مدير المدرسة الإبتدائية وكلّية هڤولسڤولور، وأردتُ إخبارك عن أمر حصل خلال فترة تعليم هالدور هنا. قرأتُ في الصحيفة هذا الصباح أنكم تشتبهون بطلابه، وتساءلتُ إن كان من الممكن أن يكون قد أكملَ.

– أكملَ؟ سأل إرلندور. هل تقصد التعليم؟

– لا، أقصد إزعاج الفتيان.

– عما تتكلّم؟

– أعتقد أنه من الأفضل عدم مناقشة هذا عبر الهاتف.

– سأرسل لك شخصاً ليأخذ إفادتك فوراً.

– بكل سرور، ردَّ العجوز وأعطاه عنوانه.

شكره إرلندور وأغلق السمّاعة وطلب من سيغوردور أوْلي أن يذهب ويستجوب غودني، فهو مضطر أن يحضر ذلك المؤتمر الصحفي اللعين. دوَّن سيغوردور أوْلي العنوان وغادر الغرفة. كان إرلندور يخشى أن تتلقى مكاتب الجنائية عشرات الاتصالات المماثلة لأن ذلك سيجبرهم على إشغال مئة شرطي بهذه القضية، ثم راح يتجوَّل بين زملائه ويسألهم إن علموا أي شيء مثير للاهتمام من تحقيقاتهم البارحة. لم يكتشف أحدهم أي شيء ما عدا أن القيود المعوّقة للنيران التي عُثر عليها في مسرح الجريمة تُستخدَم بكثرة في أفران تدخين لحم

الخروف وأسماك السلمون.

– إذاً، رَدَّ بحدّة على ذلك الشرطي، هل هذا يعني أن الرجل الذي نبحث عنه خبير طعام؟

غادر سيغوردور أوْلي المدينة وبلغَ أرض هيليشيدي السبخة التي غالباً ما تجعلها الثلوج غير سالكة في هذا الوقت من السنة، لكن الجنائية تملك جيباً والشرطي اليافع سائقٌ بارعٌ. وجد الأرض السبخة مغطاة بطبقة بيضاء سميكة، والثلج يتساقط عليها بكثافة بحيث يكاد يحجب الرؤية تماماً، عِلماً أن الراديو أيضاً نصحَ السكان بتجنُّب هذا الطريق. مرَّ بجانب مركبة تابعة لفرقة إنقاذ ريكيافيك التي تساعد السائقين العالقين في الثلج، ورأى سيارات مهجورة مركونة بجانب الطريق والإشارات الضوئية التحذيرية مضاءة في بعضها ومنطفئة في بعضها الآخر. لا شك أن بطارياتها فرغت، فكَّر سيغوردور أوْلي في سرّه، وأسرع بتجاوزها دون حتى أن يتمهَّل لحظةً ليحاول تقديم المساعدة لها. اجتاز الجيب الأرض السبخة دون صعوبة، ووجد الطريق في الجهة الأخرى، في بلدة هڤيراغردي الصغيرة، خالياً. لم يحتج إلى وقت طويل حتى يصل إلى سيلفوس، وبعد ساعة وَصَل إلى هڤولسڤولور، وبالكاد استغرقت الرحلة ساعتين رغم كل الثلج على الطرقات.

ذهَب إلى عنوان غودني. يعيش مدير المدرسة السابق في مجمَّع سكني يتألف من منازل منفصلة متشابهة كلها ويمكن إيجاد نُسخ مطابقة منها في كل أنحاء آيسلندا: صندوق أسمنتي بسيط موصول به مرأب. رنَّ جرس الباب، ففتح له غودني الذي كان ينتظره وقدَّم نفسه. بعد الحديث قليلاً عن الطقس ومصاعب حركة المرور، جلس الرجلان في غرفة الجلوس وقُدِّمَت لهما القهوة. حاوَل سيغوردور أوْلي أن يكون مهذّباً عند شكره سيدة البيت أولينا قبل أن يتطرَّق إلى الموضوع الذي جاء من أجله.

– في ذلك الوقت، كنتُ المدير قبل قدومه ببضع سنوات، بدأ غودني الكلام رافعاً رأسه، ولاحَظ سيغوردور أوْلي أن زوجته انزوت في غرفة أخرى بعد تقديمها القهوة، وتساءل متفاجئاً إن فعلت ذلك بناءً على أوامر زوجها. لقد بدت له لطيفةً جداً ومبتسمةً، لكنه شَعَر أنها تُجبر نفسها على أن تبدو كذلك، وشَعَرَ فوراً

أن مدير المدرسة السابق مُعتدّ بنفسه، فهو شخص مؤثِّر في هذا المجتمع الصغير منذ وقت طويل، ويتكلّم كشخصية مرموقة ويعاني من الجَنَف [اعوجاج في العمود الفقري] بُحكم التبختر، كما لديه بطن ضخم يجعل مظهره يبدو مشوّهاً أكثر، ووجه مُجعَّد، وبقي يدخّن سيجارة تلو الأخرى طوال محادثتهما. لقد علِم بوفاة هالدور من الصحيفة ورأى صور الأطلال المتفحِّمة في نشرة أخبار المساء، لكن عندما قرأ في طبعة اليوم أنها جريمة قتل وأن الشبهة تحوم حول طلابه السابقين، شَعَر أنه مضطر أن يُدلي بما يعرفه. راح سيغوردور أوْلي يفكِّر بالكمّ الهائل من المعلومات التي قُدِّمَت للشرطة بعد نشر ذلك المقال، والتي تبيَّن أن معظمها عديمة الجدوى بالكامل بعد بذل جهد شاق للتدقيق فيها.

– أتى إلينا هالدور فور تخرّجه من كلّية ريكيافيك للتربية، تابَع العجوز وهو يحدِّق بالفراغ فوق رأس سيغوردور أوْلي ويستنشق دخان سيجارته بنَهَم. كان يافعاً وشغوفاً وحسن المظهر، وكنتُ وزوجتي ندعوه على العشاء أحياناً. أحبَّ التعليم، وقد أحبّه الطلاب حقاً فقد كان يهتمّ لأمرهم جيداً وفعل كل شيء ليكسب ثقتهم. وجد بعض الصعوبة في التأقلم في البداية، بما أن هڤولسڤولور مثل أي بلدة آيسلندية صغيرة تشكِّل مجتمعاً يحتلّ فيه كل شخص مكانته من قبل، ويجد الغرباء صعوبة في إيجاد مكانتهم، حتى بعد مرور سنوات عديدة على عيشهم فيها.

– أفهم هذا تماماً، قاطعه سيغوردور أوْلي، فأنا شخصياً عشتُ في أكوريري لبعض الوقت.

– نعم، قال غودني. لسنا على الأرجح بنفس سوء أولئك الأشخاص، لكننا منغلقون جداً ولا نصبر كثيراً على الغرباء. كما أن عليهم التعامل مع كمّ كبير من الإشاعات. في أكوريري، تتجلّى النفسية القروية في شعور لا يُطاق من الدونية والتي يُعبَّر عنها، مثلما تعرف، بأحد أشكال جنون العظمة، وأُقرّ أنه يمكن قول الشيء نفسه عنا. كان هالدور من هيلا، والناس هناك يقدّرونه، وعندما وَصَل إلى هنا، أخبَرني أنه أراد تغيير بيئته. فرحتُ كثيراً، خاصة أنه أستاذ ممتاز ولم يكن سهلاً، مثل الآن، إيجاد أشخاص يقبلون التعليم في مدارس الدولة، فالجميع يريدون الذهاب إلى ريكيافيك، والوضع زاد سوءاً بعد الحرب. أنا شخصياً فكَّرتُ

بالانتقال إلى هناك. حسناً، أياً يكن – لهذا السبب كان هالدور ثميناً، وكنا نأمل أن يبقى هنا، وأعتقد أنه هو أيضاً أراد البقاء هنا.

– لكن ذلك لم يتم؟ سأل سيغوردور أوْلي مستفسراً، وهزَّ غودني رأسه.

– لم أروِ هذه القصة منذ عقود وهذا ليس سهلاً عليَّ. لطالما عانينا من نقص في الموظفين، لذا كان الأساتذة ينجزون كافة أصناف الأعمال الروتينية، وقد علَّم هالدور حصة الجمباز لبضعة فصول دراسية، بالإضافة إلى مواضيع أخرى. بقي كل شيء يسير على ما يرام، والطلاب يحبّونه كثيراً، ثم ظَهَرت إشاعات ذات يوم لطالما اعتبرتُها من اختراع النساء، فنحن مجتمع متماسك جداً، وهالدور لم يكن مهتماً بالنساء رغم أنه لم يكن بشعاً بل جذّاباً حتى، والعديد منهن ينظرن إليه بإعجاب ويدعونه إلى منازلهن، لكن كل ذلك لم يثر اهتمامه. عندما تراه في المناسبات الاجتماعية، يكون محاطاً بالنساء، وذلك لم يرق كثيراً لرجال القرية، إذا كنتَ تفهم قصدي.

أومأ سيغوردور أوْلي برأسه.

– بما أنه لم يتفاعل مع كل تلك التحرّشات، بل بقي ينفر منها طوال سنتين أو ثلاث سنوات، استنتَج الجميع أنه لا يحبّ الجنس اللطيف، وبالتالي لا يمكن أن يكون ذلك إلا لسبب وحيد يسمّونه في قريتي مثلية جنسية. تكلَّمتُ معه مرات عديدة عن علاقاته بالنساء، وسألته إن لم يكن يريد الزواج لكي يستقرّ بشكل دائم في القرية. شَعَرتُ أنه لديّ الحق أن أسأله تلك الأسئلة بما أننا أصبحنا صديقين مقرَّبين، لكنه بقي يغيِّر الحديث كل مرة، أو يدَّعي أنه لا يشعر أنه جاهز لتأسيس عائلة، ويطلب مني ألا أقلق. لذا تركتُه وشأنه، لكن مع لفت نظره إلى إمكانية تعرّضه لإشاعات بغيضة وأنه لا يجب أن يأخذها على محمل الجد، والألسنة المسيئة ستصمت في نهاية المطاف، وردَّ أنه يفهم قصدي. كان ذلك الشرير متفهِّماً جداً ولطيفاً جداً.

أشعَل غودني سيجارة أخرى من التي سبقتها، ثم سحقها في المنفضة، وأخذ مجّة عميقة، وبقي يحبس الدخان في فمه للحظات قبل أن ينفثه.

– ثم حصل شيء، قال سيغوردور أوْلي.

– أصبح مثلياً جنسياً في عيون الناس هنا، ومهما فعل لم يغيِّر نظرة الناس

إليه، وراح مجتمعنا الصغير يُغلق أبوابه في وجهه تدريجياً. كان ذلك من صنف الأمور التي تجري دون أن يلحظها أحد، وبقي هالدور يتظاهر أنه لا يُدرك شيئاً. على كل حال، تغيَّرت طريقة تعامل الناس معه – ليس سهلاً شرح ذلك، لكن الذين عاشوا في قريةٍ طوال حياتهم يلاحظون تلك الأمور وحتى يشاركون فيها. لا أقصد أنني أدرتُ له ظهري بالكامل، لكن دوري اختلف: لم أعد أُخبِره بكل شيء أسمعه عنه. بعد إعادة النظر في الأمر، أجد أنه كان عليَّ أن أخبره، لكن الحديث عن تلك الأمور ليس سهلاً، وعلى أي حال، لا أعتقد أن ذلك كان ليغيِّر أي شيء.

سكت غودني قليلاً.

– في تلك الفترة بدأ الفتيان يشتكون منه. أتذكَّر جيداً حدثاً لن أنساه أبداً. كان هناك طالب يعيش في نفس شارع منزلي عاد ذات يوم إلى منزله ومسحَ كل الغبار فيه، ونظّف النوافذ بالصابون، ولمّع كل المرايا. ذاك الولد الذي لم يساعد أمه بأي شيء في المنزل من قبل أصبح فجأة مهووس تنظيف. عندما عاد والداه إلى المنزل، وجداه يفرك أرضية المطبخ عارياً تماماً بعد أن خلع كل ملابسه وأشعل فيها النار في الحديقة. لم يفهم أحد ماذا أصاب الولد. بعد أن جلسنا معه وضغطنا عليه، انهار كلياً وروى لنا علاقته مع أستاذه. ودعني أُخبِرك، لم تكن رواية لطيفة.

– هل كانت هناك أي شكاوى أخرى؟ سأل سيغوردور أوْلي مستفسراً.

– مثلما قلتُ لك إن هالدور اهتمّ بأمور كثيرة، فقد علَّم الجمباز وأشرف على أماكن الاستحمام خلال حصص السباحة. وذات مساء، أخبَر طالبٌ في العاشرة من عمره والديه أنه شَعَر بالإحراج من حضوره، فقد كان معتاداً أن يراقب الفتيان أثناء استحمامهم، وينظر إليهم نظرات غريبة، ويفرك لهم أجسامهم بالصابون. وحتى يستحمّ معهم أحياناً، ويصبح مستثاراً جنسياً ويدع عضوه يلمس الأولاد. انتشرت تلك القصة في البلدة كالنار في الهشيم، وسمِع بها الجميع في اليوم التالي في المدرسة. في نفس ذلك المساء، بلَّغ فتَيان آخران أن هالدور عرض عليهما المال لقاء بعض الخدمات، فرفضا ولم يصرّ عليهما. لكن عندما تبيَّن أن طلاباً آخرين قبلوا عرضه، وبعضهم أكثر من مرة واحدة، جنّ جنون

أهالي البلدة.

– وما كان ردّ هالدور على تلك الاتهامات؟

– تجمَّع بضعة رجال وقرَّروا أنه يجب معاقبة هالدور بطريقة أو بأخرى، فقبضوا عليه وأبرحوه ضرباً، وأخبروه أنه إذا لم يغادر القرية فوراً، عليه أن يحذر جيداً. لقد غضب الأهالي كثيراً، فقد استقبلوه جيداً وعاملوه بلطف وتهذيب، وقد ردَّ لهم ذلك السافل معروفهم بتدنيسه أولادهم. كان يُدرك أنه يعاني من مشاكل، لكنه لم يستطع أن يشرح السبب. لا شك أن الذي يرتكب هكذا أهوال يعاني من مشاكل خطيرة.

أشعَل غودني سيجارة أخرى وأخذ منها مجّة كبيرة.

– هل اعترف أم كان هدفاً لأحد أشكال هستيريا جماعية؟ أقصد أن أولئك الأولاد سمِعوا أنه ميّال إلى الرجال ومن السهل عليهم تأليف قصص...

– لم يكن هذا هو الحال، فقد اعترف بكل شيء.

– ولماذا لم يقدِّم الضحايا أي شكوى ضده؟

– أعتقد أنهم شعروا بالخجل. لا أحد هنا أراد أن نعرف أن ولده تعرَّض لاعتداء جنسي، وربما شَعَروا بالذنب. تذكَّر أن ذلك حصل في زمن آخر، أما اليوم فيناقشون كل المشاكل في برامج ترفيهية على التلفزيون. كان يجب أن نكون يقظين أكثر، وقد لمنا أنفسنا على ما حصل. لا يمكنك أن تتخيّل ما عانيتُه في ذروة ذلك الاضطراب، وظننتُ أنني سأضطر أن أغادر أنا أيضاً.

– من المهم أن تُسلَّط الأضواء على هذه المسائل ذات يوم، ردَّ سيغوردور أوْلي محاولاً عدم اعتماد نبرة واعظٍ دون نجاحه في ذلك حقاً. كان يمكنك أن تحذِّر المدارس الأخرى، أقصد أنه تابَع التعليم في مدرسة ابتدائية ومتوسطة بعد أن طُرد من هنا. لدينا مسؤوليات وواجبات عندما نعلَمُ بهكذا أحداث.

– لقد أخبرتُك للتو أننا في ذلك الوقت لم نكن نهتمّ كثيراً بحماية الأولاد أو بنصائح الأطباء النفسيين، وبصراحة، لم يعد ما يفعله هالدور من همومنا بما أننا تخلَّصنا منه. احتاج مجتمعنا إلى سنواتٍ ليسترد عافيته، وذلك لم يساعد أولئك القادمين من مكان آخر، فقد أصبحنا نشتبه بهم حتى أكثر. لا أقصد أن أقول إن كل الذين يعيشون هنا من الصالحين، لكننا نعرف بعضنا البعض جيداً ونعرف

ما نتوقّعه من كل شخص.

– وهل تظن حقاً أن هالدور واصل أفعاله تلك حتى بلوغه سنّ التقاعد دون أن يُكشف أمره؟

– لقد جفلتُ عند قراءة المقال هذا الصباح، فالكثير من الأشخاص هنا كانوا مستعدين لقتله عندما عرَفنا ماذا فعل. قد تشتبهون بطلابه السابقين، لكن يجب أن تفكّروا بأهاليهم أيضاً، فقد شهدتُ غضبهم وكان مُرعِباً.

– هل تلمّح إلى أن سكان هڤولسڤولور عذّبوه؟

– لا، لا، على الإطلاق. لقد تصرّفوا بخشونة فحسب، فقد أخافهم تقريباً لأنه بدلاً من الدفاع عن نفسه، ابتسم لهم ابتسامة متكلّفة وكريهة.

بقي الرجلان يتكلّمان لفترة طويلة دون أن تخرج الزوجة من الغرفة حيث أقفَلت على نفسها، كما لم تخرج لتودّع سيغوردور أوْلي عندما غادر المنزل. عاد إلى سيارته الجيب تحت ثلج كثيف لدرجة أنه بالكاد استطاع أن يرى أبعد من ثلاثة أمتار أمامه. هناك شيء مُنذِر بالسوء في هذه البلدة الصغيرة المهجورة كلياً، ورأى طيف غودني يراقبه من نافذته واضعاً يديه في جيبيه. لقد طلب منه العجوز عدم نشر ما فعله هالدور في هڤولسڤولور، ثم راح يتكلّم عن ريكيافيك قائلاً إنه أراد الانتقال إلى هناك في شبابه، لكنه لم يفعل ذلك في النهاية، فقد تعرّف على زوجته، وأنجب أولاداً، ووجد نفسه عالقاً هنا ولديه عائلة عليه أن يهتمّ بها. فهِم سيغوردور أوْلي ذلك جيداً، لكنه لم يفهم ما علاقته بكل ذلك.

– كدتُ أنسى شيئاً لا أعرف إن كان مهماً أم لا، كان المدير السابق قد أضاف بعدما فتح الشرطي اليافع الباب ليركض نحو سيارته الجيب.

– ما هو؟

– منذ بضع سنوات، اتصل بي شخص غريب بشأن هالدور.

– ماذا تقصد؟

– أراد أن يتحقّق إن كان أستاذاً جيداً لدينا وأن يعرف لماذا رحل. كان رجلاً خشناً جداً، مباشراً جداً، وأكاد أقول فظّاً تقريباً. سألني عدة أسئلة، وبما أنني ظننتُ أنني أتعامل مع شرطي أو مندوب رسمي من الوزارة، أخبَرتُه كل شيء حصل هنا ثم ندمتُ على ذلك.

– لماذا؟

– لم أعرف أبداً مَن كان ذلك المتصل الغامض، فحالما أخبَرتُه ما أراد سماعه، أغلَق الخط، ولم يتسنَّ لي حتى سؤاله عن إسمه أو الإدارة التي يعمل فيها. بالإضافة إلى ذلك، تولَّد لديَّ انطباع بأنه أراد أن يبقى مجهولاً.

حالما جلس سيغوردور أوْلي خلف مِقوَد سيارته الجيب، اتصل بإرلندور دون أن ينتبه إلى الوقت. كان المؤتمر الصحفي في مركز كوبافوغور الرئيسي قد بدأ للتو عندما سمِع زميله الهاتف يرنّ في جيب سترته، فقد نسي إطفاءه. قدَّم رئيس الجنائية مقدمةً موجزةً قبل أن يعرِّف عن إرلندور الذي سيجيب على الأسئلة، وسكت في منتصف جملته وقاعة الاجتماعات تعجّ بالصحافيين والمصوِّرين، وراح الجميع يحدِّقون بإرلندور لرؤية ما سيكون قراره: هل سيردّ على الاتصال أم يُسكته. لا يمكن سماع شيء سوى الهدير الهادئ للكاميرات وصوت ضغط أزرار آلات التصوير. أخذ هاتفه ووضعه على أذنه وردَّ على الاتصال مُخفضاً نظره إلى الطاولة ومحاولاً إظهار تعبير محايد على وجهه، لكنه ندِم على عدم إطفاء هذا الجهاز من الرنّة الأولى.

– كان هالدور منحرِفاً، قال سيغوردور أوْلي وهو يشغِّل محرِّك الجيب.

أومأ إرلندور برأسه فحسب ثم أغلق الخط. في نشرة أخبار المساء على التلفزيون، رآه المشاهدون يضع هاتفه جانباً ويجول بنظره في الغرفة بذهن شارد.

17

حين انطلق سيغوردور أوْلي بسيارته، كانت هيلينا تنهار على أرضية شقتها.

لقد ضربها الحارس الجديد بقوة، وهي أول مرة تراه فيها. بما أنها لم تر أي حارس في المبنى سابقاً فقد فرحت برؤيته لدرجة أنها نسيت حذرها الاعتيادي عندما رنَّ جرس بابها مرتدياً رداءً سروالياً. ورغم أنها لم تفهم ما كان يتمتمه وبالكاد رأت وجهه، إلا أنها فكّت سلسلة الحماية وبدأت توبّخه لتجاهله حاجات سكان المبنى حيث حاوَلت مرات عديدة، مثل جيرانها في الشقة المجاورة، التواصل معه عبر تركها رسائل له. حالما استدارت، خبط الرجل الباب وانقضَّ عليها بعصاه وضربها على رأسها، فسقطت أرضاً مصروعةً.

سمِع إرلندور الخبر عند المساء، حيث يجب إبلاغ فِرقه بكل الهجمات التي تقع في ريكيافيك وفي كل أنحاء آيسلندا، وقد اتصل به المسؤول عن عمليات الاقتحام ثورولفور حالما سمِع بما حصل. رأى إرلندور الرابط بجريمة قتل هالدور فوراً، وطالَب أن يُرسَل إليه كل الرجال المتوفرين. لقد أتت شابّة تبيع السمك المجفَّف في المساكن دون أن يدعوها أحدٌ ووجدت الباب مفتوحاً جزئياً. نادت بصوتٍ عالٍ لكنها لم تلقَ أي ردّ، ففتحت الباب وألقت نظرة على الداخل. لم تر هيلينا فوراً، فدخلت وعثرت عليها ممدَّدة أرضاً وهناك بركة دم حول رأسها، وقد بُعثرت محتويات الشقة رأساً على عقب.

الشابّة الهادئة بشكل مدهش موجودة الآن في الرواق، فبعد اكتشافها ما حصل، قرعت على باب الشقة المجاورة لتبلِّغ الشرطة التي أرسلت كل رجالها المتوفرين إلى هناك. لا تزال هيلينا فاقدة الوعي، وقد أخذتها سيارة إسعاف إلى مستشفى ريكيافيك، وأصبحت الشقة الصغيرة تعجّ بمحقّقي الجنائية وفريق الأدلة الجنائية ومصوِّرين فوتوغرافيين ورجال شرطة عاديين. وقف إرلندور في وسط الغرفة

يراقب ما يجري من حوله.

– ومَن أنتَ؟ سأل الرجل الذي ظَهَر فجأة عند باب الشقة.

راح ذلك الشابّ القصير والنحيل والأصلع تقريباً، والذي يرتدي سروال جينز وسترة خضراء، ينظر إلى إرلندور بحزن وتعب بعينين ظهرت دوائر عميقة تحتهما، لكنه بدا مصمِّماً، ومن الواضح أنه من صنف الأشخاص الذين لا يستسلمون بسهولة عندما يكون هناك شيء يدور في ذهنهم. حسبما يذكر، لم يتلق إرلندور أي زيارة أبداً في مسرح أي جريمة.

– قيل لي إنه يمكنني إيجادك هنا، إسمي پالمي، قال الشابّ وهو يدخل.

18

هبّت رياح جنوبية غربية على المنزل الواقف مثل تمثال صخري قلِق قريباً جداً من الساحل، وراحت الأمواج تتكسَّر زبداً على الجدار الأسمنتي الذي يحيط الحديقة، والرياح تعصف على الدعائم المرتفعة. فقط غرفة النوم الكبيرة مُضاءة، أما باقي المنزل فغارق في الظلمة.

– نعم، ردَّ سيد المكان موافقاً.

– لم يجد أي شيء لدى الأخت، قال الصوت على الطرف الآخر للخط.

– هذا يعني أنها لا تملك شيئاً. هذا خبر جيد.

– لقد قاوَمته، وكاد يقتلها.

– انتظرني، قال الرجل وأغلق السمّاعة، وذهَب إلى الغرفة المجاورة المجهَّزة بهاتف أيضاً. لقد دبَّر الأمور بحيث لا يستطيع أحد الاستماع إلى المحادثات من الأجهزة العديدة التي في المنزل. رَفَع السمّاعة.

– ألم يكن يجدر به أن يدخل منزلها في غيابها ليبحث عن تلك الكاسيتات؟ فلا جدوى من إيذاءها، قال موبِّخاً.

– لم أكن هناك، وهو لم يتوقع ذلك، فقد غضِبت وحاوَلت أن تعضّه وتخدشه بأظافرها. حسناً، هذا ما أخبَرني إياه، لكن من غير الصعب أن يكون قد كذَب عليَّ. ربما لم يكن الرجل المناسب لهذه المهمة.

– ماذا فعل؟

– أفقدها وعيها بضربة على رأسها.

– يا له من غبي! مباشرة بعد الحريق في منزل أخيها. لا شك أن الشرطة سترى الرابط بين الحادثين.

– هذه هي المشكلة.

– ولم يجد أي كاسيتات؟

– لا.

– علينا أن نجدها بكل تأكيد.

– ماذا بشأن الرجل الذي أشعل النار في منزل هالدور؟ ربما يعرف شيئاً.

– ربما، مَن كان؟

– أياً يكن. لدانيال أخ أصغر سناً يزوره بشكل دوري في المستشفى، وقد يسبِّب لنا مشكلة، فقد يشتبه بشيء.

– أنا متأكد أن كل شيء سيكون على ما يرام، لكن من الأفضل مراقبة هذه القضية عن كثب.

– علينا أن نبقى على اطلاع دائم على مجريات التحقيق.

– سأتدبّر الأمر مع الوزير.

– أنت تفهم ما هو على المحك. إذا انتشر خبر كل هذا، سنخسر العقد مع الكوريين، هل هذا واضح؟ إنه أول عقد توقِّعه شركتنا، وهو بمليارات الكرونات. ونظراً لحالة مواردنا المالية في السنوات الأخيرة، هناك خطر أن يُفلِس الائتلاف إذا لم يُحترَم العقد.

– الألمان موجودون في كوريا ويقولون إن كل شيء بخير. يجب أن نتمكّن من توقيع عقود أخرى بسرعة كبيرة، مما يتيح لنا بدء التنفيذ فوراً. أغلقَ سيد المنزل سمّاعة الهاتف وعاد إلى غرفة النوم.

– كل شيء على ما يرام يا صغيري، قال محرِّكاً شفتيه لكن دون أن ينطق الكلمات.

19

رافَق پالمي إرلندور وأقرب مساعديه إلى المركز الرئيسي للجنائية رغم أن الوقت متأخر، وقد عرَّفه إرلندور على أعضاء فريقه. الأسمر الأنيق يدعى سيغوردور أوْلي. أينار الذي تخطى الخمسين من عمره يعمل في الجنائية منذ سنوات. إلينبورغ تحمل شهادة في الجيولوجيا، لكنها لم تعمل باختصاصها أبداً. ثورولفور، الأصغر سناً واليساري خلال سنواته في الثانوية، أصبح مُحافِظاً جداً حالما اضطر أن يعمل ليعيل نفسه. لقد اختارهم إرلندور بنفسه، ولديه كامل الثقة بهم.

جلسوا في مكتبه يدخِّنون ويشربون القهوة. التدخين ممنوع في كل الأماكن العامة ما عدا في مكتب إرلندور، والمدخِّنون الذين يعملون في أقسام أخرى، وأحياناً في الطرف الآخر للمبنى، يأتون لزيارته ويرحِّب بهم. راح الجميع يُنصتون باهتمام إلى پالمي الذي تكلَّم بصوت هادئ ووتيرة بطيئة كما لو أنه يزن بعناية كل معلومة يقولها. أخبَرهم عن مرض أخيه وانتحاره، إضافةً إلى أن هالدور زاره عدة مرات في الأسابيع السابقة، وأظهر لهم صورة الصف المدرسي وكان دانيال في حوالي العاشرة من عمره وقتها، أي قُبيل ولادته، قال محدِّداً لهم. أخبَرهم عن الغريب الذي أتى إلى الجنازة ثم فرّ، وامتنَع عن ذِكْر كبسولات زيت كبد القد، فقد أراد أن يكسب ثقة مُحاوِريه أولاً. واعترَف أن هيلينا أخبَرته أن هالدور قُتل وأنه عانى من طفولة صعبة، على أقل تقدير، حيث تعرَّض لاعتداء جنسي، وأنه اعتدى جنسياً على طلاب المدرسة حيث كان يعلِّم. كما أخبَرته أن شخصاً ابتَزّ هالدور وأجبره على العمل لصالحه، ولا شك أنه شخص من المدرسة. على الأقل هذا ما افترَضه پالمي.

– لقد طُرد هالدور من هڤولسڤولور عندما اكتُشف أنه يعتدي على طلاب المدرسة هناك، أكّد سيغوردور أوْلي، ورحل ليعلِّم في مدرسة ڤيديغردي حيث يبدو

أنه تابَع إشباع نزواته.

– ولم يلاحظ أيٌّ من الأهالي أو مدير المدرسة؟ تساءل أينار.

– هذه معلومة جديدة كلياً، وعلينا أن نذهب ونستجوب مدير المدرسة السابق، قال إرلندور.

– أحد الأمور التي دفعتني للقدوم ورؤيتكم هو الطلب منكم مساعدتي في العثور على هذا الرجل، قال پالمي ودلَّ على فتى في صورة الصف المدرسي ذي شعر طويل ويرتدي كنزة مقلّمة، ويقف مبتسماً ابتسامةً عريضةً في أقصى يمين الصف العلوي.

– مَن هذا؟

– هو الذي أتى إلى جنازة دانيال. شعرتُ أنني رؤيته في مكان ما من قبل، لكنني لم أتمكن من تحديد أين أو متى، فقد تغيَّر كثيراً، على الأرجح مثل كل شخص آخر في هذه الصورة، لكن يبدو لي أنه هذا الفتى. كان من أعزّ أصدقاء دانيال، وبالطبع يعرف بعض الأمور.

– هل تعرف إسمه؟ استفسر أينار.

– أعتقد أنه يدعى سيغمار. حاوَلتُ إيجاده في دليل الهاتف، فلم أعرف أي مكان آخر لأبحث فيه. لقد كتب كل هؤلاء الأولاد أسماءهم الأولى على الجهة الخلفية للصورة.

أدار أينار الصورة ورأى بالفعل مجموعة أسماء أولى مكتوبة بقلم حبر جاف أزرق أو أحمر.

تردَّد پالمي في متابعة الكلام.

– لديَّ انطباع أن لكل هذا علاقة بقصة كبسولات زيت كبد القد، سواء انتحار دانيال أو اغتيال هالدور أو الاعتداء على هيلينا.

– ماذا تقصد بالكبسولات؟ ردّ إرلندور جافلاً، وراح يحدِّق به.

– أعرف أن هذا يبدو غريباً جداً، لكن تلك الكبسولات تلعب دوراً في هذه القصة. عندما كان دانيال في الابتدائية، كانوا يوزِّعونها على كل الطلاب. أظن أنكم تتذكَّرون ذلك. لكن عمليات التوزيع تلك توقفت عندما دخلتُ تلك المدرسة. كانت جزءاً من حملة الوقاية الصحية الحكومية التي يعود تاريخها إلى

الحقبة التي شهدت نقصاً بالطعام في ريكيافيك. ذات يوم، سمع مُشرِف في المستشفى بالصُدفة هالدور وأخي يتكلّمان عن تلك الكبسولات، لكنه لا يعرف فحوى حديثهما، فلم يكن لديه أي سبب ليتنصّت عليهما على أي حال. عندما حاوَلتُ التكلّم مع سيغمار - إسمه غير واضح على الجهة الخلفية لهذه الصورة - اختفى بسرعة خلف ستارة من الثلج، لكنه صرَخ لي أن تلك الكبسولات احتوت على شيء آخر غير زيت كبد القد. لا أفهم ما قصده بذلك، لكن هذا ما قاله. لذا ورغم أن هذا قد يبدو سخيفاً، إلا أنني متأكد أن لتلك الكبسولات دوراً في هذه القصة.

راح رجال الشرطة الخمسة يحدِّقون به بارتياب.

- كيف تريد أن يكون هناك رابط بين تلك الحبوب وبين جريمة القتل والاعتداء؟ سأل إرلندور.

- أعتقد أنه علينا استجواب طلاب هالدور السابقين، اقترَحت إلينبورغ، فذلك سيوضّح لنا الصورة قليلاً ويمكّننا من معرفة ماذا كان ينوي أن يفعل. وليس مستبعداً أن يذكر أحدهم أيضاً... تلك الكبسولات.

- إذا كانت تحتوي على شيء غير زيت كبد القد، ماذا يُعقَل أن يكون ذلك الشيء؟ سأل ثورولفور.

- بالضبط، ماذا يُعقَل أن يكون ذلك الشيء؟ علَّق بالمي.

- هل تلمّح إلى أنه أُضيفت مادة أخرى إليها؟ سألت إلينبورغ.

- أظن أنها مادة منوِّمة، ردَّ سيغوردور أوْلي. ربما أضافها هالدور لينوِّم طلابه ويعتدي عليهم جنسياً. يبدو أن ذلك الرجل كان منحرِفاً جداً.

راح رجال الشرطة يفحصون الصورة ويتبادلون النظرات.

- يا للهول، صاح أينار. كم هذا مريع!

- ربما قرَّر أحد الأولاد في هذا الصف، ولما لا سيغمار، الانتقام لما فعله به هالدور، قال إرلندور، لكن هذا مجرد تكهّن وليس حقائق دامغة. أما بالنسبة لما ارتكبه في هفولسفولور واعترَف به لهيلينا، فلا نعرف ما هو أو حتى إن كانت تلك الإدعاءات موثوقة. علينا أن نتحقّق.

- حذَّرني مدير مدرسة هفولسفولور السابق من غضب الأهالي. وإذا كان قد

ارتكب اعتداءات جنسية في مدرسة ڤيديغردي أيضاً، يجب أن نتكلّم مع أهالي الطلاب، اقترَح سيغوردور أوْلي. الغريب هو أن كل هذا يتكشَّف اليوم، والأغرب أن يبقى كل أولئك الأولاد صامتين كل هذا الوقت. هل أخبرك دانيال عن هذه الأشياء؟ سأل وهو ينظر إلى پالمي.

– أبداً. لكننا لم نكن مقرَّبين من بعضنا كثيراً ولطالما عرفتُه مريضاً.

– كدتُ أنسى إخباركم أن المجموعة المكلَّفة بالتدقيق مع محطات الوقود عثرت أخيراً في محطة أوليس دي كلوپ في شارع سكولاغاتا على موظف تذكَّر أنه ملأ عشرة ليترات من البنزين في صفيحةٍ لرجلٍ يشبه هالدور كثيراً، قال أينار. حصل ذلك منذ أكثر من شهر، وموظف المحطة متأكد أنه هالدور.

– إذاً هالدور خزَّن تلك الصفيحة في منزله، وسُرَّ قاتله من استخدامها، علَّق سيغوردور أوْلي.

– ما سبب شرائه البنزين؟ أشارت إلينبورغ. فهو لا يملك سيارة، ولا يحتاج إلى تلك الكمية الكبيرة ليعيد ملء قدّاحته!

– هذه القضية تزداد غرابةً مع مرور الوقت، علَّق ثورولفور وحكّ رأسه.

– حسناً، هذا ليس سيئاً، ختَمَ إرلندور. لدينا بعض الخيوط على الأقل. لا يزال طلابه من العام الماضي مشبوهين، لكن علينا أيضاً التدقيق بالطلاب الأقدم منهم، خاصة صف دانيال، كما علينا استجواب الأهالي أيضاً. من الواضح أنه لا يمكننا إنجاز كل ذلك دون أن يتسرَّب شيء إلى الإعلام، لذا أطلب منكم أن تكونوا يقظين جداً، والأهم هو ألا تتكلّموا مع الصحافيين. كما من المهم جداً أن يمتنع الأهالي عن فعل ذلك أيضاً.

بالكاد أنهى جملته حتى رنَّ هاتفه الخلوي في جيب سترته. ردَّ على الاتصال وبقي يُنصت للحظةٍ طويلةٍ دون أن يقول شيئاً، وكل العيون مسلَّطة عليه. أبلغ المتصل أنه لا يستطيع تأكيد هذا الكلام أو نفيه، ثم نطق "لا" حاسمة بضع مرات، ثم أغلق الخط.

– سيظهر الخبر في الصحف غداً، أعلَن للحاضرين.

– أي خبر؟ سأل سيغوردور أوْلي.

– أن هالدور كان عاشق أطفال.

20

كان أحد سكان هڤولسڤولور السابقين، والذي لم يرغب أن يكشف هويته، قد اتصل بالصحيفة ليُخبرهم أنه بينما كان يعلِّم في الابتدائية والمتوسطة، اعتدى هالدور جنسياً على عدة فتيان، وقد طرده سكان القرية.

أعاد پالمي قراءة بداية المقال وهو جالس في مطبخه.

تشير عناصر مختلفة إلى أن أستاذ الابتدائية والمتوسطة هالدور سڤافارسون الذي قُتل في منزله في ريكيافيك ليلة 16 يناير كان عاشق أطفال. ووفقاً للمعلومات التي استحصلت عليها صحيفتنا، اعتدى على فتيان في مدرسة هڤولسڤولور في أوائل الستينات، وأُدين بتصرّفات مستهجَنة أدت إلى طرده من القرية. لكن إرلندور سڤاينسون، المسؤول عن التحقيق، لم يرغب أن يؤكِّد هذه المعلومات أو ينفيها.

وفقاً لمُخبِرنا الذي يريد أن يبقى مجهولاً، مارسَ المتوفى تصرّفات غير أخلاقية في مناسبات عديدة في مدرسة هڤولسڤولور، لكن لم تُقدَّم ضده أي شكاوى عندما اكتُشف الأمر، وأجبره السكان المحليون على مغادرة القرية وطُمست القضية. وقد رفض المدير السابق للمدرسة الإجابة على أسئلتنا عندما اتصَلنا به ليلة أمس، وأخبَرنا المدير الحالي أنه لا يعرف شيئاً عن هذه القصة بما أنه ليس من القرية.

وقد أكَّد العديد من الخبراء الذين اتصلت بهم صحيفتنا البارحة أنه ليس مستحيلاً أن يكون هالدور قد استمر بالاعتداء جنسياً على طلابه بعدما انتقل إلى ريكيافيك ليعلِّم في مدرسة ڤيديغردي. وتؤكِّد نورما ج. أندرسدوتير، الطبيبة في علِم النفس والمستشارة في جمعية ستيغاموت التي تُعنى بمساعدة ضحايا العنف الجنسي، أنه بعدما يستسلم عاشق الأطفال لنزوته مرَّة، هناك احتمال كبير أن

يعاود الكرة، ما لم يتلقَّ مساعدة خاصة.
وعقدت الجنائية مؤتمراً صحفياً بعد ظهر البارحة حيث...

سمِع پالمي بضع طرقات خفيفة على الباب ونهض ليفتح الباب لداغني. إنها الثامنة صباحاً وقد غادر ولداها إلى المدرسة للتو، ويُفترَض بها الوصول إلى مكتبها حوالي التاسعة.

– ماذا أراد هذا الرجل من دانيال؟ سألته فور دخولها شقته.

– الله أعلم، رَدَّ پالمي.

– من المذهل رؤية هكذا مقالات! غبي واحد يُخبِر أهوالاً عن هذا الرجل المسكين وتجد الصحيفة أن ذلك كافياً ليعتبره الجميع عاشق أطفال!

– لقد مررتُ على مكاتب الجنائية ليلة أمس، وكل هذا صحيح. ذهَبت الشرطة إلى هڤولسڤولور للتحقّق من ذلك، وقد أخبَرهم المدير السابق القصة بأكملها. كان هالدور يعتدي جنسياً على الطلاب، ومن غير المستحيل أن يكون قد تابَع فعل ذلك في مدرسة ڤيديغردي وأن يكون بعض الأولاد في صف دانيال من ضحاياه. وربما حتى اعتدى جنسياً على أخي.

– لكن هذا غير ممكن! صاحت داغني. كل هذا صعب عليك بما فيه الكفاية، ولا داعي لأن تضيف إليه تلك الأعمال الوحشية!

أعطاها پالمي كوباً وصبَّ لها بعض القهوة المرَكَّزة، وأخذ وعاء الحليب عن الفرن وأضاف لها طبقةً بيضاء فوقها. يشربها دائماً بهذه الطريقة، وداغني التي ليست من شاربي القهوة كثيراً تحبّها على طريقته. بقيا يجلسان هناك للحظة صامتين، وشَعَرت أنه يريد إخبارها شيئاً فانتظَرت بهدوء. ثم كسر پالمي الصمت أخيراً.

– الغريب مع دانيال هو أنه مهما حاولتُ، لا يمكنني إيجاد أي ذكرى له قبل مرضه. ليس عندي إلا بعض اللقطات، وأشياء متفرقة لا تتلاءم مع بعضها. هل تفهمين قصدي؟

بقيت داغني صامتة.

– الصورة الوحيدة الواضحة له في ذاكرتي هي لمريضٍ منهكٍ ومتحدِّبٍ في

مستشفى الأمراض النفسية. كان لطيفاً جداً معي عادة. لا يقول أي شيء أحياناً، وأحياناً أخرى يتكلّم بلا توقف عن نفسه والمستشفى والمُشرِفين وكل قصص التنجيم تلك، وكل ذلك الهذيان، ويدخّن بشكل متواصل. لكنني في الواقع لم أُنصت له أبداً، بل نجحتُ دائماً في تجنُب أي قُرب منه، وتصرّفتُ مثلما اعتقَدتُ أنه عليَّ أن أتصرّف، لا أكثر ولا أقل. كنتُ أزوره، وأتكلّم مع الأطباء، وأسمح له أحياناً أن يأتي إلى منزلي لقضاء بضعة أيام، وأراقب طريقة سير الأمور، لكنني لم أصبح أبداً متعلقاً بدانيال أكثر من تعلّقي بأي كائن خامل من بيئتي. كنتُ أعتبره مجرد وظيفة عليَّ تأديتها، مجرد عمل روتيني ألقته أمي على عاتقي بعد وفاتها. كيف يمكن أن يصبح المرء هكذا؟ غالباً ما كنتُ أتمنى أن ينتهي كل ذلك، أما الآن وقد انتهى، أشعر بالضياع، بأنني أحوم في فضاءٍ خالٍ، وأعضّ أصابعي ندماً. بالكاد ألقيتُ نظرة وداع عليه في تابوته، وعندما رأيتُ صديقه العجوز ينحني ليقبّله ويفعل ما كان عليَّ أن أفعله، غمرني شعور فظيع بالذنب، وظننتُ أنني سمِعتُ أحدهم يصرخ: لكن ما بالك يا بالمي؟ لا يزال هذا أخوك الوحيد! كان كل ما بقي لي من عائلتي وقد تركتُه يموت دون أن أبذل أي مجهود لأعرفه حقاً ولأعطي نفسي الفرصة لتقديره. والمُحزن في الأمر هو أنني أظن أنني ما كنتُ لأفعل ذلك حتى ولو عاش مئة سنة. ما كنتُ لأفهم الوضع أبداً. آه كم يمكن أن يكون المرء أعمى وأنانياً تجاه الآخرين! أفهم الآن أنني أنا الذي كنتُ بحاجة إليه وليس العكس، ولم أر ذلك إلا بعد فقدانه. لطالما اعتبرتُ نفسي شخصاً صالحاً يؤدّي واجبه، وأكثر من واجبه في أغلب الأحيان. واجبه! كان أخي واجباً عليَّ تأديته. في الواقع، كنتُ أنتظر موته فحسب.

– لا داعي لأن تلوم نفسك كل هذا اللوم، قالت داغني مخفِّفةً عنه.

– لكنها الحقيقة. شَعَرتُ ببعض الارتياح عندما رأيتُه يقفز. هل يمكنكِ أن تصدِّقي ذلك؟ شَعَرتُ بالارتياح. بصراحة، أي نوع من الرجال أنا؟! أي وحوش نُصبح عليها بعدم إنجازنا أي شيء في حياتنا؟ ها قد تخلَّصتُ منه، هذا ما قلتُه لنفسي. هل يمكنكِ أن تصدِّقي ذلك؟

– أنت مخطئ، أنت لم تفكّر بذلك أبداً!

– لطالما بذلتُ قُصارى جهدي لأطرد هذه الفكرة من ذهني، لكنها تعود

وأدعها تستحوذ عليَّ أحياناً. تعرفين كيف تخطر تلك الأفكار ببال المرء في أوقات فظيعة. يكفي أن نعلم بوفاةٍ مرتقبةٍ حتى تنحبس أنفاسنا: نرتاح أنها لم تُصبنا أو تُصب أحد أفراد عائلتنا. من الواضح أنه ليست لدينا سيطرة على تلك الأفكار الساذجة. لا أعرف. على كل حال، لا تزال تراودني.

– لا أرى إلى أين تريد أن تصل بكل هذا.

– هذه القصة ترافقني حيثما أذهب، لكن الأمر انتهى. لن أذهب إلى المستشفى مرة أخرى، ولم يعد دانيال مشكلةً بالنسبة لي. لكنني لا أشعر بأي ارتياح في النهاية، بل على العكس تماماً، أشعر بثقل كبير على قلبي. وبعد كل تلك السنوات، أتمكن أخيراً من النظر إليه كإنسان. فقط لو يمكنني أن أتذكَّره عندما كنا صغيرين. لم أبذل جهداً لتحقيق ذلك أبداً قبل الآن، لكنني لا أتذكَّر شيئاً، فقد حذفتُ دانيال من حياتي بالكامل. ألا تجدين هذا غريباً؟ فهو لا يزال أخي.

لم تُجب داغني بكلمة، فهذه أول مرة تسمع فيها بالمي يعبِّر عن نفسه بهذه الطريقة.

– أعتقد أنني أمضيتُ وقتي في الهروب، ولطالما قالت لي أمي إنني سأصبح شخصاً ناجحاً. كانت واثقة مني مثل أي أُمٍ، لكن لأنني كنتُ أملها الوحيد أيضاً. ربما ليس أملها الوحيد، لكن إبنها الوحيد السليم عقلياً. لا أقصد أنني طبيعي، وضَّح بالمي مبتسماً، لكن أمي عاشت أوقاتاً صعبةً وبقيت تتمنّى لي مستقبلاً أفضل. كنتُ أُبلي بلاءً حسناً في المدرسة، لكنني بالمقابل اخترتُ دائماً الطريق الأسهل، وذهَبتُ إلى المدرسة الثانوية عبر التسجيل بأسهل المواد، فقد كنتُ كسولاً، ولم يصدف أن اضطررتُ إلى بذل أي جهد، كما لم أحتج إلى فعل ذلك فقد فعله عني نظام شهادة البكالوريا بالوحدات، واستمرّ ذلك في الكلّية أيضاً حيث تسجَّل أصدقائي لدراسة الطب، وتسجَّلتُ لدراسة التاريخ. هذا موضوع يثير اهتمامي، لكن عندما تفكِّرين بالمسألة، تجدين أنه يريحني أيضاً من كل مسؤولية، ومواضيع الأطروحات التي اخترتُها مقبولة لدى الجميع، فقد حرصتُ دائماً على عدم إزعاج أو إغضاب أي شخص، ومعاذ الله أن أقع في جدل مع أحد! بإمكان أي شخص أن يشكِّك بكفاءاتي العلمية وبعدم امتلاكي

أي حسّ بالمبادرة. لقد تخطيّتُ الثلاثين من عمري بقليل وأملك مكتبة لبيع الكتب المستعملة. أي نوع من التحديات تعتقدين أن بإمكان هذه الوظيفة أن تفرضها عليَّ؟ التأكد من عدم نفاد أي فكّة في صندوقي؟ إنني أبيع الكتب بأسعار بالكاد توفّر لي ربحاً زهيداً. هذه ليست حياةً، هذا موتٌ. لقد دفنتُ نفسي حيّاً، وهذا جليّ جداً في تعاملاتي مع دانيال. مثلما ترين فإنني أستخدم كلمة "تعاملات" عندما أتحدث عن أخي. لقد اعتمدتُ الأسلوب نفسه معه، فسلكتُ الطريق الأسهل. لم أفعل أي شيء! بل حاوَلتُ نسيان أنه موجود، ورفَضتُ مواجهته، ومواجهة مرضه وما جعلني أعاني منه في طفولتي. لقد ألغيتُه من حياتي. كان ذلك أسهل من مواجهته، من الاهتمام به حقاً ومن التصرّف معه كإنسانٍ وليس كشخصٍ مسكينٍ. لم أشمّر عن ساعديَّ من أجله أبداً.

لم يلمسا القهوة التي بردت في كوبيهما، وبقيت داغني تحدِّق باهتمام بيالمي الذي اكتفى بتأمل الجدار خلفها كما لو أنه يرى كل أخطائه عليه.

– ظننتُكَ واثقاً من نفسك وراضٍ عن وضعك، فأنت تصعد درج المبنى رافعاً رأسك كأنك شخص مهم، طمأنته بضحكة خفيفة مُحرَجة.

– رافعاً رأسي، قال بالمي بصوتٍ خافتٍ.

– أعتقد أنك تقسو كثيراً على نفسك، ولا تنسَ أن تشرشل كان مؤرِّخاً، أضافت مبتسمةً. كما أن الفارق الكبير بين عمريكما لم يسهّل عليك الأمور أبداً، ولم تكن قادراً على فعل شيء. كان دانيال مريضاً، وكان مريضاً صعباً أحياناً، وقد وجدتَ نفسك مضطراً على تحمّل تلك المسؤولية لوحدك. أعرف أنك لست عديم الشفقة، ويكفي أن نتفحّص علاقاتك بشكل واقعي لنُدرك أنه كان من المستحيل عملياً أن تتصرَّف بشكل مختلف. عندي أخت أكبر مني بخمس سنوات وبالكاد أتواصل معها، ولا نرى بعضنا إلا في المناسبات العائلية الكبيرة. هذه هي الحياة. هل يجب أن نقضي وقتنا في الرثاء والندم على ما لم نحصل عليه أو ما لم نعد قادرين على الحصول عليه، أو أفضل لنا أن نمضي قدماً؟ لو ندِمتُ على كل شيء فعلتُه أو لم أفعله في حياتي، لأُصبتُ بالجنون.

– المسألة لا تقتصر على الندم فقط، بل على الانطباع بعدم امتلاكي أي مشاعر وبفتور همّتي. لا أعرف ما الذي يجعلني لا أبالي بالعالم والآخرين.

رنَّ الهاتف في غرفة الجلوس، فنهض پالمي ببطء ليردّ على الاتصال. أجاب ببضعة "نعم" قبل أن يضيف أنه جاهز.

– هذا سيغوردور أوْلي من الجنائية. إنهم مع سيغمار، لكنه لم ينطق أي كلمة، وطلب أن يتكلّم معي. عليَّ أن أذهب.

أجرى پالمي الترتيبات اللازمة ليحرِّر نفسه من أي ارتباطات هذا الصباح، ولن يذهب إلى المكتبة إلا بعد الظهر. ثم جاءت سيارةٌ وأقلّته إلى مقرّ الشرطة الرئيسي في كوبافوغور حيث انضم إلى سيغمار وإرلندور وسيغوردور أوْلي في غرفة استجواب صغيرة بعد أن لاقاه إرلندور في الرواق وشرح له كيف وجدوه. لم يكن الأمر صعباً فسيغمار معروف لدى الشرطة ويدخل السجن بشكل دوري، وقد أُدين عدة مرات بجرائم تافهة وسخيفة: تزوير وثائق واستخدام وثائق مزوَّرة، سرقة دفاتر شيكات، سرقة من المتاجر. الرجل مسكين حتى في جرائمه، وهو متشرِّد ومعروف في البلدة حيث يتسكَّع في أغلب الأحيان، ثملاً تقريباً ومخدَّراً تقريباً، وفي رفقة أشخاص على شاكلته. حالما أعطتهم المدرسة إسمه وكنيته، عثرت عليه الشرطة لدى جمعية إعادة دمج السجناء حيث أمضى بضعة أسابيع بعد أن أُطلق سراحه بعد سجنه لفترة قصيرة.

جالساً في غرفة الاستجواب يدخّن سيجارة قدَّمها له أحد رجال الشرطة، طلب أن يدردش مع پالمي على انفراد، فأخبَره إرلندور أن هذا مستحيل.

– هل هو على لائحة المشبوهين؟ سأل پالمي مستفسراً.

– لا يريد إخبارنا أي شيء، ردَّ إرلندور متملِّصاً من الإجابة على سؤاله. يرفض التحدّث معنا.

– هل تسجِّلون استجواباتكم؟

– هذا ممكن تقنياً.

– في تلك الحالة، ما المانع في أن يتكلّم معي على انفراد بما أنه يمكنكم مشاهدة حديثنا على شريط؟

فكَّر إرلندور للحظةٍ.

– لعِلمك هذا إجراء غير اعتيادي كلياً، لكنني أوافق على القيام باستثناء. قال هذا وخرج من الغرفة، وجلس پالمي على مقعد مقابل سيغمار.

– نسيتُ أن أشكرك على حضور جنازة دانيال، بدأ بالمي الحديث.
– لا داعي للشكر، كان داني صديقي.
– كيف حالك؟
– لا داعي لأن تدّعي أنك مهتم بصحتي.
– أخبَرتني الشرطة أنك تريد التكلّم معي. هل الأمر عن دانيال؟
– نعم عن دانيال، هذا صحيح. كنتُ وداني صديقين عزيزين.
– في ذلك اليوم، أمام دار العبادة، بدا لي أنك ذكرتَ كبسولات زيت كبد القد. هل سمعتُك جيداً؟
– تلك الكبسولات. يا لها من اختراع جميل! كنا نعشقها. ما عدا أن التي كانوا يعطوننا إياها احتوت على شيء غير زيت كبد القد.
– شيء آخر؟
– نعم، كانوا في الواقع يوزّعون علينا سماً ما جَعَلنا مجانين بالكامل!
– ماذا تقصد؟ سأل بالمي بارتياب. كان سيغمار يرتدي نفس الملابس الرثّة والقذرة التي ارتداها في الجنازة، وراحت عيناه تجولان في الغرفة بقلق للاحتماء من نظرات بالمي، وانبعثت منه رائحة بول قوية.
– مجانين مثلما أصبح دانيال. كلنا أصبحنا مدمنين على المخدرات أو الشراب، وبعضنا أصبح مريضاً عقلياً. لم ينجُ أحدٌ منا، وداني لم يكن الوحيد. ألا تعرف ما حصل لطلاب آخرين في صفنا؟ ألا تعرف عدد الذين انتحروا منا أو أُدخلوا المستشفى؟

راح بالمي يحدِّق بسيغمار بارتياب، وتذكَّر أن دانيال ذكرَ "آخرين". إذا أتى من السماوات، فمن أين جاء "الآخرون"، قال... حسناً، قال شيئاً من هذا القبيل. هزَّ بالمي رأسه، وكان إرلندور وسيغوردور أوْلي يستمعان إلى حديثهما باهتمام من خلف المرآة الأحادية الاتجاه.

– هل تلمّح إلى أنهم أعطوكم منتَجاً جَعَلكم مدمنين على المخدرات؟ كيف يمكنك أن تتخيَّل أنني سأصدِّق هذه الرواية؟ ما معنى هذا؟
– لأنه لم يكن طبيعياً، وبهذه الطريقة نجحوا في إجباره على فعل ذلك بنا. هو الذي كان يوزِّع تلك الكبسولات علينا، حيث يسير بين الطاولات ونضعها في

أفواهنا يوماً بعد يوم ونحن نبتسم لابتساماته المعسولة والمثيرة للإشمئزاز.

– عمَن تتكلّم؟ عن هالدور؟

– كان يُقال لنا دائماً إننا أسوأ صف. ليس في تلك السنة فقط، بل منذ تأسيس المدرسة. الأسوأ. حمقى حقيقيون. غير قادرين على تعلّم أي شيء. ويحلفون لنا باستمرار أننا لن نحقّق أي شيء في حياتنا. والأساتذة يصفوننا بالأغبياء، ويقولون إنه سيفوتنا كل شيء ستقدِّمه لنا الدنيا. ستقدِّمه لنا! لكننا أحرزنا تقدّماً هائلاً تلك السنة، وأصبحنا فجأة الأفضل في المؤسسة دون أن يفهم أي شخص السبب. ثم تحوَّلنا إلى حُطام حقيقي لاحقاً. مات العديد منا، ومرِض داني. اختفى كِيدي الغراب ذات يوم كما لو أن الأرض ابتلعته، وأصبح سْكاري مدمناً حقيقياً، وسقط آغي ميتاً في بركةٍ في سنّ الثالثة عشرة. تخيَّل! مات أمام عيوننا فجأة في سنّ الثالثة عشرة. ومات غيسلي في الصيف نفسه أثناء عمله في مزرعة. كلهم رحلوا. أوغست قطعَ أوردته. أُوتار اختفى بعد أن سبح إلى عمق البحر، وكان سبّاحاً ماهراً. وجَدنا حذاءه على الشاطئ حيث كان قد وضعه بعناية، بنفس العناية التي كان يُديها في المدرسة. وأصبح الباقون بائسين ومدمني مخدرات. لم يخرج أي واحد منا سالماً. كنا نعشق تلك الكبسولات. هناك شيء إيجابي واحد على الأقل في كل ذلك: لم يكن أولئك الأشخاص بحاجة إلى فتيات، لذا أخذوا الفتيان فقط. استخدمونا كحقول تجارب. كانت هناك أيضاً ممرِّضتان تأتيان لتأخذا عيّنات دم بشكل دوري. من الواضح أننا لم نُقم رابطاً بين فحوص الدم تلك والكبسولات. لم تتكلَّما معنا أبداً، وكانتا تأتيان مرةً كل شهرين، إذا كنتُ أتذكَّر جيداً.

بقي پالمي يحدِّق بسيغمار وهو يروي له هذه الثرثرة غير المفهومة، وتبادَل إرلندور وسيغوردور أوْلي نظرةً ثم استأنَفا التحديق خلف المرآة الأحادية الاتجاه.

– هل تُخبرني أنهم أعطوكم علاجاً لا أعرف ما هو جَعَلكم كلكم مرضى؟ ما هو ذلك الاختراع؟

– أصبتَ! إنه اختراع! إذا تكلَّمنا عنه، سيسخر منا الناس. لقد عرَفنا ذلك، والآن لم يعد هناك أحد سواي. تحقَّق عما حصل لبقية الفتيان في صفي. إذا وجدتَ ذلك طبيعياً، فسيكون كل شيء على ما يرام!

دخلَ إرلندور.

– هل قتلتَ هالدور؟ سأل سيغمار مهدِّداً وهو يحدِّق به.

– لو كنتُ قد قَتَلتُه، لكنتُ حرقتُه حيّاً أيضاً، ولكنتُ راقبتُه وهو يُشوى ويصرخ ويتلوّى ويتألم دون حتى أن أتعطَّف بالتبويل عليه لأريحه من عذابه.

تبادَل إرلندور وپالمي نظرةً، ثم حدَّق بسيغمار مرة أخرى. دخلَ سيغوردور أوْلي الغرفة.

– مَن ضغطَ على هالدور؟ سأل إرلندور دون أن يحصل على جوابٍ.

– كيف تعرف كل هذا عن الرجل؟ سأل پالمي ولم يحصل على جوابٍ أيضاً.

جالساً في غرفة الاستجواب مع إرلندور وسيغوردور أوْلي وپالمي، راح سيغمار يحدِّق بهم بعناد.

– كيف تعرف أن تلك الكبسولات احتوت على شيء غير زيت كبد القد؟ سأل إرلندور بإصرار. من أين حصلتَ على هذه المعلومة؟

بقي سيغمار صامتاً.

– كيف تعرف عن تلك الكبسولات؟ سأل سيغوردور أوْلي.

صمتٌ.

– هل ستُخبِرنا من أين أتت هذه المعلومة؟ سأل إرلندور أيضاً. لقد كلَّمتنا عن حبوب ومدمني مخدرات، والآن تصمت تماماً. ما هذه الخدعة؟ مَن يمنعك من أن تُخبرنا المزيد؟

بقي سيغمار صامتاً. نظرَ الشرطيان إلى پالمي الذي كان يحدِّق به.

– هل يمكنك أن تُخبِرنا كيف تعرف كل هذا عن الكبسولات؟ سأل پالمي. وبما أنها لم تحتوِ على زيت كبد القد، فعلى ماذا احتوت؟

نظرَ إليه سيغمار، لكنه بقي صامتاً.

– هل تعتقد أن أولئك الفتيان أصبحوا مدمنين على المخدرات أو الشراب أو مرضى عقلياً لأنهم كانوا يأخذون تلك الكبسولات؟ هل تعرف الأشخاص الذين يقفون خلف تلك التجارب؟ أم أنك اخترعتَ كل هذا؟ أظن أنك قرأت في الصحيفة أن الأستاذ السابق اعتدى على طلابه جنسياً، لذا أخبرتنا قصص أموات وكبسولات مسمَّمة. هذه مجرد تخيّلات، أليس كذلك؟

– لم أخترع شيئاً، رَدَّ سيغمار وهو ينظر إليه باهتمام. ظننتُك ستصدِّقني لأنك أخ دانيال، لكن يبدو أنني كنتُ مخطئاً.

– ما أخبرتنا إياه غير معقول ولا يبدو أنك تريد مساعدتنا على أن نفهم، قال بالمي. تعرف المزيد وعلينا أن نسمع كل شيء. ليس فقط أجزاءً متفرّقةً، بل كل الرواية.

بقي سيغمار صامتاً.

– هل زرتَ دانيال في المستشفى؟ سأل بالمي وقد غيَّر الحديث فجأة.

– من وقت لآخر، رَدَّ سيغمار، ثم توقَفتُ. كانت زياراتي بلا فائدة، ولم أستطع مقابلته في معظم الأوقات، وكنتُ أحزن لرؤيته يذبل في ذلك المكان. الأدوية اللعينة! كلهم رحلوا. كل أصدقائي. لم يعد هناك أحد سواي.

– آه، هناك إذاً رأيتُك. منذ أن كنتُ في السابعة وأنا أزور دانيال في المستشفى كل أسبوع. كان يزوره أشخاص آخرون وقتها، وأنت أحدهم.

– كان داني أعزّ أصدقائي، وكنا نفعل كل شيء معاً، ونُخبر بعضنا كل شيء. لقد نشأت علاقة قوية بين طلاب صفنا، لكن لم تكن هناك صداقة أقوى من التي نشأت بيني وبين داني. ربما من الأفضل لو أننا انتحرنا مثل الآخرين، فقد أصبحنا كلنا مدمني مخدرات، ونتعاطى كل شيء تقع عليه أيدينا كما لو أننا ممسوسون. الأرجح أنني أكثر شخص محظوظ بينهم، فلا أزال حيّاً، رغم أنه لا يمكنك تسمية ما أعيشه حياةً حقاً. ربما سيتّضح في النهاية أن نظرية الاحتمالات التي كان هالدور يُخبِرنا عنها حقيقية.

– نظرية الاحتمالات؟ ماذا تقصد؟ سأل إرلندور دون أن يحصل على جوابٍ.

– ماذا بشأن تلك الممرِّضتين؟ استأنَف سيغوردور أوّلي الأسئلة. مَن كانتا؟ هل يمكننا أن نستجوبهما؟

– آه نعم، الممرِّضتان. مَن يمكنه إقناعهما بأن تأتيا وتأخذا عيّنات دم من أولادٍ سراً؟ رَدَّ سيغمار. هذا هو الجزء الأكثر إثارة للدهشة في كل هذه القصة: كيف استطاعت تلك المرأتان القدوم إلى المدرسة بشكل دوري متسلحتين بمحاقنهما دون معرفة أي شخص. لم أرهما مرة أخرى أبداً، ولا يمكن أن يكون

سنّهما أكبر من خمس وثلاثين سنة.

– هل تعرف مَن الذي قتل هالدور؟ سأل سيغوردور أوْلي.

لم يُجب سيغمار.

– كيف تعرف أنه ضُغط عليه ليعطيكم تلك الكبسولات؟ سأل إرلندور.

بقي سيغمار صامتاً.

– هل تكلَّمتَ معه قبل أن تقتله.

مكتبة
t.me/t_pdf

بقي سيغمار صامتاً.

– مَن الذي كان يبتزّ هالدور؟

فهِم الثلاثة أنه لن يُخبِرهم أكثر من ذلك – في الوقت الحاضر على الأقل.

أومأ إرلندور لزميله وپالمي ليرافقاه إلى الرواق.

– أعتقد أن هذا يكفي لهذا الصباح. سنُبقيه لدينا. اطلب توقيفاً احتياطياً له يا سيغوردور أوْلي، وسنرى إن كان يقبل أن يُخبرنا المزيد بعد ظهر اليوم.

– أعتقد أنه تكلَّم مع أخي مؤخراً، افترَض پالمي، فقد ذهَب هالدور لزيارة دانيال في المستشفى في عدة مناسبات، ومن الممكن جداً أن هذه هي الطريقة التي علِم بها سيغمار عن الأستاذ السابق.

– علينا أن نتحقّق مما حصل لكل أولئك الأولاد، صرَّح سيغوردور أوْلي، ونرى إن كان يتطابق مع ما أخبرنا إياه. كما علينا أن نستجوب عائلاتهم والمدير السابق لمدرسة ڤيديغردي فقد يُعلِمنا بالمزيد. وعلينا أيضاً إيجاد تلك الممرِّضتين.

– أشعر بالارتياح من احتمال أن يكون الطلاب أبرياء، علَّق پالمي. وإذا كانت رواية سيغمار غير المعقولة متطابقة مع الواقع فإن مقتل هالدور هو التكملة المنطقية لسلسلة طويلة من الأحداث التي ليست لها أي علاقة بطلاب المدرسة.

21

أمضت الجنائية يومها في الردّ على مكالمات الأهالي القلقين الذين يدرس أولادهم في مدرسة ڤيديغردي أو تخرّجوا منها مؤخراً. كان بعضهم حانقاً، وبعضهم الآخر مذهولاً، وكلهم يخشون أن يكون الأستاذ السابق قد اعتدى على أولادهم جنسياً. قيل لهم إن ذلك غير محتمل أبداً لأنه منذ وصول هالدور إلى المدرسة، لم يشتكِ منه أي ولد أو تظهر عليه أي علامات اعتداء جنسي، ويبدو أن الأستاذ بقي هادئاً، لكن تلك الأجوبة لم تكن كافية لتهدئة الأهالي، بل وجدوها مراوِغة جداً، فكلمات "غير محتمل" و"يبدو" تترك مجالاً كبيراً للارتياب.

في طريق العودة، قرّر پالمي أن يمرّ على المستشفى ليزور هيلينا ويطمئن عليها. كان سيغمار قد وُضع في مركز الحبس الاحتياطي القديم في سيدومولي بما أن إرلندور كان مُقتنِعاً أنه لم يُخبِرهم كل شيء يعرفه، ويأمل أن يصبح متعاوناً أكثر بعد الظهر.

استعادت هيلينا وعيها بعد إدخالها إلى وحدة العناية المركّزة في مستشفى المدينة، وأتت الشرطة وأخذت إفادتها. وجدها پالمي نائمةً عندما وَصَل وعرّف عن نفسه لمكتب الاستقبال كأحد أفراد عائلتها، فجلَس لفترة طويلة بجانب سريرها. كانت موصولة بعدد كبير من الأجهزة والأنابيب، لكن وجهها بدا هادئاً. كان پالمي على وشك المغادرة عندما فتَحت عينيها فجأة وتعرّفت عليه فوراً.

– أخبِرني ماذا يجري يا پالمي؟ سألت بصوتٍ مُتعَبٍ.

– ليست لديَّ أي فكرة يا عزيزتي هيلينا.

– أتذكّر فقط أن رجلاً ضربني على رأسي، ثم استيقَظتُ هنا في المستشفى. سألتني الشرطة بعض الأسئلة، لكنني لم أستطع مساعدتهم كثيراً.

– ألا تعرفين المهاجم؟

– لم أر ذلك الرجل أبداً من قبل. ظننتُه الحارس. على كل حال، قدَّم نفسه على أنه الحارس الجديد وفرحتُ لرؤيته لدرجة أنني فتَحتُ له بابي فوراً. ثم شَعَرتُ فجأة كما لو أن السقف يسقط على رأسي ووقعتُ أرضاً، وراح يبحث في شقتي ويقلب لي أغراضي مثل مجنونٍ. أعتقد أنه دمَّر لي رسم كجارڤال. ثم أتذكّر أنه سألني إن كنتُ أستمع إلى الموسيقى.

– الموسيقى؟

– أو كاسيتات.

– كاسيتات؟

– أشرطة الكاسيت. الأشرطة المغنطيسية. أظن أن هذا ما قَصَده، لكنني لم أفهم إلى أين يريد أن يصل بسؤاله.

– ظنَّ أن لديك بعض الكاسيتات في المنزل؟

– شيء من هذا القبيل.

– وكان يبحث عنها؟ أرادك أن تعطيه إياها؟

– پالمي، رَدَّت هيلينا بتثاقل وهي تُغمض عينيها، وتركت عدة ثواني تمرّ قبل أن تتابع الكلام. ليست لديَّ أي فكرة ماذا أراد الوغد. اعتقَدتُ أنه سيقتلني ولم أتفوَّه بأي كلمة أخرى.

– لقد مررتِ بتجربة مُرعِبة، أقرّ لها.

بقيا صامتين وقتاً طويلاً دون أن ينطقا أي كلمة، واعتقَد پالمي أن هيلينا عادت إلى النوم عندما بدأت تكلّمه فجأة عن أخيها غير الشقيق.

– كان هالدور مدمن شراب، وأظن أن ذلك بسبب الأهوال التي عانى منها في طفولته، فيثمل لينسى على الأرجح. قارورتان كل نهاية أسبوع. هو الذي اعترف لي بذلك. يشرب الأولى ليلة الجمعة عندما يصل إلى المنزل، ويبدأ بالثانية يوم السبت ويُبقي بعضاً منها ليوم الأحد، فقط ليتجنَّب أن يُصاب بصُداع قوي ما بعد الثمالة. يشتري دائماً شراب برينيفين الآيسلندي ولا يتخطى مقدار قارورتين أبداً، ولا يطلب أبداً سيارة أجرة ليذهب ويشتري قارورة ثالثة. لم يكن لهالدور أي نديمٍ في جلسات الشرب تلك، أو أي أصحاب أو أصدقاء بشكل

عام، ولم يكن يبحث عن صحبة أحد. كنتُ الشخص الوحيد الذي يراه، وطبعاً تعرَّف على زوجي. كان يأتي لزيارتنا أحياناً في هافنارفيوردور ويُمضي بعض الوقت في منزلنا، ولم يكن ثرثاراً جداً. بما أنني لم أُنجب أي أولاد، كنتُ وزوجي نشعر ببعض الوحدة، لذا ربّينا كلبين ليسلّياننا، لكنهما لم يحبّاه كثيراً، ويزمجران عليه حالما ندير لهما ظهرينا.

دخَلت ممرِّضةٌ لتتأكد أن كل شيء على ما يرام، وحيَّت پالمي بابتسامة كبيرة، فردَّ لها التحية باحترام، وتركت الغرفة. أغمضت هيلينا عينيها وبقيت صامتة لفترة طويلة بعد خروج الممرِّضة.

– لا أحد عرَف أنه مدمن شراب، قالت، ولم يتغيَّب عن عمله أبداً. أظن أنه كان سيتوقف عن الشرب لو سبَّب أذىً لوظيفته. هل ترك الحريق أي جزء من تشكيلة صور صفوفه؟

– أخشى أن المنزل أصبح رماداً، رَدَّ پالمي.

– كان الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يتكلَّم عنه لساعاتٍ، ويبقى متلهِّفاً لتلقي تلك الصور ويعلِّقها في غرفة جلوسه. وعندما يشرب، يبدأ بالسير ذهاباً وإياباً في الغرفة وهو ينظر إليها. لقد كبُر كل أولئك الأولاد الذين عرفهم والذين اختفوا من حياته إلا عندما يلتقي بهم بالصُدفة، وكان أشبه بحارس صورتهم القديمة. لم يدعُ أي شخص إلى منزله أبداً، وقد زرتُه هناك بضع مرات وشَعَرتُ أنه قلِق. كان منزله قذراً حقاً، لكنه اهتمّ بصوره كما لو أنها أغلى ما عنده، فيمسح عنها الغبار مرةً في الأسبوع على الأقل بخرقة صفراء لديه. هذا ما كان عليه هالدور المسكين. شخصٌ مثيرٌ للشفقة. كان مجرد فتى كبير مُحاط بكل صور الأولاد تلك.

خفتَ صوت هيلينا ببطء.

– أعذريني يا عزيزتي هيلينا، همَس پالمي. تحتاجين إلى الراحة. هل تريدينني أن أُحضر لك شيئاً في زيارتي القادمة؟

– إذا كنتَ تستطيع أن تحمي لي رسمي، أكون ممنونة جداً لك، رَدَّت قبل أن تكبو.

عند وصوله إلى منزله بعد الظهر، وجَد پالمي بضع فواتير في صندوق بريده

وثلاثة إخطارات أن لديه بريداً مسجَّلاً عليه أن يستلمه من مكتب البريد شخصياً. دائماً ما يتلقى هكذا بريد كل شهر، فهناك أشخاص يعيشون في الأقاليم يرسلون له كتباً بالبريد المسجَّل، فيبيعها أو يشتريها لهم، وغالباً بأسعار مرتفعة إلى حد يبعث على السخرية.

أخذ بريده، ووضعه على طاولة الهاتف التي خلف الباب، وأخرج صورة صف دانيال المدرسي القديمة من مكتبه ليتفحَّصها مرة أخرى، ولاحَظ ختماً ممحواً تقريباً على جهتها الخلفية: ستديو بَالدور. فتَح دليل الهاتف ورأى أن ذلك المصوِّر الفوتوغرافي لا يزال يمارس عمله في شارع فستورغاتا.

22

إفادة سيغمار وجّهت التحقيق في اتجاه جديد كلياً، فقسّم إرلندور الطلاب في صف دانيال بين رجاله، وكلّفهم بمعرفة مصير كل واحد منهم، مما سيسمح في نهاية المطاف بالتأكّد من صحة إدعاءات سيغمار. حصلت الشرطة على اللائحة من مدرسة ڤيديغردي، وبدأت الآن عملية الاتصال بعائلاتهم، وتم سريعاً العثور على والدة أغنار بالدورسون الذي ادّعى سيغمار أنه مات فجأة في سنّ الثالثة عشرة، فذهَب إرلندور وسيغوردور أوْلي إلى دار هرافنستا للمسنّين حيث تعيش المرأة السبعينية الآن.

– ما رأيك بپالمي هذا؟ سأل سيغوردور أوْلي وهما يركنان أمام المؤسسة.

– مثير للاهتمام، ردَّ إرلندور، وغامض نوعاً ما بالنسبة لشابٍ. الأرجح أنه كان سيُلقَّب الأستاذ، تماماً مثلما كنتَ ستُلقَّب رودسكالي برينيفينسون، إبن نيول صاحب الشعر الأحمر.

– هذا كان لقبي بالضبط، ردّ سيغوردور أوْلي وهو يمسِّد شعره الكستنائي بيده. لكن هل هو على لائحة المشبوهين برأيك؟

– أجد صعوبة في تخيّله مُشعِل حرائق. عما تتكلّم؟

– لا يمكننا أن نستبعده، لأن هالدور أذى أخاه عندما كان صغيراً، وكان يزوره في المستشفى وربما هو سبب انتحاره.

– تنسى أن پالمي كان في المستشفى عندما اندلع الحريق في منزل هالدور.

– يمكنه أن يكون قد طلبَ من شخص آخر أن يُشعل النار في منزله ويحرقه حيّاً.

– هذا احتمال بعيد بصراحة يا صاحب الشعر الأحمر، كما أنني أقدِّر پالمي ذاك. يبدو لي صادقاً، ويبدو أنه مرَّ بأوقات صعبة في حياته، فقد مات والداه

وأخوه المُصاب بمرض خطير موجود في المستشفى، ويجد نفسه لوحده بمواجهة ماضٍ لم يحمل له سوى المآسي. أُشفِق عليه ولا أجده قاتلاً.

– لا أقول إنني أتخيَّله قاتلاً، خاصة وهو بذلك النُحل.

– نعم، إنه ضامر جداً، لكنه حازم وصلب أيضاً، رَدَّ إرلندور.

– ضامر؟

– نحيل، إذا كنتَ تفضِّل، على كل حال لديَّ معجم غني بالألفاظ، وهذه الكلمة أفضل من كلمتك اللعينة *إذاً* الأميركية الطابع!

– وبشرته بيضاء جداً المسكين.

– لمجرد أنه لا يُمضي أيامه تحت مصابيح تسمير البشرة أو في النادي الرياضي لا يعني أنه سقيم.

– لا أرى لماذا تستهجن ذهاب الرجال والنساء إلى مراكز تسمير البشرة، خاصة في الشتاء. السُمرة جيدة للبشرة، لكنها جيدة للتوازن العقلي أيضاً.

– كلما تُسمعني هذه الجملة، أشعر أنني أشاهد برنامج تسوّق تلفزيوني.

– عليك أن تجرّب الأمر.

– لديَّ أمور أفضل لأفعلها من الاستلقاء تحت لمبةٍ لأسمِّر مؤخِّرتي.

– لكن هذا هو الحاضر الذي نعيش فيه يا إرلندور.

– لا أزال أفضِّل أن أستلقي على فِراش من القش يعجّ بالقمل وأن أعيش في منزل مصنوع من الخُشّ.

– أعرف، فأنت وُلدتَ قبل جَدّك.

– *إذاً؟* ختم إرلندور الحديث.

دخلا للتو إلى دار المسنّين، وأُخذا إلى الغرفة التي تتشاركها والدة أغنار مع امرأتين أخريين، لكنهما وجداها لوحدها. قدَّما لها نفسيهما وسألاها إن كان يمكنهما إزعاجها ببعض الأسئلة عن إبنها. كانت ستيفانيا تبدو أكبر من عمرها، ويمكن القول إنها عجوزة منذ فترة طويلة. لديها بضعة أغراض شخصية في غرفتها، لكن إرلندور لاحَظ على منضدة سريرها صورة لفتَيين يافعين ممتلئين بالحياة يلفّان ذراعيهما حول عنقَي بعضهما ويحدِّقان بالكاميرا، وقد ارتسمت ابتسامتان كبيرتان على وجهيهما. أعطتهما ستيفانيا الصورة.

– هل تريان صغيري آغي هنا، على يسار أعزّ أصدقائه. آغي المسكين. كان قد بلغ الثالثة عشرة للتو عندما مات. رحل في مثل هذا الوقت من الصيف منذ سنوات. كان يلعب الكُرة مع أصدقائه، وسقط ميتاً فجأة. أخبَرني الأطباء أنه أُصيب بنوبة قلبية، لكنني لم أفهم أبداً كيف يمكن أن يتوقف قلب فتى في الثالثة عشرة من عمره. لم أفهم أبداً.

– ألم يُفتَح تحقيق بعد وفاته؟ سأل إرلندور وهو يعيد لها الصورة بعدما فحصها بسرعة.

– جرى تشريح الجثة، وكان ذلك مريعاً. وتوصَّل الطبيب الشرعي إلى نفس الاستنتاج: نوبة قلبية.

– هل اشتكى من آلام في الصدر قبل ذلك؟ سأل سيغوردور أوْلي.

– في تلك الفترة، لم أكن على الأرجح أفضل أُم في الدنيا، رَدَّت وهي تفرك منديلها بين أصابعها. كنتُ أُماً عزباء، وأعمل من الصباح حتى المساء، وأواعد الرجال، وأتناول الكثير من الشراب. أقلعتُ عن تناول الشراب كلياً عندما مات آغي. لقد أنقذني صغيري المسكين. أنجبتُه بالصُدفة وفي توقيت متأخر من حياتي، لكنه كان ولداً جميلاً جداً.

– ألم تلاحظي أي شيء غريب في سلوكه قبل موته بأيام أو أسابيع أو حتى أشهر؟ سأل إرلندور.

– كنتُ أجده شاحباً قليلاً أحياناً، ويتقيأ في أغلب الأحيان، لذا أخبرتُ الأطباء. أتذكَّر أن قدميه ويديه كانتا باردتين دائماً، وأقول له أن يرتدي قفازاته الصوفية وقبعته وجواربه، لكنه لم يستمع لي أبداً. ما عدا ذلك، كان فتى نابضاً بالحياة ومتهوِّراً حقيقياً، وكذلك عصبياً ويفعل ما يحلو له. لكنني لاحظتُ شيئاً مدهشاً جداً: كان في صف حمقى أصبحوا الأفضل في المدرسة تلك السنة، ولم يفهم أحد كيف أن أوقح الأولاد وأقلهم موهبة يصبحون نجوم المدرسة ذات سنةٍ.

– هل تتذكَّرين هالدور سڤاڤارسون، أستاذ أغنار السابق؟ سأل سيغوردور أوْلي.

– قليلاً. بقي يتابع ذلك الصف لسنواتٍ، وأظن أنني ألتقيتُه عدة مرات، لكنني لا أذكره جيداً. أتذكَّر فقط أنه كان لطيفاً جداً، وآغي لم يشتكِ منه أبداً.

أخبِراني يا صغيريَّ، هل معكما أي سجائر؟ إنني أتوق إلى تدخين ولو سيجارة واحدة، لكن لا أحد هنا لديه سجائر ولا يمكنني الخروج بسبب رِجلي. حسناً، على أي حال، كل شيء يؤخَذ منا.

– تفضّلي، رَدَّ إرلندور وهو يعطيها علبة سجائره المتجعِّدة. هل تتذكَّرين أي تفاصيل غريبة أو أحداث معيّنة بخصوص أغنار ورفاقه في تلك الفترة؟

– شخصٌ ما هاجم أغنار وركَلَه، ردَّت ستيفانيا مُخفِضةً نظرها. كانت أسنان آغي تنمو ببطء، والأولاد يتشاجرون كالعادة، حسناً، لا أعرف ما الذي حصل بالضبط. لقد رُكِل على وجهه وفقدَ أحد أضراسه.

– هل أخبرك عن كبسولات زيت كبد القد التي كانت تُوزَّع على الطلاب في تلك الفترة؟ سأل إرلندور.

– لا أظن. هل كانوا يعطونهم تلك المادة في كبسولات؟

فضَّل إرلندور عدم الاستفاضة كثيراً بهذه النقطة. إذا كان سيغمار قد قال الحقيقة، ربما تستطيع والدة أغنار أن تأمل معرفة السبب الحقيقي لوفاة إبنها ذات يوم. لكنه لا يملك المعلومات الضرورية ولم يرغب أن يعطيها آمالاً زائفةً.

– لماذا تطرحان عليَّ هذه الأسئلة بعد كل هذه السنوات؟

– ربما لم تسمعي الخبر، قال إرلندور، لكن هالدور قُتل منذ بضعة أيام ويبدو أن لجريمة القتل علاقة بصف الحمقى الذي كان إبنك من عداده. يجب أن أطلب منك كتمان هذا وعدم إخباره لأي شخص. إنه أمر مهم جداً.

– لا أصدِّق! صاحت ستيفانيا.

– هل تعرفين ماذا حصل لزملاء أغنار؟ هل تعرفين أين هم؟ سأل سيغوردور أوْلي.

– كنا كلنا نعيش في المساكن الشعبية التي شيّدتها المدينة في شارع غرينيفيغور، وبالطبع كان أولادنا يمضون وقتهم معاً. ضمَّ ذلك الشارع كل أصناف العائلات، وبعضها عاش حياته على غير هدى، على غرار عائلتي. أعتقد أن مصير كل أولئك الأولاد كان سيئاً، فقد بدأوا يحتسون الشراب بعد وفاة آغي، وأصبح بعضهم يتعاطى المخدرات ولم يحقّقوا أي شيء في حياتهم أبداً. أتذكَّر أن ثورا، والدة أوسكار، زارتني بعد بضع سنوات لتُخبرني أن إبنها مات من جرعة مفرِطة.

وهذه ليست القصة الوحيدة من هذا النوع التي سمِعتُها. يا للفتيان المساكين! داني كاد يُحرق مبناه السكني عند محاولته إحراق أخيه الصغير حيّاً بعد أن أصبح مجنوناً بالكامل. عانى كل أولئك الأولاد من مشاكل ما عدا في تلك السنة عندما أصبح صفّهم الأفضل في المدرسة. هذا ما يحصل عندما تحشر أشخاصاً في أبنية طويلة كالخِراف وتفصلهم عن بقية السكان. لن تحصد أي نفع من ذلك.

– شكراً جزيلاً يا ستيفانيا. ما أخبَرتنا إياه يساعدنا حقاً، قال إرلندور خاتماً المقابلة وهو ينهض. قلّده سيغوردور أوْلي، وهمّا بالانصراف عن العجوز الجالسة بجانب سريرها وحاملةً الصورة بين يديها، لكن بينما كانا على وشك اجتياز عتبة غرفة النوم، استدار إرلندور.

– مَن الفتى الذي في الصورة مع إبنك؟

– زميله في الصف. كانا من أعزّ الأصدقاء، ويلعبان معاً كل يوم من أيام السنة. لقد التقطتُ هذه الصورة بكاميرتي الصغيرة قبل وفاته ببضعة أسابيع. كان فتى مضحكاً ومليئاً بالحياة، وقد أُصيب بجروح بليغة عندما هاجمه أولئك الأوغاد مع أصدقائه. أعتقد أن الفتى الآخر يدعى سِيدي أو فِيدي، لكن كان الأولاد ينادونه بإسم آخر.

أعطت إرلندور الصورة مرة أخرى، فنظر إليها عن كثب ولاحَظ أن صديق أغنار تنقصه عينٌ، فأحد مَحجِريه فارغٌ وهناك عصابة في يده.

– أليس هذا كِيدي، الذي لقّبه الآخرون الغراب؟ أشار إرلندور.

– تماماً. كِيدي الغراب. هكذا نادوه دائماً. ليس كِيدي الغراب، بل الغراب فقط. لقد فقدَ عينه يوم ركلَ أولئك الأوغاد آغي.

23

كان المصوِّر الفوتوغرافي يستعد، وقد أعَدّ حاملته الثلاثية القوائم في طرف الغرفة التي كُلِّف بها، واصطف الطلاب في الطرف الآخر. الكاميرا قديمة جداً، وقد ضحك الأولاد عند رؤيته يضع رأسه تحت القماشة السوداء التي تغطيها، ثم يطلب منهم أن يبتسموا. تكرَّرت هذه العملية في كل غرفة تدريس تلو الأخرى، والفلاش يُضيء الغرفة قبل أن تعاود الغرق في ظلمة الشتاء.

شرَح لبالمي أنه يُمضي يومه في المدارس. نعم، لا يزال يلتقط صور طلاب الصفوف، وهذا يسمح له بملء فترات الخمول بين الأعراس وحفلات التخرّج. هل يريد أن يأتي ويراه في مدرسة هاغاسكولي؟ فذلك سيكون أسهل.

راح بالمي يراقبه يعمل بسرعة وبراعة، فلديه خبرة أكثر من ثلاثين سنة في تصوير طلاب المدارس. ثم أعطى نفسه استراحة قصيرة، فاغتنَم بالمي الفرصة ليقترب منه ويقدِّم نفسه، وأخبره أنه اتصل به سابقاً في ذلك اليوم، وأظهَر له صورة صف دانيال.

– نعم، هذه من مدرسة ڤيديغردي، ردَّ المصوِّر النحيل والنشيط الذي تخطى الخمسين من عمره بشاربه الصغير المشذَّب بشكل أنيق. لا أزال التقط الصور هناك. هذه الصورة قديمة وليست جيدة جداً، وقد التقطتُها بكاميرتي الأولى. كنتُ جديداً في المهنة وقتها وأرتكب الكثير من الأخطاء. هل ترى كيف يبتسم هؤلاء الأولاد وهم ينظرون إلى العدسة. لم أر هذه الوجوه المُشعّة منذ فترة طويلة. لم يعد للصور ثقلها مقارنةً بكل الأفلام وألعاب الفيديو والكاسيتات وآلاف قنوات الأقمار الاصطناعية، والعالم كان أبسط في ذلك الزمن، وصورة الصف المدرسي تعني الكثير. كانت ذكرى يمكنك الاحتفاظ بها، أما اليوم فلا أحد يريد الاحتفاظ بأي شيء، لأنك عندما تحتفظ بغرضٍ ما لفترة طويلة جداً، يصبح

سخيفاً، بينما تشعر أنه عليك أن تكون قادراً على استخدامه قبل أن تضجر منه وترميه لكي تشتري فوراً واحداً آخر حديثاً أكثر ومفيداً أكثر، وبالتالي يصبح الغرض نفسه بلا قيمة. في الماضي، كانت صورة الصف المدرسي حدثاً في حياة الطلاب، أما اليوم فيبدو أنهم لا يهتمون بها لأنها تأخذ من وقت جلوسهم أمام الحاسوب.

– وهذه الصورة، هل تتذكّر اليوم الذي التقطتها فيه؟ سأل بالمي وهو يُدرك أنه احتمال ضئيل جداً.

– بالطبع لا، لكنني أتذكّر الأستاذ. إنه هالدور الذي قُتل. يشتبهون بطلابه، وهذا أمر سخيف. على أي حال، كان رجلاً غريباً، وقليل الصبر مثل الأولاد عندما أدخل صفّه. وكل مرة، يقوم بزيارة عَرَضية إلى الستديو الخاص بي ليشتري بضع نُسخ حتى قبل أن أسلّمها إلى المدرسة. لم أر أبداً شيئاً كهذا، وعليَّ أن أعترف أن ذلك أزعَجني، فأنا لا أحبّ أن يدفعني أحدٌ إلى الإسراع. وأحياناً لا أكون قد انتهيتُ حتى من تظهير الصور، فينتظرني بعناد لكي أعطيه بضع صور. ألتقط دائماً عدة صور لكل صف لأن أولئك الأولاد لا يجمدون في أماكنهم أبداً، وهناك دائماً طالبٌ يحكّ أنفه، أو ينظر إلى مكان آخر، أو يقوم بحركة ساخرة. أقل ما يمكننا قوله هو أنهم لن يشكّلوا نماذج جيدة للرسامين أو النحّاتين. لذا من الأفضل التقاط عدة صور، لأن ذلك يعطينا إمكانية اختيار أفضلها، وكان هالدور يختار أفضل الصور في الستديو، ثم يرحل دون حتى أن يشكرني أو يودّعني. يختفي فجأة. يا له من رجل غريب. كان يشتكي لأنني وبقية زملائي المصوّرين لا نتكبّد عناء وضع كل طالب في نفس المكان مثل السنة السابقة، وهو يفضّل أن يكون كل ولد في نفس المكان في كل الصور التي تُلتقَط خلال سنواته المدرسية.

– لم أعرفه جيداً.

– لماذا أنت مهتم بهذا الرجل؟

– كان أستاذ أخي دانيال. إنه الولد الذي يجلس على الأرض ويرفع نظره إلى هالدور. لقد مات منذ بضعة أيام. كان يحبّ هذه الصورة كثيراً ويعتزّ بها. وهناك علاقة قوية بين الفتيان في هذه الصورة، فقد كَتَب كل واحد منهم إسمه على

جهتها الخلفية. كلهم ماتوا ما عدا واحد.

– كلهم ماتوا! هذا غير ممكن! كل طلاب الصف؟

– ما عدا ربما الفتيات الثلاثة.

بينما كان ضباط الجنائية يركّزون على اكتشاف مصير الطلاب في صف حمقى هالدور، كان پالمي يحاول اكتشاف أسماء الفتيات المدوَّنة على الجهة الخلفية للصورة، فالأحرف غير مقروءة جيداً، وممحوة في بعض الأماكن أيضاً. الفتاة الأولى تدعى سولفاي ثراستردوتير، والثانية بارا كريستيونسدوتير أو ربما كريستيانسدوتير، والثالثة كتبت إسمها الأول فقط، سارة. عثر پالمي على سولفاي في دليل الهاتف واتصل بها، وأخبَرها عن دانيال وصفّه، وأجابها أنه ليس من الشرطة عندما سألته ذلك، بل هو أخ دانيال الذي مات للتو، ويريد معرفة المزيد عنه، فدعته لزيارتها في منزلها حيث تعمل. شَعَر پالمي أنه رأى إسمها في مكان ما، فهي تترجِم الأفلام الغريبة والمسلسلات التلفزيونية.

تعيش سولفاي مع امرأةٍ في منزلٍ قديمٍ ذي مصاطب في مقاطعة فوسڤوغور، وطلبت من پالمي عدم الاستياء من الأحذية المكوَّمة عند المدخل عندما رأته يرفع حاجبي عينيه من تلك الفوضى، وأجابها أن هذا ليس شأنه.

– شريكتي تدعى هولدا، قالت موضِّحةً له دون أن يسألها أي شيء حالما جلسا في غرفة الجلوس. إنه إسم متجذّر في أرضنا ومعتقداتنا الشعبية*، وهو يلائمها تماماً.

سولفاي امرأة طويلة نحيلة تخطت الخمسين من عمرها، وذات شعر أشقر طويل وأنف قوي وعينين كبيرتين، ولديها النظرات الحازمة التي يتميَّز بها الأشخاص الذين لا يستطيعون تحمّل الثرثرة غير الضرورية. كانت من صنف النساء اللواتي يدخلن في صلب الموضوع مباشرة.

– أتذكَّرك جيداً أيها الصغير، فقد كان داني يأخذك إلى كل مكان في عربة الأطفال الصاخبة تلك، لكنك كنتَ يافعاً جداً بالكاد أكبر من سنتين، وطبعاً لا يمكنك أن تتذكَّر ذلك.

---

* هولدا، إسم أنثوي يشير إلى شعب الهولدو، "الأشخاص المختبئين"، أي إلى الأقزام في الحكايات الشعبية الآيسلندية والذين نالوا شهرة واسعة بعد النجاح الكبير لثلاثية ج.ر.ر. تولكين "سيد الخواتم".

– بالفعل، لا أتذكَّر أبداً أصدقاء دانيال.

– لسوء الحظ أنه ليس لديَّ الكثير لأُخبرك إياه عن أخيك سوى أنه كان أحد الحمقى في صفنا، قالت سولفاي وهي تنظر إلى عينيه مباشرة. لقد كان الفتيان مضطربين جداً ويمضون أوقاتهم في المشاحنة في الملعب وفي السرقة، وحتى أحياناً سرقة أموال الناس بالقوة، لكنني لا أعتقد أن دانيال فعل ذلك مرةً، فذلك كان من اختصاص كريستيان وأغنار وأوسكار. أوسكار هو ذلك الفتى الذي لقَّبوه سْكاري سكر نبات. لكنك لا تتذكَّرهم، أليس كذلك؟

– أبداً. من جهة أخرى، أعرف قصة كِيدي الغراب وعينه المقلوعة.

– وأستاذنا هالدور. يُقال إن طلابه مَن قتله. أياً يكن! أتذكَّره جيداً فلم يكن هناك رجل ممل مثله. لم يرفع صوته أبداً، وكلَّمنا دائماً بصوتٍ منخفضٍ كما لو أنه يخطِّط لأمر ما، أو كما لو أنه اعتبرنا كاتمي أسراره. لم يصرخ، ولم يغضب أبداً حتى عندما كانت لديه عدة أسباب لذلك. وخلافاً لبقية الأساتذة، لم يستخدم عصاه ليضربنا أو ليطرق على الطاولات، فلم يحتج إليها، بل كان يخاطبنا كما لو أننا مساوون له. استمعوا إلى الصمت، هذه كانت جملته المفضَّلة ويقولها لنا في أغلب الأحيان. استمعوا إلى الصمت، فتشرئبّ آذاننا كالحمقى دون أن نسمع شيئاً. هل تريد بعض القهوة؟

– لا، شكراً، رَدَّ بالمي. أنا أيضاً كنتُ أتعلَّم في تلك المدرسة، وكانت القوانين صارمة. أتذكَّر المدير القديم رُوتُور، وقد كان قذراً حقاً.

– نعم، كان الأساتذة يرجفون أمامه ويتصرَّف بلؤم مع الطلاب، خاصة الضعفاء منهم. مثلاً، إذا رأى ولداً بديناً قد أحضر بعض النقانق في صندوق غدائه، يلقِّبه فوراً أبو نقانق ولا يعود يناديه إلا هكذا. كما كان يخاطب كل طالبٍ بصيغة الجمع، وهذا أمر لا يُطاق. لا شك أنه آخر مدير في آيسلندا يستخدم طريقة المخاطبة تلك. يا له من متكبِّر!

– من جهة أخرى، فرضَ الانضباط على الجميع.

– هكذا كان الحال وقتها، ولا مزاح في الأمر. لا أعرف إن كان هذا لا يزال هو الحال، لكن يبدو أن المدارس لم تعد قادرة على السيطرة على الأولاد أبداً. في الأيام الخوالي، كان على الجميع الاصطفاف في الباحة قبل دخول غُرف

التدريس، ولا نتحرَّك حتى يعمّ الصمت مهما تكن حالة الطقس. حتى خلال أسوأ عواصف الشتاء، نبقى واقفين في الباحة بانتظار الضوء الأخضر من الأستاذ. هل يمكنك أن تتخيَّل أمراً كهذا اليوم؟ وقبل مغادرة غرفة التدريس، علينا أن نصطفّ أيضاً، ونسير في الرواق ونخرج من المبنى محافظين على ترتيب الصف، ولا نتجرّأ أن نتفرّق إلا بعد وصولنا إلى الباحة. وإذا تصرَّف الفتيان بشقاوة، نُجبر على الجمود في أماكننا قبل العودة إلى غرفتنا، ويقف هالدور بجانبنا، وهو لا يزال في زيّه الرسمي، ويُخبرنا ببرادة أن نستمع إلى الصمت إلى أن ينفد صبر الفتيان، فيهدأون ويصبح بإمكاننا معاودة الدخول.

صمتت سولفاي ويالمي للحظات قليلة، وغرَقا في تفكير عميق.

– أتذكَّر أنني كنتُ أحبّ لحظة فتحنا علب وجباتنا الخفيفة، فيجلس هالدور وراء مكتبه ويقرأ لنا قصصاً بينما نأكل شطائرنا ونشرب حليباً أو شوكولا باردة من قوارير كاتشاب قديمة. يتمكَّن أحياناً من أن يقرأ لنا ثلاثة كتب في السنة. *أولاد القبطان غرانت*. *غاليفر في ليليبوت*. *إيفانهو*. أقل ما يمكن قوله هو أنه لم يكن قارئاً جيداً، فلم يعرف كيف يستخدم النبرة الصحيحة ويتكلَّم من أنفه قليلاً، لكننا كنا نُنصت له جيداً رغم ذلك، ونتحمَّس كثيراً لتلك القصص، خلافاً له. ثم يوزِّع علينا كبسولات زيت كبد القد.

– بعدما تنتهون من تناول الطعام؟

– يضع هالدور الكتاب في جاروره، ثم يأخذ مرطبانين مليئين بكبسولات صفراء صغيرة ويوزِّعها علينا وهو يمرّ بين الطاولات ويضعها في راحات أيدينا. ويطلب من الفتيان أن يفتحوا أفواههم ويضعها فيها مباشرة، ويداعب أحياناً شفاههم برؤوس أصابعه بلطف، وكنا نجد ذلك التصرّف غريباً حقاً. ناقشتُ الأمر مع الفتاتين الأخريين في صفنا، واكتشفتُ أنه لا يفعل ذلك معنا أبداً.

24

أُعيد سيغمار إلى غرفة الاستجواب في نهاية بعد الظهر حيث بقي مصرّاً على التزام الصمت لفترة طويلة رغم إلحاح إرلندور وسيغوردور أوْلي، ثم استسلم أخيراً لحاجته إلى الكلام عن طفولته وزملاء صفه وأخبَرهم عن اليوم الذي فقدَ فيه كِيدي الغراب عينه. كان أكثر هدوءاً بكثير مما كان عليه في الصباح، ورسمَ لهم صورة عن حي طفولته وأصدقائه، وعن عصر ولّى يندم عليه، وعن الفترة التي سبقت وقوع الكارثة.

– كانت السنة التي وزّعوا فيها علينا ذلك السم. طلبَ مني داني وآخرون أن أرافقهم، وكان پالمي معه بما أن أخاه الكبير يعتني به في فترات بعد الظهر ويأخذه أينما يذهب في عربة أطفال قديمة. كان معه كِيدي الغراب وآغي وسْكاري سكر نبات، وأيضاً غيسلي. أسنان آغي بارزة جداً، ولديه وجه مضحك ويلعب دور المهرِّج دائماً، وأوسكار أعزّ أصدقائه، ولم أعرف أبداً لماذا يُلقَّب سْكاري سكر نبات. كان من الريف. انضممتُ إليهم وبدأنا نتسكّع في الحي دون هدف محدَّد، لكننا كنا ننوي بشكل مؤكَّد تقريباً دخول قبو بيت الرعية، فهو مكاننا السري، عريننا. كما أننا نسمّيه دائماً الوكر لأننا نُخبئ فيه غنائمنا، فنحن نسرق من المتاجر أحياناً. حتى إننا سرقنا حقيبة سيدة عجوزة ذات يوم مع كِيدي الغراب وسْكاري وعثرنا فيها على مئتَي كرونة. كان علينا الارتقاء إلى سُمعتنا كحمقى وأولاد قذرين.

كان ذلك القبو حديثاً، والأطراف الصدئة لقضبان الحديد التي استُخدمت في تشييده بارزة من السطح الأسمنتي، والأرض باردة وغير مسطَّحة، لكننا لم نهتم بكل ذلك لأننا كنا نشعر بالرضا هناك ونُضيئه بشموعٍ تعطينا بعض الدفء أيضاً. وضعنا پالمي عند الجدار بعد لفّه جيداً في عربته، ورحنا ندردش.

سكت سيغمار قليلاً.

– الحي ميت بالكامل هذه الأيام مقارنةً بتلك الفترة. أذهب إلى هناك أحياناً ولا ألتقي بأي ولد أبداً، بينما كان يعجّ بالحياة في الماضي، وهناك عشرات الأولاد في الشوارع، بل أعتقد أنهم كانوا بالمئات.

تابَع سيغمار كلامه ليُخبرهم عن ألعاب رفاقه والمعارك الدموية التي دامت أحياناً حتى منتصف الليل. وأخبَرهم عن التنافس بين مختلف عصابات المنطقة قائلاً إن أولاد المساكن الشعبية في شارع غرينيفيغور كانوا الأكثر وحشية: كان أولاد الشوارع الأخرى يخافون منهم ويتجنّبون استفزازهم، وتنشب معارك أحياناً لاحتكار ملعب كُرة القدم أو المنحدر الذي يُستخدَم للتزحلق. كل أنواع الضربات مسموحة، والأسلحة المصنوعة من المخلفات التي يُعثَر عليها في مواقع التشييد كانت خطيرة جداً أحياناً. يستخدمون أنابيب بلاستيكية ليصنعوا أقواسهم، ويقصّون قِطعاً خشبيةً ليصنعوا الأسهم، وكانت سيوفهم ودروعهم ورماحهم تُحفاً إبداعيةً. غالباً ما تنتهي الصراعات برمي الحجارة لانعدام أي شيء أفضل بين أيديهم، وذلك يسبِّب إصابات خطيرة. تتدخّل الشرطة أحياناً عندما يرى الأهالي أولادهم عائدين إلى المنازل وهم ينزفون. وعندما تأتي مجموعات أو عصابات من أحياء أخرى إلى حيّنا، يتّحد كل أولاد أحياء العشوائيات الفقيرة لطردهم، ثم تُستأنَف المعارك والصراعات، صيفاً وشتاءً، في جوقة من صرخات الحرب.

– كنتُ وداني وكِيدي الغراب وبقية زملاء صفنا نعشق شجارات الحي تلك ونتحضَّر لها جيداً، قال سيغمار وهو ينظر إلى إرلندور وسيغوردور أوْلي. لقد صنعنا أسلحة كثيرة، ومثّلنا مشاهد من أفلام شاهدناها في السينما في جلسات بعد الظهر. تُروى قصص رهيبة عن مراهقين قبضوا على أولاد لتعذيبهم وأذيتهم، لكن الكثير من الروايات المتداوَلة في الحي كاذبة بالكامل، ما عدا قصة كِيدي الغراب التي كانت حقيقية تماماً، ويرويها الأولاد لبعضهم البعض كلما تطرّقت أحاديثهم إلى موضوع الوحشية. وقد تضخَّمت مع مرور الوقت لتصبح مُرعِبةً أكثر بكثير، لكن ذلك لا يقلّل من مقدار صحتها. ولا أزال أسمعها من بعض المتشرِّدين.

غالباً ما كنا نسخر من سوء حظ كِيدي الغراب الذي نال هذا اللقب بعد أن قتل غراباً في فنائه الخارجي، فلم تصبه إلا نكبات. مرةً صدمته سيارة وكسرت له ذراعه، ومرةً أخرى وبينما كنا نتزحلق على البركة الجليدية الصغيرة في المستنقع، وَقَع وكسر ترقوته. وعندما كنا نسرق من المتاجر، يكون الوحيد الذي يُلقى القبض عليه دائماً. ذات يوم، كنا نرمي كتل وحلٍ على منزل أُعيد طلاؤه حديثاً، فلحق بنا المالك الساخط ولم يقبض إلا على كِيدي لأن قدميه علقتا في الوحل. وأسوأ ما في الأمر هو أن حذاءه المطاطي بقي عالقاً في الوحل وضربه والداه ضرباً مبرحاً عند عودته إلى المنزل. لقد عانى كِيدي المسكين من مصائب كثيرة.

كنا قد سرقنا علبة رقائق ذرة وجلسنا نأكلها في القبو حول شموع مُضاءة، وراح غيسلي يشتكي من عيّنة الدم التي سحبتها منه الممرِّضة قبل يوم، وشمَّر عن كُمّه ليُرينا الرضّة الكبيرة التي خلّفتها له عند مِرفقه. تباً كم تؤلمني الحقيرة عندما تغرز الإبرة. سأضربها في المرة القادمة! قال. ربما ستلكمها على وجهها؟ ردّ عليه آغي وفمه مليء برقائق ذرة. أخبَرنا كِيدي الغراب أنه يجد تلك المحاقن مثيرة للإشمئزاز، وأضاف داني أن تلك الممرِّضتين لا تكلِّماننا أبداً بل تكتفيان بوخزنا ثم تطرداننا خارجاً، وقال آغي إنه متأكد أنهما تشربان دمنا مثل مصّاصي الدماء. فجأة، سمِعنا صوت خُطى فوقنا تقترب من الدرج، وظهر ستة أو سبعة مراهقين في الظلمة ساروا نحونا على ضوء الشموع. لم نرهم أبداً من قبل، ولا شك أنهم جاءوا من حي بعيد جداً. كان قائدهم يرتدي بنطلوناً وسترةً من الجلد الأسود، وكانوا في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة وخفنا منهم كثيراً. ثم نزلت فتاة العصابة خلفهم جميعاً ورحنا نحدِّق بها مشلولين فقد رأينا أنها تُمسك قطةً سوداء ميتةً في يدها راحت تدوِّرها بذيلها أثناء سيرها، ولاحظنا أنه تم سحْق رأس الحيوان المسكين وهو ينزف.

غادر سيغمار غرفة الاستجواب في ذهنه، مصطحباً إرلندور وسيغوردور أوْلي معه إلى ذلك الكهف المظلم.

– آه، آه، قال قائد العصابة، لقد وصلنا أثناء انعقاد اجتماع نادي الخياطة في المدرسة الإبتدائية؟ ومعكم بعض رقائق الذرة؟ يا للروعة، يا للروعة!

انفجر أصدقاؤه ضحكاً، ووقفوا حولنا في وضعية تهديدية.

– كم لطيفة كل هذه الشموع، أضاف. يبدو أن مجموعة مثليين جنسياً يقيمون حفلة صغيرة.

ازدادت حدّة ضحكات الآخرين.

– هذا قبونا، اخرجوا من هنا، قال كِيدي الغراب ونهض، ونهض أصدقاؤه معه، والجميع يحدِّقون بالفتاة. فقد بدت خطيرة جداً وهي تحمل تلك القطة بيدها بلا اكتراث.

– وإذا لم نرغب، ماذا ستفعلون، سترمون رقائق الذرة علينا؟ ردّ الزعيم.

– قبوكم؟ قال عضو آخر في العصابة. هل اشتريتموه؟

كان كل الدخلاء أطول منا، وأقوى منا بكثير، والأهم هو أنهم مسلّحون بأقواس وأسهم، وعُصي أيضاً. كانت أقواسهم مصنوعة من أنابيب بلاستيكية بيضاء تركها عمّال الكهرباء في أحد مواقع التشييد، وبدت أسهمهم الخشبية حادّة كالسكاكين. يمكن أن تكون تلك الأسلحة البدائية خطيرة جداً.

– وأنتَ، لماذا لم تنهض؟ سألت الفتاة آغي الذي كان الوحيد الذي لا يزال جالساً على الأرض، ثم قفَزت نحوه وركلته على وجهه فسقط على ظهره، وارتطم رأسه بالأرضية الأسمنتية بصخبٍ. بدأ فمه ينزف، وحطَّ أحد أضراسه في إحدى زوايا القبو.

– اخرجوا! صَرَخ سْكاري سكر نبات.

عانَق دانيال پالمي، ولم يتحرَّك المراهِقون.

– اخرجوا! قالوا مقلِّدين سْكاري. كان آغي ممدَّداً على الأرض ووجهه ينزف.

– كنا نبحث عن ساحة للتدريب فحسب، تابَع قائد العصابة، كما نحتاج إلى هدف أيضاً، فهذه القطة مسلية، لكنها ماتت بسرعة.

ابتسمت الفتاة بتكلّف. واقترب الزعيم من كِيدي الغراب الذي لم يتحرَّك.

– ما رأيك أيها البشع لو نعلِّقك على الجدار لنرى إن كان يمكننا إعادة ترتيب وجهك، قال الزعيم مهدِّداً، وقبض عليه مع اثنين من أصدقائه، ومنعنا باقي أفراد العصابة من الاقتراب لمساعدته. قاوم كِيدي الغراب بقوة، لكنهم ربطوا مِعصَميه بسقف القبو، وباعدوا رجليه عن بعضهما وربطوهما بقِطع الحديد

الصدئة الناتئة من الجدران، ثم راحوا يصوّبون عليه بأقواسهم.

– على فكرة يا شباب، هل مارستم الجنس من قبل؟ سأل الزعيم وهو يصوّب على منفرج ساقيه. أطلق كِيدي الغراب صيحة خوف، ونحن أيضاً، لكن السهم حفَّ فخذه وتحطَّم على الجدار.

– توقفوا أيها الحثالة! صاح دانيال.

بدأ بالمي يبكي.

– اتركونا وشأننا، ستقتلونه! صاح كل أصدقائي وهم يكافحون عاجزين أمام أولئك الدخلاء، وآغي لا يزال ممدَّداً على الأرض. اتّخذ مراهق آخر وضعيته، وأطلق سهماً حطَّ فوق كتف كِيدي الذي تابَع الصراخ.

جاء دور المراهق الثالث الذي راح يتلوّى بقوسه في كل الاتجاهات كما لو أنه يريد أن يمنعنا من معرفة المكان الذي يريد التصويب عليه. ثم أظهَرَ رأس السهم من قبضته، وراح يدور حول نفسه، مصوِّباً بشكل متوالٍ إلى الأعلى والأسفل واليمين واليسار. كان كِيدي يحدِّق به وقد توقف عن الصراخ، فقد مزَّقت الأسلاك مِعصَميه وبدأ ينزف. أصدقاؤه صمتوا أيضاً. توقف الرامي عن الدوران، وعدَّل وضعية السهم وأطلقه. طار في الهواء، ووصل إلى كِيدي الغراب.

تلقّت عظمة الأنف الضربة، فقد أدار رأسه بعد أن رأى أنه سيُصاب في وجهه. انغرس السهم في مِنخَره ودخل العين اليمنى حيث استقرّ. جفل أفراد العصابة وخرجوا من حالة النشوة التي كانوا فيها عندما سمِعوا كِيدي يصيح من الألم، وتبادَلوا النظرات وفرّوا هاربين. أفلتت الفتاة القطة من يدها، واختفوا كلهم من القبو بلمح البصر، تاركين كِيدي الغراب فاقد الوعي. عندما أُغمي عليه، خرَّ رأسه على صدره، وسقط السهم على الأرض.

– ها قد أصبحتما تعرفان كيف فقدَ كِيدي الغراب عينه، قال سيغمار بصوتٍ حزينٍ وقد أخفض رأسه. لقد قَلَعوها له، ولم يكن من الممكن فعل أي شيء له.

بقي إرلندور وسيغوردور أوْلي يحدِّقان به بصمت.

25

– قضينا طفولتنا في المساكن الشعبية للعشوائيات، حسب تسميتنا لها، تابَعت سولفاي وهي تتحدّث مع پالمي في غرفة جلوسها. شكّلنا جماعة متماسكة جداً، فنحن نعيش في نفس الحي ونعرف بعضنا منذ الأبد، ومعظم أهالينا أشخاص غير متعلّمين من الريف يعملون في وظائف ذات رواتب متدنية، وكان بعضهم قد وصل إلى ريكيافيك للتو، وساعدتهم البلدية بتقديمها سقفاً لهم. عانى العديد من العائلات من مشاكل كبيرة، وكان معظم الفتيان في صفنا من إبنائها، لكن لم يكن هذا هو حال داني.

– لقد ربّتنا أمنا بمفردها، وافَقها پالمي الرأي، وكنا فقراء جداً، لكنها عمِلت ليلاً نهاراً مما مكّنها من تغطية نفقاتنا، ولم تواعد أي رجل بعد وفاة أبينا. أتذكّر تهديد المدير لها بين الحين والآخر بأنه سيرفع تقريراً إلى مركز حماية الأطفال، لكنني أظن أن ذلك كان لمجرد إخافتها، والأرجح أنه اعتقَد أنه سيُجبرها بهذه الطريقة على بذل جهد أكبر للسيطرة على أخي. وعندما يجد دانيال نفسه في مكتب المدير بعد إشعاله النار في صفائح نفايات المدرسة أو إحداثه ضجةً في الأروقة، يستدعيها أيضاً ليلقي محاضرة عليها، وحتى تضطر إلى التغيُّب عن عملها أحياناً. أخبَرتني لاحقاً أنها كانت تخشى كثيراً أن تتدخّل مديرية الخدمات الاجتماعية بالمسألة. وذات يوم، كان دانيال يركض في الأروقة ويتصرّف بحماقة فارتطم بالمدير وجهاً لوجه لحظة خروجه من مكتبه وكاد يوقعه أرضاً، فطرده من المدرسة لمدة أسبوع. توسَّلته أمي ألا يتصل بمركز حماية الأطفال، وأخبَرها أن إبنها من أسوأ الطلاب في المدرسة. بعد سنوات على تلك الحادثة، راحت تضحك وهي تتذكّر الرجل المتبختر كالطاووس في مكتبه وهناك كدمة زرقاء ضخمة في وسط جبهته.

انفجرت سولفاي ضحكاً.

– صحيح أننا كنا مجموعة صعبة جداً، وافقته الرأي. فقد أتى أغلبنا من عائلات تعاني من مشاكل حيث الأم فيها هي الشخص الوحيد الذي يعمل، والأب رحل إلى حيث لا يدري أحد. كان منسوب إدمان الشراب هائلاً، ولا يجد الأولاد أي صعوبة في الحصول على البرينيفين، ونجد أنفسنا لوحدنا بعد انتهاء اليوم الدراسي، ولا نعود إلى المنزل في أغلب الأحيان إلا بعد حلول الليل. لقد أُنشئ نظام تقسيم الطلاب حسب المستوى وصفوف الحمقى كرمى لنا. ربما ليس كرمى للأولاد في مدرستنا تحديداً، لكن لكل الذين على شاكلتنا. لم تكترث السلطات سواء تعلّمنا أم لا، بل أرادت فقط ألا نمنع الآخرين من التعلّم. كان هالدور يحاول جعلنا نهتمّ بالدروس، لكنه عرَف أن إدارة المدرسة لا تتوقع منه تحقيق نجاح كبير. أما بالنسبة لأهالينا، فلم يأخذوا مسألة العلم على محمل الجد. لم أكن طالبة سيئة، لكن يكفي أن أكون قد أتيتُ من هذا الحي لكي أُوضع في ذلك الصف. كنا نشعر أننا تُركنا على الهامش عن قصد، ولم يكن هناك أطباء نفسيون أو عمّال اجتماعيون أو أساتذة متخصصون أو مستشارو إرشاد في ذلك الوقت، وقد سمح وجود صفوف الحمقى بتوفير المال. وأسوأ ما في الأمر هو أن أكثر عامل حاسم بالنسبة لإدارة المدرسة عند توزيعها المهام لم تكن له علاقة بقدرات الطلاب بل بخلفيتهم الاجتماعية. أنا متأكدة من ذلك. كان الجميع يقول إن آيسلندا مجتمعٌ لاطبقيّ، لكن الفصل الاجتماعي تجلّى بوضوح تام في نظام تقسيم الطلاب حسب المستوى.

– هل تتذكّرين أي تفاصيل خاصة بشأن توزيع كبسولات زيت كبد القد؟ سأل پالمي. لقد روى سيغمار للشرطة قصة غريبة بأن المدرسة وزّعت أدويةً على فتيان الصف دون علمها، وذلك داخل كبسولات احتوت على مواد أخرى أصبحوا مدمنين عليها وجَعَلتهم لاحقاً مدمنين على الشراب والمخدرات، وحتى مجنونين بالكامل مثل أخي دانيال. في الواقع، زاره هالدور في المستشفى قبل وقت قصير من وفاته، وقد سمِعهما أحد المُشرِفين بالصُدفة يتكلّمان عن كبسولات زيت كبد القد. يبدو لي هذا مدهشاً جداً.

– سيغمار المسكين! كيف حاله؟ أراه أحياناً في البلدة مع المتشرِّدين. هل

يعيش في الشوارع حقاً؟

– أعتقد أنه يعاني من مشاكل منذ مدة طويلة جداً. لقد أتى إلى جنازة دانيال ولم يبدُ بحالة جيدة أبداً. كان يزور أخي في المستشفى، ثم توقّف عن ذلك، وقد أخبَرني أنه لم يعد قادراً على رؤيته يذبل هكذا.

– علمتُ بوفاة داني من الصحيفة. كل تعازيّ الصادقة لك. أقرأ دائماً مقالات تذكر أسماء زملاء صفي السابقين. كِيدي الغراب اختفى ببساطة، وسْكاري مات في الشارع. لا يمكنني إخبارك المزيد عن تلك الكبسولات، لكنني أتذكَّر الفتيان يحقّقون نتائج دراسية جيدة حقاً تلك السنة. كان الأمر مدهشاً جداً، فقد كانوا يتعلّمون بسرعة كبيرة لدرجة تجعل المرء يتساءل إن كانوا يتعاطون المنشّطات. من جهة أخرى، تدهور سلوكهم وأصبحوا سريعي الغضب. هل تعتقد أن المدرسة تابَعت إعطاء الفتيات كبسولات زيت كبد قد حقيقية وراحت تعطي الفتيان علاجاً آخر؟

– هذا ما قاله سيغمار.

– لا أدري. كان بعضهم قد بدأ يحتسي الشراب من قبل، من سنّ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، لكنهم لم يكونوا الوحيدين في الحي الذي يفعل ذلك. من جهة أخرى، كانوا يحتسون الكثير من الشراب حقاً، وسرت شائعات أيضاً بأنهم يتناولون أدوية قوية، ولم أعرف حقاً ما قصدهم بذلك وقتها، ولستُ متأكدة أنه علينا أن نلوم علاجات لا أعرف طبيعتها كانت تُعطى لهم دون معرفتهم. لنقل فقط إن بيئتنا كانت مؤاتية لهذا الصنف من الأمور، فقد سرت شائعات أيضاً أن والدة كِيدي الغراب بائعة هوى. هل كنتَ تعرف هذا؟ كان عالماً عديم الرحمة.

– ثم راحوا يختفون الواحد تلو الآخر.

– كانوا يلعبون مباراة في كُرة القدم عندما مات آغي المسكين فجأة وسقط في بركة المستنقع. يبدو أن قلبه توقف فجأة.

– هل بقيت على اتصال مع الفتاتين الأخريين في الصف؟

– بارا وسارة؟ لم نكن أصدقاء حقاً. أظن أنهما استقرّتا للعيش في الريف، ولم أرهما منذ خروجنا من المدرسة. لم أعد أتذكَّر مَن الذي أخبَرني ذلك. لقد أصبحت ريكيافيك كبيرةً جداً في النهاية لدرجة أن الناس يختفون في الحشود ولا

يعود المرء يراهم مرة أخرى أبداً.

– برأيك، إذا كان ما قاله سيغمار صحيحاً، لماذا لم تُعطِ المدرسة تلك الكبسولات للفتيات؟

– ربما أخذناها أيضاً. لا أعرف. على كل حال، لم يكن لها أي تأثير عليَّ.

فُتح باب المنزل ودخلت امرأة بدينة جداً. نهض پالمي استعداداً للرحيل فقد شَعَر أنه غير مرحَّب به.

– حبيبتي هولدا، هذا الرجل تعلَّم في نفس المدرستين الابتدائية والمتوسطة اللتين تعلَّمتُ فيهما. إنه قلِق ويريد أن يرحل بالفعل.

دخلت هولدا المَهيبة في زيّ مصرف لاندسبنكي الأحمر غرفة الجلوس وقبَّلت سولفاي على فمها بشغف كبير.

– ليس خائفاً من امرأتين مثليتين جنسياً، أليس كذلك؟ سألت الضيف المرتعب الذي كان الخوف جلياً على وجهه.

– أخبِرني يا پالمي، هل تتذكَّر عندما كان الفتيان يضايقونك؟ لا يتوقفون عن طرح نفس السؤال عليك وعندما تُجيبهم ينفجرون ضحكاً. كنتَ تلثغ أكثر من هذه الأيام بكثير. آسفة على فظاظتي، لكنني متأكدة أن هذه القصة ستُضحكك.

– لا أتذكَّر هذا حقاً.

– كنتَ وقتها في حوالي الرابعة من عمرك، وقد رويتُ هذه الرواية لهولدا كثيراً. على كل حال، كنتَ قادراً على التكلّم وقتها، وكان الفتيان يقضون وقتهم في جعلك تكرّر أن وجبة الطعام المفضَّلة لديك هي نقانق مع الكولا. وكنتَ تبتسم ابتسامة كبيرة كل مرة.

– نقانق وكولا؟ تساءل پالمي.

– إذاً يا پالمي، ماذا تفضِّل؟ يسألونك. وأتذكَّر أننا نبدأ بالضحك قبل أن تردّ حتى.

– نقانق كولا؟

– لا، لم تكن تقولها بهذه الطريقة عندما كنتَ صغيراً.

– كيف كنتُ أقولها إذاً؟

نظرت سولفاي نظرة تواطؤ إلى هولدا، وبدأتا تضحكان.
- ماذا كنتُ أقول؟ سأل پالمي.
- نقانق وكاكا! رَدَّت سولفاي.
توقفت المرأتان عن الضحك فقد بدا پالمي منيعاً ضد روح الدعابة التي لديهما.

26

رنَّ الهاتف في منزل إرلندور عند الرابعة فجراً. إنه سيغوردور أوْلي وبدا منزعجاً.

– لم يأخذوا حزامه منه، قال. لا يمكنني أن أصدِّق! وضعه أولئك الأغبياء في زنزانةٍ دون أن يأخذوا منه حزامه وقد شنق نفسه!

– سيغمار مات؟! ردَّ إرلندور جافلاً، واستوى على سريره. لقد شعرتُ أنه لن يعيش لفترة طويلة.

– لم أستطع أن أنام، فاتصلتُ بهناك ليذهبوا ويطمئنوا على حاله، فوجَدوه متدلياً من قضبان زنزانته.

– سأنضم إليك فوراً، قال إرلندور بغضب قبل أن يغلق الخط.

يحتوي رواق مركز الحبس الاحتياطي على عشر زنازين ضيقة مطلية جدرانها بطبقة رقيقة من الطلاء الأخضر المائي، وأرضيتها مطلية بطلاء رمادي سميك. هناك سرير بائس من الأسمنت في زاوية كل واحدة منها، والجدار الذي يواجه الباب يتضمن نافذةً بثلاثة قضبان. كان سيغمار يشغَل الزنزانة الثالثة، وقد ثبَّت حزامه بالقضيب الثاني ولفّه حول عنقه، ثم قفز عن السرير. كان جسمه لا يزال يتدلّى من النافذة عندما وَصَل إرلندور وسيغوردور أوْلي، ووقف قربه بضعة حرّاس ورجال شرطة.

– مَن نسي أخذ حزامه منه؟ صاح إرلندور بصوتٍ مدوٍ وهو يدخل المبنى. أحضِروا لي ذلك الغبي فوراً!

راح مُشرِفان يافعان بزيّ رسميّ يندّدان ببعضهما البعض، فهي مناوبتهما هذه الليلة، والسجين من مسؤوليتهما، وبدأا العمل في مركز الحبس الاحتياطي مؤخراً فقط، بعد أن كانا يعملان في شركة أمن خاصة.

– أنتما؟ زمجَر إرلندور بحدّة، واقترب منهما مهدِّداً وجاهزاً لخوض معركةٍ

معهما. هل تدركان أنكما قتلتما هذا الرجل؟ هل تدركان أنه بإهمالكما لن يتقدَّم تحقيقنا أبداً؟ لا أريد رؤيتكما هنا بعد الآن! أبداً!

لم يحتجّ الرجلان، بل اختفيا من أمامه بخجل، وكان سيغوردور أوْلي قد دخل زنزانة سيغمار من قبل.

– لم تكن معه أي أغراض شخصية عندما استجوبناه هذا الصباح، أقصد صباح البارحة، قال إرلندور وهو ينضم إلى زميله.

– أُخضِعَ للتفتيش الرسمي وطُلب منه إخراج كل محتويات جيوبه، وجاءت فارغة. انظر إلى هذا، قال سيغوردور أوْلي متعجباً وهو يرفع يد سيغمار، هناك جرح على طرف سبابته. اقترب إرلندور وأمسك اليد، وتفحّصها.

– كيف يمكنه فعل ذلك في هذه الزنزانة؟ تمتم وهو يجول بنظره في الغرفة بحثاً عن غرض حاد، لكنه رأى أن الأشياء الوحيدة التي لم تكن مثبّتة بالأرض هي الصابونة على المغسلة الصغيرة ولفّة ورق المرحاض.

أشار سيغوردور أوْلي بسبابته إلى القضبان، حيث أمكنهما لمح نقطة دم صغيرة على إبزيم الحزام. لا شكّ أن سيغمار أحدثَ ذلك الجرح عن قصد بواسطة القطعة المعدنية المتحرِّكة التي يشدّه بها.

– يا للهول، لماذا فعل ذلك بنفسه؟ سأل وهو لم ينم منذ أربع وعشرين ساعة تقريباً، وكان مُتعَباً جداً، وفي مزاج أسوأ حتى من مزاج إرلندور.

– ربما أراد أن يرسل لنا رسالةً؟ أن يكتب شيئاً بدمه؟ لكن أين الورقة؟ على ماذا كتبتَ يا سيغمار؟

تفحّصا كل الجدران، ودقّقا بالزوايا وحول السرير، وفي المغسلة الصغيرة والمرحاض. حتى إنهما انبطحا أرضاً، لكنهما لم يجدا أي شيء. ثم نهضا بعد حين، وراحا يتفحّصان جثة سيغمار.

– هناك مكان محتمل واحد فقط، قال سيغوردور أوْلي.

– أنزِلاه، أمَرَ إرلندور الشرطيين الواقفين عند الباب، فدخلا الزنزانة، ورفعَ الأول الجثة بينما فَكَّ الثاني الحزام بعد صعوده على الفِراش حيث مدَّدا سيغمار الذي كان يرتدي سروال جينز رثّاً وقميصاً تائياً رمادياً.

انحنى إرلندور فوق سيغمار، ورفع له قميصه التائي، ووجد أنه خطَّ أحرفاً على

معدته بدمه.

– ما هذا؟

– مهلاً، ردَّ سيغوردور أوْلي. البداية غير مقروءة، لكن هناك حرف ن، ثم الأحرف غير مقروءة مرة أخرى، ثم أرى حرف ا. لا يمكنني قراءة الباقي.

– "نا"، ما معنى هذا؟ سأل إرلندور وهو يحكّ رأسه.

– ها قد رحلوا كلهم، علَّق سيغوردور أوْلي وهو ينهض. الفتيان الثمانية من الصف ماتوا كلهم، وليس لدينا إلا هذين الحرفين.

مكتبة
t.me/t_pdf

– أردتُ إبلاغك أن سيغمار أنهى حياته ليلة أمس، أعلَن إرلندور موقظاً بالمي من نومه عند الفجر. فبسبب الإهمال والغباء على حد سواء، نسي الحرّاس في مركز الحبس الاحتياطي أخذ الحزام منه قبل وضعه قيد الاحتجاز السابق للمحاكمة. لذا أظن أننا لن نحتاج إلى مساعدتك بعد الآن. لكنني أردتُ أن أشكرك. رجاءً، لا تتردَّد في الاتصال بنا إذا اكتشفتَ أي شيء قد يكون مفيداً لنا.

– يا له من مسكين، رَدَّ بالمي بانزعاج. لقد قال إنه الأخير، وإذا كان ذلك صحيحاً فسيكون كل الفتيان في الصف موتى.

– يبدو هذا. نعتقد أنه قَتَل هالدور وانتحر قبل أن تسنح لنا الفرصة بالتحقيق معه عميقاً. لا يزال دافع الجريمة مجهولاً، لكنني أعتقد أنه أراد أن ينتقم لما حصل عندما كان هالدور أستاذهم. من الواضح أنه لم يُخبِرنا كل شيء يعرفه عندما استجوبناه البارحة.

– هل أخبرتَ هيلينا؟ سأل بالمي مستفسراً.

– لا، لقد قرأتُ إفادتها للتو وهي لا تفيدنا كثيراً.

– هل أخبرتكَ عن الكاسيتات؟

– أي كاسيتات؟

– زرتُها ليلة أمس ويبدو أن مهاجمها يظن أن لديها كاسيتات في منزلها.

– هل تقصد بالكاسيتات تلك الأشرطة المغنطيسية؟

– نعم. يعتقد ذلك الرجل أن لديها بعض التسجيلات وأراد الحصول عليها. الاعتداء عليها مرتبط بموت هالدور بلا شك، ومن غير المستبعد أن يكون ذلك الشخص نفسه قد قتله إذا كان يريد الحصول على تلك الأشرطة.

– ما محتوى تلك التسجيلات؟ سأل إرلندور.

– لا أعرف.

دردَشا لبعض الوقت ثم أنهيا المكالمة، ونهض بالمي ليُعدّ بعض القهوة. لا تزال جريمة قتل هالدور سڤاڤارسون تحتل عناوين الأخبار، وقد ألقت الشرطة القبض على أحدهم، لكن يبدو أن الصحافة تملك معلومات قليلة جداً، فقد كتبت صحيفةٌ أن المشبوه يدعى ثورمار، ولم يعد هناك أي اشتباه باحتمال ضلوع الطلاب في الجريمة، بل أُفسح المجال أمام مجموعة من الأطباء النفسيين المتخصّصين بحالات الاعتداءات الجنسية لإبداء آرائهم. وبحثَ الصحافيون في تاريخ هالدور دون عثورهم على أشياء كثيرة غير الأحداث التي وقعت في هڤولسڤولور منذ عقود خلت.

يعيش مدير المدرسة السابق على مرمى حجر من مدرسة ڤيديغردي في منزل جميل ذي مصاطب، وكان يستمتع بتقاعده فيسافر كثيراً ويلعب الغولف. زوجته متسلِّطة وتأخذه إلى حوض السباحة كل يوم، ويذهبان إلى المطاعم باستمرار، ويستقبلان أولادهما ويزورانهم أيضاً. كلاهما في الخامسة والسبعين من عمرهما، وقد عاشا حياةً لطيفةً، ولا يزالان يتمتّعان بصحة ممتازة، وهما متكبِّران جداً. كان رُوتُور ينتظر الشرطيَين ودعاهما للجلوس في غرفة الجلوس، وجلست زوجته بجانبه فهي لم ترغب أن يفوتها شيء من الحديث، وتولَّد انطباعٌ لدى إرلندور بأنهما نادراً ما يتلقيان زيارات من غير أنسبائهما.

– مثلما أخبَرتُك على الهاتف... بدأ سيغوردور أوْلي الكلام، مخاطباً إياه دون تكلّف، لكن أمكنه أن يرى فوراً أن هذا أزعج مُحاوِره.

– ألا تجد أنه من المؤسف أننا تخلّينا عن أسلوب المخاطبة الاحترامية بصيغة الجمع؟ قاطعته الزوجة وهي تنظر إلى الشرطيين كلٌ بدوره. كان هناك جمال في ذلك الأسلوب. هل تتذكّر يا رُوتُور اليوم الذي اشترينا فيه أخيراً اللوحة الكبيرة من صديقنا غونلوغور شيفينغ المعلّقة خلفنا؟ سألت زوجها وهي تستدير على الأريكة. كان رجلاً راقياً يخاطبنا بتهذيب دائماً بصيغة الجمع، وكنتُ أجد ذلك جميلاً جداً. للأسف أننا فقدنا هذه العادة!

– حاوَلتُ المحافظة عليها في المدرسة، مثلما تعرفين، رَدَّ رُوتُور بنبرة افتخار وهو ينظر إلى ضيفيه.

– أتينا لنكلّمكم عن هالدور سڤاڤارسون. لا شكّ أنكم عرفتم ما حصل له، رَدَّ إرلندور وهو يشدِّد على صيغة الجمع في كلامه.

– آه نعم، يا للهول! صاحت الزوجة. يقولون إنه حُرق حيّاً! معرفتنا به كانت سطحية، وقد أخبرني رُوتُور للتو أنه كان رجلاً غريباً فقد علَّم كل تلك السنوات في المدرسة دون أن يصادق أي شخص فيها. هناك خطب ما في الأشخاص من هذا الصنف.

– بالضبط، الآن وبعد التفكير بالأمر، كان هالدور غامضاً جداً، أكّد رُوتُور.

– هل عاش قريباً من هنا؟ تساءلت زوجته. كانت هذه المنطقة راقية جداً فيما مضى، أما اليوم... آه، لا أعرف. لدينا انطباع أن كل الأشخاص الطيبين غادروها. عندما تقاعد رُوتُور، أخبَرتُه أن علينا الانتقال من هنا نحن أيضاً، ولما لا إلى مقاطعة فوسڤوغور الجميلة جداً. ألا تعتقدان ذلك؟ لكنه لم يأخذ بنصيحتي في النهاية.

– ربما يمكنكم إخبارنا يا رُوتُور إن اشتكى أي طلاب أو أهالي من هالدور خلال وقتكم كمدير؟ سأل سيغوردور أوْلي.

– يا إلهي، لا شك أنه كان عاشق أطفال طوال حياته! صاحت المرأة، وفهِم إرلندور أنهم لن يتقدّموا قيد أنملة بهذه الطريقة.

– عذراً رجاءً، رَدَّ وهو يحدِّق بها، لكن هل يمكنك تركنا نسأل زوجك دون أن تتدخّلي باستمرار؟

– آه، قالت لاهثةً، لقد اختفى التهذيب بالفعل. لا يمكنني أن أصدِّق أن الشرطة تعاملني بهذه الطريقة.

نهضت وهي تراقب زوجها رُوتُور الذي بقي جامداً وصامتاً تماماً.

– في تلك الحالة، قالت مستنتجةً، سأترك هؤلاء السادة وشأنهم. لم أر شيئاً كهذا في حياتي كلها!

– أعتذر، قال رُوتُور حالما غادرت الغرفة، لكن بيرغثورا تشعر بالوحدة قليلاً.

– كنا نتكلّم عن هالدور، تدخّل إرلندور.

– بالفعل. حسناً، لم ألاحظ أي شيء في أي وقت. وإذا كان سلوكه مع الطلاب منحرفاً فإنني لم أسمع عن ذلك أبداً، وأعتقد أنه من غير الوارد على الإطلاق أن يكون قد اعتدى عليهم جنسياً في مدرستي، فمن الصعب جداً إخفاء هذا الصنف من الأمور.

– على العكس تماماً، لأنه وفقاً لإفادة رجل تُوفِّي مؤخراً، كان من السهل إخفاء أمور عديدة في مدرستك، ردّ سيغوردور أوْلي. لقد أمضى ذلك الرجل عام 1967 مع سبعة فتيان آخرين في الصف السادس الشعبة ل، وهي شعبة الحمقى الذين تحسَّنت نتائجهم الأكاديمية تحسّناً هائلاً تلك السنة.

– أتذكّر ذلك جيداً، ولم نفهم ماذا يجري لأن هالدور لم يحقّق أبداً هكذا نتائج مع شعباته الأخرى، واعتقَدنا في البدء أنهم يغشّون، لذا أخضعتهم لسلسلة اختبارات لأفحص مستوى معرفتهم وجاءت نتائجهم ممتازة.

– هل تتذكّر قدوم أي ممرِّضات لأخذ عيّنات دم من الفتيان في صف هالدور كل شهرين؟

– ماذا؟!

– هل تعرف أنه كان يوزّع على فتيان الصف كبسولات يُفترَض أنها تحتوي على زيت كبد القد، لكنها احتوت على مواد أخرى يمكن أن تكون قد أذت صحتهم؟

– لا أعرف عما تتكلّم أبداً.

– هل لاحظتَ يوماً زيادةً في زيارات الممرِّضات إلى مؤسستك؟

– كان كل شيء منظَّماً جيداً، فكانت لدينا ممرِّضتنا الخاصة وطبيبنا الخاص وحتى طبيب أسنان يأتي بشكل دوري ليفحص الطلاب. أعتقد أنهم تلقوا عناية طبية ممتازة، وحصل جميعهم على كل اللقاحات الضرورية، وكانت صحتهم تخضع لمراقبة جيدة، إذا كان هذا ما تقصده.

– مَن الذي كان يسلِّم تلك الكبسولات إلى المؤسسة؟

– إذا لم تخني الذاكرة، كان الصانع بنفسه يزورنا ليسلِّمنا المخزون الضروري في شاحنةٍ، لنقل كل شهرين، وكنا نخزّن المرطبانات في غرفة الأساتذة الذين يأخذون

ما يحتاجون إليه منها. أعتقد أنني أتذكّر أن كل طالب كان يُعطى كبسولةً واحدةً في اليوم، وكنا نضطر إلى إعادة التموين بشكل دوري. لقد أحبّ معظم الأولاد تلك الكبسولات، لأنهم كانوا يتناولون ذلك الزيت بشكله السائل قبل ظهورها، والعديد منهم لم يكن يحبّ ذلك وحتى البعض يتقيأه. عليَّ أن أعترف أن الكبسولات سهَّلت عملية البلع كثيراً فهي مكسوة بالسكر ومذاقها لذيذ. لكن ما قصة فحوص الدم تلك؟

– أفادنا شاهدٌ أن هالدور كان يُجري تجربةً تشمل أدويةً وفحوص دمٍ.

– تجربة؟ في مدرستي؟ هالدور؟ يبدو هذا غير منطقي! من الواضح أنكما لم تعرفاه، فهو لن يقوم بهكذا أمر أبداً. لقد كان ذلك الرجل من صنفٍ انقرض كلياً، ولا يأخذ أي مبادرة، وكان وحيداً وحتى غريب الأطوار.

– ومع ذلك فقد حقَّق نتائج باهرة مع طلاب ذلك الصف.

– بالطبع، لكن ذلك حصل مرةً واحدةً فقط. كان أستاذاً عادياً، وبلا شخصية، ولم يحقّق أي شيء استثنائي.

– ربما الأدوية التي كان يعطيها لطلابه حسّنت قدراتهم الذهنية. هل بإمكان ذلك أن يفسِّر تقدّمهم المُبهِر؟ لا يبدو أنكم حقّقتم تقدّماً مماثلاً.

– نعم، لكن ما تقوله مجرد خيال علمي. أن نعطي أولئك الأولاد دواءً عجيباً يحوِّلهم كلهم إلى عباقرة. هذا شيء نقرأه في الروايات، لكننا نعيش في العالم الحقيقي، والواقع كان عادياً جداً في مدرسة ڤيديغردي، حيث نجحنا في الحفاظ على الانضباط، والحصول على الصمت المطلوب، وجعلنا الطلاب يصطفون مثلما ينبغي. لقد أردناهم أن يتصرّفوا بشكل صحيح وأن يدرسوا بشكل جدي، وكنا نمثِّل نفس المسرحية كل سنة في احتفال الشتاء، ويحضرها العُمدة أيضاً. كنا مؤسسةً يُحتذى بها. هل سنحت لك الفرصة لتدخل مدرسةً إبتدائيةً أو متوسطةً مؤخراً؟ هل سمِعت صراخ الأولاد، الضجة والهرج والمرج في الأروقة وغُرف التدريس؟ لا أفهم كيف يمكن التعليم في هكذا جو فوضوي!

– كانت الأمور أبسط في أيامكم، حيث كان يمكنكم عزل الطلاب الصعبين في صفوف للحمقى، ردَّ إرلندور.

– تماماً، وأعتقد أن الأحوال تدهورت عندما ألغينا تلك الصفوف بعد أن

تولّى أولئك العمّال الاجتماعيون والأطباء النفسيون اللعينون زمام المؤسسات. كانت لصفوف الحمقى منافعها ويجب إعادة تطبيقها، فالطلاب الذين لا يتعلّمون أو الذين يتصرّفون كهمجيين لا يجب أن يُسمَح لهم بتسميم حياة زملائهم الأذكياء. لم تكن الدراسة تتعرقَل في زمننا، وكنا نحقّق نتائج ممتازة.

– على حساب الطلاب السيئين.

– لكن كرمى لكل الآخرين.

– كنتُ في صفٍ للحمقى، أشار إرلندور. بالكاد كان ذكائي متوسطاً على الأرجح، ولا أعرف كيف أتصرّف بشكل صحيح، لكنني أتيتُ من عائلة فقيرة أيضاً، وأظن أن ذلك كان عاملاً مهماً في دستور تلك الصفوف المشهورة. لقد تركتُ المدرسة بعد التخرّج منها، ولم أرغب أن أتعلّم أبداً خلال سنواتي فيها، ولا أحد أراد تعليمي أي شيء. لقد حُدِّد قدري حالما دخلتُ المدرسة، ولم أُعطَ أي فرصة أبداً. هذه هي عواقب صفوف الحمقى، لكنك قد تعتبر أن وضع بعض الطلاب فيها كانت وسيلة لتشجيعهم.

– باختصار، أنت تُخبِرنا أنك لم تكن على علم بتوزيع تلك الأدوية أو بسلوك هالدور في مدرستك؟ سأل سيغوردور أوْلي محاولاً تهدئة حدّة الجدل بين زميله ومدير المدرسة السابق.

– لا أعرف مَن أخبَركما تلك الروايات المملة التي هي مجرد هذيان، وأنا متفاجئ من تصديقكما لها. أعتذر لكن عليَّ اصطحاب زوجتي إلى البلدة، ختمَ رُوتُور المقابلة وهو ينهض.

نهض الشرطيان أيضاً واستأذنا بالانصراف.

– أحسنتَ بإخباره أنهم وضعوك في صف للحمقى، فقد خفَّف ذلك من منسوب الثرثرة لديه. وأنا متأكد أن ذلك المتكبِّر صدَّقك.

– لكنها الحقيقة، كنتُ حقاً في صف للحمقى، أكَّد له إرلندور.

28

رنَّ الهاتف في المنزل الكبير، وردَّ على المكالمة في مكتبه المزَّين بكمية كبيرة من الأعمال الفنية والأثاث الجميل، والذي يضم بضع شاشات حاسوب تعرض أسعار بورصات نيويورك ولندن وطوكيو. لديه كل المعدّات المطلوبة ليتواصل مع أي شخص في أي مكان في العالم، وهذا يمكّنه من عقد اجتماعات مع أشخاص من خارج الحدود، وهو أمر يفعله في أغلب الأحيان. نادراً ما يزور آيسلندا الآن، ويسافر بأقل قدر ممكن من مقرّه في ألمانيا.

لقد سئم من تلقي مكالمات على خطه الخاص الذي لا يعرف رقمه إلا أقرب مساعديه، عِلماً أنهم يعرفون أيضاً أن عليهم استخدامه بأقل ما يمكن.

– ماذا يجري؟ رَدَّ بنفاد صبرٍ.

– يطالبون أن تأتي إلى كوريا مع الصغير، ردَّ الصوت على الطرف الآخر للخط.

– سبق وأخبرتُك أن هذا غير وارد.

– بإمكان ذلك أن يعرِّض العقد للخطر، وذلك الرجل مصرّ أن يلتقي بك، ويريدك أن تُحضر عيّنةً معك.

– هل هذا تهديد؟

– تهديد مني؟ على الإطلاق.

– مع أي طرف أنت؟ معي أو مع الكوريين؟

– السؤال غير مطروح من الأساس، لكن أنا الذي في الواجهة، وهم لا يتركونني وشأني. كما أنهم ليسوا الوحيدين فالألمان أيضاً يريدونك أن تزورهم.

– أخبِرهم أنني لا أغادر آيسلندا. سأكلِّم موظفيَّ في ألمانيا. وإذا أراد الكوريون رؤية الصغير، عليهم المجيء إلى هنا، وعليهم إبقاء قدومهم سراً، وبلا عراضة إعلامية! لسنا بحاجة إلى كل ذلك حقاً.

– سأُخبِرهم.

– هل هناك شيء آخر؟

– تلك الكاسيتات. إنهم قلقون بشأنها كثيراً.

– هل تخشى أن تخاف غودرون الآن بعد أن تتكلّم الصحف عن مقتل هالدور باستمرار؟

– لطالما كانت غودرون ورانفيغ وفيتين لنا تماماً، وفهِمتا غاية عملنا، وعندما ماتت رانفيغ، لم تُظهِر غودرون أي ندم، كما أنه ليس لديها أي سبب للشعور بالندم. نحن نحقّق أشياء عظيمة، ولا يمكنني أن أتخيّل غودرون تخوننا، كما أنها تعيش برخاء كبير بفضلنا، وأظن أنها لا تريد أن تخسر كل ذلك.

– ألا تعتقد أن الشرطة قد تعرف عنهما؟

– هذا غير محتمل، فالشرطيون عندنا ليسوا الأذكى في العالم.

– غير محتمل، لكن غير مستحيل. حاول الحصول على تلك الكاسيتات إذا كانت موجودة حقاً، فليس مقبولاً عندي الاكتفاء بالأمل أن يكون هالدور قد رمى تهديدات فارغة.

أغلق الرجلان الخط.

على مقربة من الجدار الذي يحيط المنزل الكبير، هناك بستان صغير لا تصله الكاميرات لأنها تركِّز على المحيط المباشر للمنزل، وكل سنتيمتر مربع من المحيط مُراقب على مدار الساعة من قِبل حرّاس داخل سقيفة الحديقة الصغيرة، لذا فالبستان يقع في منطقة ميتة. راح الرجل يحدِّق بالمنزل الضخم والجدار الذي يطوّق عدة هكتارات، وهمَس أن الثروة الموجودة على الجهة الأخرى هي ثمرة أعمال شنيعة. كان يرتدي سترة عسكرية كاكية اللون وسروال جينز وحذاءً رياضياً، وشَعَر بتوق إلى سيجارةٍ، لكنه لا يستطيع أن يخاطر بإشعال واحدةٍ. ليس هنا. ليس الآن.

بقي يحدِّق بالمنزل لفترة طويلة، وهو يُلقي بصوتٍ منخفضٍ أبيات شعر يعرفها منذ فترة طويلة: *"أجمل لحظات تبجيلك ستلمع كالبرق في الليل"*. ثم سكت فجأة وراح يُنصت. بدا له أن الصوت يشبه زقزقة عصفور عند الشاطئ تحت، لكنه سمِع صرخات أولاد يتردَّد صداها في المنزل الكبير.

29

ذهَب پالمي إلى مكتب البريد حوالي الظهر ليستلم الرسائل المسجَّلة الثلاثة التي وصلته إخطاراتها البارحة، ومثلما توقع، كانت تحتوي على كتب أُرسلَت له في مغلفات ورقية كبيرة. وجد أن الرسالة الثالثة أخفّ وزناً بكثير من الرسالتين الأخريين، ولم يبدُ له أنها تحتوي على كتابٍ ولم يتعرَّف على خط يد المرسِل. هناك أشخاص من كل أنحاء آيسلندا يرسلون له دائماً مخطوطات أو رسائل ورثوها من أجدادهم على أمل أن تكون للأشياء القديمة التي عثروها عليها في الحظيرة أو العليّة قيمة مالية ما.

كان عدد الزبائن في المكتبة ذلك اليوم لا بأس به، ولديه أعمال كثيرة عليه أن ينُجزها. للمتجر زبائنه الدائمون، لكنه تلقى اليوم عدداً غير عادي من الزبائن الجدد الذين راحوا يستكشفون الصناديق والرفوف على أمل إيجاد ما يبحثون عنه. پالمي يبيع الكتب حصراً، لذا فإن زبائنه محدودون جداً وكل الزبائن الدائمين يعرفون بعضهم البعض بما أنهم من عشّاق الكتب القديمة أو الطبعات النادرة، وكلهم يحبّون مناقشته ويعتبرونه مُحاوِرهم المفضَّل، فالكتب تشكِّل جوهر وجوده وأكبر متعة لديه في الحياة.

قُبيل موعد إغلاق المكتبة وبعد رحيل معظم الزبائن، دخلَ عضوان من الجنائية لاستجوابه. لم يرهما أبداً من قبل، وقد أخبراه أنهما يبحثان عن معلومات عن الطلاب السابقين للصف السادس الشعبة ل، وقد قيل لهما إنه على عِلم بهذه المسألة. أومأ پالمي برأسه وأعطاهما العناوين العامة لقصة دانيال.

أخذ المغلفات الثلاثة معه إلى المنزل دون أن يفتحها، وأعدَّ لنفسه وجبة طعام بسيطة. ثم مرَّت عليه داغني وولداها لاحقاً في المساء ليعرضا عليه زيارتهم ومشاهدة فيلم أميركي معهم على التلفزيون. عاد إلى منزله حوالي منتصف الليل،

وبدلاً من أن يأوي إلى السرير مباشرة، قرّر فتح المغلفات أخيراً.

احتوى المغلف الأول على تشكيلة قصص قصيرة تدعى *قرب الشلالات* تأليف ثورجيلز غيالاندي، نُشرت لأول مرة في أكوريري من قِبل أودور بيورنسون عام 1902، ثم أُعيد نشرها في تنسيق جديد، ومعها أيضاً تشكيلة قصص قصيرة أخرى تدعى *غرب وشرق المحيط* تأليف أينار هيورليفسون، ونشرتها دار إيسافولد عام 1901. كان التجليد سيئاً، والصفحات المربوطة ببعضها البعض بخيوط هشّة مصفرّةً ومهترئةً، وحتى إن بعضها ممزّق، والأغلفة رثّة ومخدوشة. في الرسالة المرافِقة للكتب، سأل المرسِل، وهو فلاح من إقليم ثينغيسجارسيسلا، عن قيمتها، وطلب من پالمي أن يتكرّم ويرسل له المال إلى العنوان المذكور إذا كان مهتماً بها.

احتوى المغلف الثاني المرسَل من إسافيوردور على رسالة مماثلة، حيث أن المرسِل عثر مؤخراً على كتاب أدعية بين الأغراض الشخصية لأمه الراحلة. بدا الغلاف في حالة جيدة نوعاً ما، وقد كَتَبت المالكة على الصفحة الداخلية الأولى: *هذا الكتاب يخص روشيلدور يونسدوتير وهو عزيز جداً على قلبها*. وقالت صفحة عنوان الكتاب المطبوعة بأحرف زخرفية: *الأناشيد الخمسون التي جمَّعها هالغريمور بيتورسون. الطبعة الـ29، ريكيافيك، 1858*. راح پالمي يفحَصه مطوَّلاً، وشردَ في عالمه الخاص مثلما يفعل كلما وقعت يداه على كتاب مثير للاهتمام.

فتَح أخيراً المغلف الثالث الذي احتوى على ثلاث كاسيتات صغيرة ورسالة قصيرة:

آمل أن تكون هذه مفيدةً لك يا پالمي، وأن تتمكن من كشف الأوغاد الذين دمَّروا حياة فتياني الأعزاء.

هالدور.

مرتاباً، أعاد پالمي قراءة الجملة مرتين، ثم أخذ الكاسيتات وقيّمها. كل جهة تدوم خمس عشرة دقيقة، مما يجعل المدة الإجمالية ساعة ونصف. فحَص تاريخ الطابع على المغلف، ووجد أن هالدور أرسلها يوم وفاته. لا شكّ أنه سجَّل إفادته عليها، وتذكَّر پالمي ما قالته هيلينا بأن مهاجمها كان يبحث عن كاسيتات،

والأرجح أنها هذه الثلاثة التي يحملها پالمي بين يديه.

ليس لديه مسجِّل أشرطة، ولا يريد أن يزعج داغني في هذا الوقت المتأخر من الليل ليسألها إن كان لديها واحدٌ، ولم يرغب إخبار إرلندور فوراً بأنه أصبح يمتلك هذه الوثائق فقد أرسَلها هالدور إليه ربما لكي لا تعرف الشرطة بها. في الحالتين، سيضطر أن ينتظر إلى الغد لكي يستمع إليها، فأوى أخيراً إلى السرير، لكنه لم يستطع أن ينام، لذا نهض وراح يمشي ذهاباً وإياباً في شقته الغارقة في الظلمة والتي يصدح فيها عويل الرياح، ثم أخذ الكاسيتات عن طاولة غرفة الطعام وخبأها في جارور مكتبه وأقفَله. أعدَّ كوب شاي راح يشربه برشفات صغيرة وهو يراقب عبر نافذة غرفة الجلوس العاصفة المفاجئة تعنِّف الأغصان المحمَّدة في فناء المبنى، ثم وَضَع إحدى أسطوانات جيري موليغان في الفونوغراف: *عندما كنتُ شاباً، لم أكن شاباً أبداً*. أخرجَ الكاسيتات من جارور المكتب وأخفاها في العلبة التي تحتوي على كامل أعمال جوناس هالغريمسون، إلى جانب مجموعة ملاحظات مؤلف الطبعة، ثم عاد أخيراً إلى السرير وغفا بُعيد سماعه الساعة القديمة في غرفة الجلوس تدقّ أربع مرات. نام أولاً نوماً بلا أحلام، لكن هذه الأخيرة لم تتأخر في القدوم، حيث وجد نفسه في مستشفى الأمراض النفسية مع دانيال وكان ينظر إلى الدرج الذي يؤدي إلى القبو من نافذة الطابق الأخير المفتوحة. أمره أخوه أن يقفز، لكنه رفض، فراح دانيال يخنقه وهو يصرخ.

– *أين الكاسيتات؟ أين الكاسيتات؟*

أبهَره مشعل كهربائي مصوَّب على وجهه فوجَد صعوبة في فتح عينيه، وبدأ شخص يضغط على حنجرته ويسأله بنبرة تهديدية: أين الكاسيتات؟ وراح پالمي يختنِق أكثر فأكثر كلما زاد مهاجمه من ضغطه. احتاج إلى بضع لحظات ليستوعب ما يحدث له، والمشعل الكهربائي مصوَّب عليه طوال ذلك الوقت والرجل يهدِّده باستمرار بطرحه السؤال نفسه. لم يستطع رؤية وجهه، وقد دخل شقته ليقتله على الأرجح إذا لم يعطه ما يريده.

– *الكاسيتات!* كرَّر المهاجم بصوتٍ صاخبٍ بقدر ما شَعَر أنه قادر عليه في هذا المبنى دون أن يسمع الجيران أي ضجة.

حتى ولو أراد پالمي أن يجيبه فإنه لم يكن قادراً على نطق أي كلمة لأن

مهاجمه يخنقه، لذا راح يحدِّق به بعينيه المنتفختين من النوم، وازداد منسوب رعبه كثيراً عندما رأى رجلاً آخر يقترب ولم يستطع أن يميّز منه سوى شكله الأسود خلف الشعاع المُبهِر للمشعل. راح الظل يكبُر شيئاً فشيئاً خلف المهاجم، ثم توقف وضربه. تساءل المهاجم ماذا يجري له عندما رفعه الرجل الآخر فجأة ودفَعَه بعيداً بشكل فظ فسقط أرضاً ووقع مصباحه من يده. رأى پالمي في الظلمة منقِذه يخبط رأس المهاجم بالجدار، ثم يسحبه إلى خارج غرفة النوم، ثم إلى خارج الشقة نحو الدرج، واختفيا دون أي كلمة، دون أي صرخة، في أعماق ليل الشتاء.

30

باكراً في صباح اليوم التالي، دعا إرلندور إلى اجتماع مع مساعديه الرئيسيين الذين تحقّقوا من صحة إفادة سيغمار مع عائلات الفتيان في الصف السادس الشعبة ل عبر مقارنة ما قالوه بسجلات الشرطة والتقارير الجنائية عند الحاجة إلى ذلك، واستعرض أعضاء الفريق نتائج تحقيقاتهم.

يعرفون ما حلّ بسيغمار، فوالداه لا يزالان حيّين، ولم يرياه منذ سنوات ولم يتلقيا أي خبر منه بعد أن طرداه من المنزل في سنّ السابعة عشرة، وقد وصفاه بمدمن مخدرات عنيف ولص غير قابل للإصلاح. مات في سنّ الثانية والأربعين.

أغنار بالدورسون، الملقَّب آغي، مات من نوبة قلبية في سنّ الثالثة عشرة. لا تزال أمه المطلّقة حيّة، وأخوه الأكبر النجّار يعيش في سودركروكور، وأبوه يعيش حياة مساكنة في هڤيراغردي.

والدا أوسكار كاراسون، الملقَّب سْكاري سكر نبات، ماتا منذ مدة طويلة، وأخوه يدير شركة تكنولوجيا معلومات ناجحة ويوظِّف أختهما. كلاهما أخبَرا الشرطة أن أوسكار مات من جرعة مفرِطة في أواخر الثمانينات، وهذا هو السبب الذي أكَّدته التقارير الطبية. وقد وضَّح الأخ أن أوسكار بدأ يتعاطى المخدرات في مراهقته، وأصبح مدمناً حقيقياً بسرعة كبيرة، واعتقلته الشرطة عدة مرات لاتجاره بالمخدرات، وسُجن لبضعة أشهر. عُثر على جثته أمام النادي الليلي سيغتن على بولفار سودورلاندزبرو، وكان في الثانية والعشرين.

تعرَّض غيسلي بيارناسون لحادث عمل في مزرعةٍ، حيث كان يقود جرّاراً من دون أي معدّات حماية، وهذه كانت العادة في ذلك الزمن، وفَقَد السيطرة على المركبة التي انقلبت ودهسته وقتلته على الفور. والداه متوفيان أيضاً، وقد قالت أخته إن رحيل إبنهما الوحيد شكَّل لهما صدمة لم يستطيعا التغلّب عليها،

فتطلَّقا، ومات أبوها من نوبة قلبية. مات غيسلي في سنّ الثالثة عشرة.

تعرف الشرطة أيضاً كيف كان مصير دانيال، فقد انتحَر في مستشفى الأمراض النفسية حيث أمضى معظم فترات حياته. والداه متوفيان، وأخوه الأصغر سناً منه يدعى پالمي. شُخِّص دانيال بإصابته بالفُصام في سنّ المراهقة، وقد حاوَل قتل أخيه الصغير، مما أدى إلى دخوله المستشفى. كان في الثانية والأربعين من عمره عندما مات.

لا أحد يعرف شيئاً عن كريستيان إينارسون منذ ثلاث عشرة سنة، وقد انتقل والداه للعيش في أكوريري. واجه أبوه مشكلةً مع القانون أكثر من مرة، وقد حُكم عليه بالسجن لخمس سنوات لجريمة قتل ارتكبها وهو ثمل، حيث أنه طَعَن رجلاً في نادٍ ليلي. ويُقال إن والدة كريستيان، الملقَّب كِيدي الغراب، مارست الدعارة في شبابها. لا توجد أي تفاصيل عن اختفاء الشابّ، ولم يستطع والداه تقديم أي شرح لذلك، وقد فشلت الشرطة في الاتصال بأخته التي تعيش في نيسكاوستادور. لا يملك كريستيان أي سجل جنائي، وقد اختفى في سنّ التاسعة والعشرين.

أُوتار غودمنسون مفقود أيضاً، ويُقال إنه سبح إلى البحر وغرِق. لم يُعثر على جثته أبداً، لكن عُثر على ملابسه وحذائه بالقرب من منارة غروتا في خليج سلتيارنرنس. لا يزال والداه حيّين، وقد وصفه أخوته وأخواته الثلاثة بأنه شابّ هشّ وسريع التأثّر بالآخرين، لكن انتحاره حيَّرهم، عِلماً أن طبيباً نفسياً كان يعالجه. اختفى في سنّ التاسعة والعشرين.

أوغست كيارتنسون أنضبَ دمه بعد أن قطعَ الأوردة في مِعصَميه، وقد عُثر عليه في القبو الرديء الذي كان يستأجره في الحيّ الغربي بعد بضعة أسابيع على انتحاره عندما اشتكى الجيران للمالك من الرائحة الكريهة. لا يزال والداه حيّين ويعيشان في ريكيافيك، لكن لم يكن قد جرى أي تواصل بينهما وبين إبنهما لسنواتٍ عند وفاته، وقد وصفه أخوه الذي بقي يزوره بشكل دوري بمدمنٍ. مات في سنّ السابعة والعشرين.

– شكراً جزيلاً، ختمَ إرلندور تقرير زملائه عند نهايته. نرى أن هناك بضعة قواسم مشتركة بين هؤلاء الرجال تؤكِّد إفادة سيغمار. مخاوف الإدمان، مشاكل

نفسية، مَيل إلى الجريمة والانتحار. من جهة أخرى، لا يمكننا القول ما إذا كان كل ذلك مرتبطاً بالأدوية التي كانت توزَّع عليهم في المدرسة أم لا. تبدو لي الفكرة سخيفة، وبرأيي هي مجرد هذيان مدمن مخدرات تعاطى الكثير من المواد طوال حياته. لم يكن أولئك الأولاد القادمون من تلك الخلفيات بحاجة إلى أي تشجيع لسلوك درب الجريمة، لكن تبقى لدينا حقيقة أن أستاذهم السابق هالدور قُتل بطريقة شنيعة تدلّ على غضبٍ وتعطّشٍ كبيرٍ للانتقام. من غير المستحيل أن يكون سيغمار قد أشعل الحريق، لكنني أجد صعوبة في تخيّله قاتلاً. لقد كان ذلك الرجل المسكين حُطاماً حقيقياً.

– بما أن كل شيء قاله عن أصدقائه حقيقيٌ، لماذا سيكذب بشأن تلك الكبسولات؟ سأل أينار الذي قرأ، مثله مثل بقية أعضاء الجنائية، المحضر الرسمي الذي روى فيه سيغمار روايته الغريبة. هل الرواية سخيفة إلى هذا الحدّ حقاً؟ من المعقول جداً أن نتخيَّل أنهم أجروا اختبارات لدواء جديد. هل كانت هناك تجارب علاجية تجري في ذلك الوقت؟

– في تلك الحالة، علينا أن نستجوب صانع ذلك الدواء، رَدَّ سيغوردور أوْلي.

– ليس مؤكداً أنه لا يزال موجوداً، قالت إلينبورغ. إذا أردنا استكشاف هذا الخيط جدياً، بافتراض أن هناك شركة أدوية خدَّرت الأولاد حقاً، سيكون علينا إيجاد أسماء أولئك الذين كانوا فاعلين في تلك الفترة. بالإضافة إلى ذلك، إذا كان قد تم استخدام الطلاب في صف سيغمار كحقول تجارب، فمن غير المستحيل أن تكون تجارب مشابهة قد جرت في مؤسسات أخرى. كم كان حجم تلك التجارب؟

– نحتاج أيضاً إلى معرفة سبب اختيار أولئك الأشخاص لصف سيغمار، قال إرلندور. صف حمقى، طلاب إشكاليون، يعيشون في مساكن شعبية، أولاد مزعجون. وفجأة، يصبحون عباقرة. هل كان ذلك هو هدف التجربة أم كان مجرد تأثير جانبي لها؟

– هل نعرف المزيد عن الممرِّضتين اللتين ذكرهما سيغمار؟ سألت إلينبورغ.

– فكَّرتُ بإيجادهما، رَدَّ أينار. إذا كنتُ قد قرأتُ محضر استجواب سيغمار بشكل صحيح فلا شك أن تلك المرأتين كانتا في حوالي الخامسة والثلاثين من

عمرهما في ذلك الوقت. لذا علينا الحصول على لائحة بكل الممرِّضات اللواتي حصلن على شهادتهن بين عامي 1953 و1963 مثلاً، أي اللواتي وُلدن بين عامي 1930 و1935. هذا النوع من الأبحاث يتطلب موارد بشرية كبيرة.

– اهتمّ بالأمر، قال إرلندور خاتماً الاجتماع. علينا إيجادهما.

31

بما أن مسجِّل أشرطة داغني لم يكن ملائماً لحجم الكاسيتات، رأى پالمي أن لا حل آخر لديه سوى شراء واحدٍ. حاوَل أن يتصل بإرلندور ليُخبره عن الاعتداء الذي تعرّض له تلك الليلة، لكن قيل له إنه يحضر اجتماعاً مهماً ولا يجب إزعاجه، ولم يملك پالمي الشجاعة ليُصرّ على أن الأمر طارئ، فحياته ليست في خطر مباشر مثلاً، رغم أن محتويات شقته قُلِبَت رأساً على عقب بعد رحيل المعتدي الذي كان قد فرَّغ جارور المكتب من بين أشياء أخرى، لكن دون أن يفتح صندوق الأعمال الكاملة للشاعر العظيم من القرن التاسع عشر جوناس هالغريمسون الذي يحمي الكاسيتات جيداً.

طلبَ پالمي مرة أخرى من طالبة الأدب أن تحل محله في المكتبة لليوم بأكمله، وذهَب إلى متجر للأجهزة المنزلية واشترى مسجِّل الأشرطة الملائم. كان يقوم بكل تنقلاته بالحافلة، لذا فالرحلة استغرقت بعض الوقت، وعاد إلى المنزل بُعيد الظهر وجلس ليستمع إلى الكاسيتات المرقّمة 1 إلى 3 بأن وَضَع الكاسيت الأولى في الآلة وشغَّلها.

هذه ليست اعترافات هالدور، بل المحادثات التي أجراها مع دانيال في المستشفى وقد سجَّلها قبل موته ببعض الوقت، وتُظهرهما يتكلَّمان ببطء وبصوتٍ منخفضٍ. تميَّزت أحاديثهما بفترات صمت دامت عدة دقائق أحياناً، وجعلت پالمي يتساءل إن كان الجهاز معطلاً، ثم يعاودان الكلام من جديد. رجلان يتحدّثان قبل موتهما ببضعة أيام.

هالدور: ... واشتريتُ بعض الأطر الجميلة للصور من ذلك المصوِّر غير الودود لأعلِّقها على الجدران في غرفة جلوسي، وكان صبري ينفد كلما أتلقى صورة جديدة، فهي تجعلني أسترجع ذكريات كثيرة، وأشعر أنني كنتُ محظوظاً

لتمكّني من متابعة طلابي من لحظة دخولهم المدرسة حتى تخرّجهم حاملين شهادتهم. لقد رأيتُهم يكبرون ويتطوَّرون ويتقدَّمون، ويمكنني القول إنهم زهوري. لكل صف طلابٍ سلسلته الخاصة على الجدار في غرفة جلوسي وأهتمّ بها بحرص شديد. أنظر إليها كثيراً وأراهم يتغيَّرون مع مرور الوقت. يمكنك أن تلاحظ أموراً كثيرةً في صورة الصف المدرسي يا دانيال، فهي تُريك ألف شيء وشيء. تُريك الفتيان الأكبر حجماً في الوسط، والفتيات يجلسن دائماً على الأرض. أظن أن عدم المساواة بين الجنسَين ليست جلية في أي مكان آخر أكثر مما هي عليه في تلك اللقطات القديمة. لكن الأمور تغيَّرت كثيراً منذ ذلك الوقت، واليوم هو عصر الفوضى. لم أعد أرى أولئك الصغار. يعيشون حياتهم ويختفون. لكنني حامي طفولتهم التي تبقى قربي.

ذات ليلة جمعةٍ منذ سنوات وبينما كنتُ أنظر إلى تلك الصور الجميلة وأحتسي بعض البرينيفين لأهدّئ الوحش الذي في داخلي، قرَع شخصٌ على بابي، وهذا أمرٌ نادرٌ بما أنني لا أتسكَّع مع أي شخص ولا أريد أن أستقبل أي زوّار، وحتى هيلينا أختي تزورني مرةً واحدةً فقط كل سنتين. هناك أحدٌ على عتبة بابي يريد التكلّم معي، لذا أطلَّيتُ من النافذة، لكنني لم أر أحداً فزاوية المنزل حجبت عني الزائر الذي قرَع مرة أخرى وبإصرار لدرجة أن الجدران اهتزّت. لذا اضطررتُ أن أفتح الباب، ووجدتُ رجلاً ذا بنية جسدية قوية يضع نظّارات ذات إطار مصنوع من صدفة ظهر السلحفاة، ويرتدي ملابس أنيقة جداً. سألني إن كنتُ هالدور حقاً، أستاذ الابتدائية والمتوسطة. لم أكن قد رأيتُه أبداً من قبل، وحذَّرتُه فوراً أنني لن أشتري أي شيء منه، فرَدَّ أنه ليس داعيةً أو بائع أسماك مجفَّفة. خَبَطتُ الباب في وجهه وما كان يجب أن أفتحه له مرة أخرى أبداً، أبداً يا دانيال، لكنني حالما عدتُ إلى غرفة الجلوس، سمِعتُ صرير غطاء فتحة البريد في الباب.

– لقد أتيتُ لمناقشة مسألة هڤولسڤولور، قال في الفتحة. أنصحك أن تدعني أدخل، فمن الأفضل لكلينا ألا أبقى في الشارع. لذا فتَحتُ له الباب فوراً لأنني لم أرغب أن يسمع الجيران ما لديه ليقوله لي، فدخَل غرفة الجلوس وجلس على الكنبة، وجلَستُ على كرسي بلا ظهر ولا ذراعين.

– أرى أنك أعددتَ لنفسك عشاً صغيراً مريحاً، قال بازدراء. كان رجلاً بغيضاً، ومُعتدّاً بنفسه. أي صنف من الرجال أنت حقاً؟ تابَع يقول وهو يمسح الغشاوة عن نظّاراته.

لم أجبه، ولم تكن لديَّ أي فكرة على الإطلاق مَن هو أو ماذا يريد مني.

– لم أستطع أن أصدِّق أذنيَّ عندما أخبَرنا ناظر المدرسة بذلك. أستاذٌ يعتدي على فتيان صغار! لم أصدِّق أن هذا النوع من الانحراف يمكن أن يكون موجوداً. لقد طردوك، أليس كذلك؟ بما أنك منحرِف قذر!

بدت لي نبرته مألوفة، وأخبَرتُه أنه لا يمكنه أن يفعل أي شيء لي لم يفعله الآخرون من قبل، ثم تمنّيتُ عليه ألا يهدِّدني.

– أهدِّدك؟ ردّ بحدّة. على أي حال، لا أنوي أن أُشفق على شرير مثلك. فقط لو سمِعتَ ما أخبَرني إياه مدير تلك المدرسة. آه، لقد اخترتَ أنسب وظيفة لمنحرِفٍ مثلك. أستاذ في الابتدائية والمتوسطة.

كان ذلك الرجل مريعاً يا دانيال، وقد أرعَبني.

– نرسل أولادنا إلى المدرسة معتقدين أنهم بين أيدٍ أمينةٍ، بينما نحن في الواقع نرميهم في فم الذئب، بين مخالب وحشٍ، أضاف.

كان قادراً على التكلّم معي بالنبرة الصحيحة، وقد عرَف ما يجب قوله، ويُدرك كل شيء حصل في هڤولسڤولور. سألتُه إن كان قد تجسَّس عليَّ، ومَن هو، وماذا يريد مني، فاكتفى بالضحك وأخبرني أنه أجرى بحثاً عن وجودي البائس ووجده مبتذَلاً جداً حتى درجة البكاء.

– ماذا فعلتَ لاولئك الصغار تحت الدُش؟ وما هذه الرائحة الغريبة التي تفوح حولك؟ أين وجدتَ رداء الحمّام الأحمر الرثّ هذا؟

كان سوقيّاً ووحشياً وفظّاً. كان وغداً حقيقياً. لقد سمِعتُ هذا الصنف من الكلام من قبل وحتى أسوأ منه بكثير، لكنني شَعَرتُ أمامه بعجز كلي، فقد عرَف حياتي كلها. وكلما زاد من تحقيري، كلما شعرتُ بمزيد من العجز.

– بعد توضيحنا ذلك يا هالدور، تابَع يقول، عليَّ أن أُقرّ أن لديك تشكيلة لطيفة من صور الصفوف، وأظن أنك تعتني بها جيداً، وتمسحها لتمحو آثار انحرافك. ألستَ مغرماً قليلاً بهؤلاء الأولاد؟ يريد كفيلي أن يعمل معك، لذا

سأعود إليك لاحقاً حالما يصبح جاهزاً. أنت الرجل الذي يحتاج إليه بالضبط، وسيشكرك بتدبيره الأمر بحيث لا يعلم الناس أنك شخص مقيت، وأنا متأكد أنك ستكون متعاوِناً جداً.

سألتُه ماذا يريدني أن أفعل.

– لا شيء خطير بالمقارنة مع ما تفعله بأولئك الأولاد، رَدَّ ضاحكاً. أنا متأكد أنك لن تخيِّب أملنا.

– ماذا تريدني أن أفعل؟ كرَّرتُ.

– ستعطي صف الحمقى نوعاً جديداً من كبسولات زيت كبد القد، ردَّ ذلك الوحش.

صمت.

هالدور: عليَّ أن أخبِرك هذه القصة يا دانيال. دعني أُخبِرك كل شيء. وآمل ألا تطردني مثل المرة الماضية. عليك أن تدعني أشرح لك كل ذلك.

صمت.

هالدور: أنت تتذكَّرني يا دانيال، أليس كذلك؟

صمت.

هالدور: هل هذه هي الكافيتيريا لديكم؟ تبدو لطيفة جداً. هذا المستشفى مُرعِب من الخارج، بكل تلك القضبان على النوافذ، والجدران التي لم يُجدَّد طلاؤها منذ سنوات. من المؤكَّد أنك لستَ سعيداً هنا.

دانيال: يحشوننا بأدوية تجعل حياتنا أسهل، ويعطوننا الكثير من العلاجات على شكل حبّة أو حقنة، ويكفي أن ننادي مُشرِفاً حتى نجد أفواهنا قد مُلئت بالحبوب. هذا هو المكان الذي أكون فيه أكثر سعادة.

هالدور: هل تأخذ الكثير من الأدوية الآن؟

دانيال: أتذكَّرك جيداً يا هالدور. كنتَ أستاذنا، وكنتَ ترتدي دائماً بذلةً وربطة عنق وحذاؤك يلمع كثيراً. زرتُك ذات يوم في منزلك ووجدتُ كل شيء فيه قذراً ما عدا قمصانك، وحاوَلت اغتصابي.

صمت.

هالدور: أعرف، سامحني يا دانيال. أنا شخصياً لا أفهم من أي معدن أنا

مصنوع، لكننا قضينا أوقاتاً طيبةً في مدرسة ڤيديغردي، وقد جَعَلتُك تمثّل دور مُنادي البلدة في مسرحية احتفال الشتاء. أتذكّر كم بدَوتَ وسيماً وأنت جاثم على صندوقك وتُلقي نصّك بصوتٍ قوي. *"في تلك الأيام صدَر مرسوم من أغسطس قيصر يأمر بإحصاء عدد سكان الأرض كلها"*.

دانيال: هل لديك سيجارة؟

هالدور: أنا لا أدخّن.

دانيال: وليست معك أي سجائر؟

هالدور: لا.

دانيال: أريد أن أدخّن سيجارةً حقاً.

هالدور: لم أدخّن في حياتي كلها.

دانيال: يالمي يُحضِر لي سجائر دائماً.

هالدور: أردتُ أن أطمئن عليك وأن أطلب منك الصفح. أعرف أنه كان عليَّ أن أفعل هذا منذ وقت طويل، لكنهم هدَّدوني ولستُ شجاعاً جداً.

صمت.

دانيال: أنا بخير، لا تقلق بشأني. أحتاج إلى بعض الوقت فقط لا غير. كل شيء يحتاج إلى بعض الوقت. يجب أن أجد الطيبة من جديد. أن أُعيد اكتشاف الإيمان. لقد طُردتُ من السماوات. هل رأيتَ كُرة النار تلك التي دخلت الغلاف الجوي؟ لقد تكلّمت عنها الصحف. حسناً، كُرة النار تلك كانت أنا. لقد خنتُ السماوات ولم يعد يحق لي أن أتواجد هناك، لذا طُردتُ فوراً وقد استحَقيتُ ذلك. وكل الذين سقطوا من السماوات مثلي أشبه بوابل شُهُب في الغلاف الجوي. نلمع بقوة، ونحرق أنفسنا في السماء، ثم نختفي.

صمت.

دانيال: لم تكن أستاذاً سيئاً.

هالدور: يسرّني قولك هذا يا دانيال، لكنني أخشى أنها ليست الحقيقة.

دانيال: كنتَ تقرأ لنا قصصاً.

هالدور: نعم، كنتُ أقرأ لكم كل القصص التي أحببتُها في طفولتي، وكنتم تصغون إلى كل كلماتي بصمت.

دانيال: لديَّ قمصان بيضاء مثلك تماماً. هل تريد رؤيتها؟ تعال.

قرقعة. صوت خطوات. صرير مصعد. صوت خطوات.

هالدور: هل هذه غرفتك؟ إنها لطيفة جداً. ويا لها من قمصان جميلة!

دانيال: إنها دروعي.

هالدور: أعرف يا دانيال، أعرف. وقد احتفظتَ بصورك كممثل في هذا الصندوق. وما هذه؟ غير معقول، صورة الصف المدرسي وأنت جالس على الأرض وترفع نظرك صوبي. أحبّ هذه الصورة، وهي تحتل أفضل مكان على الجدار في غرفة جلوسي. أندم أن بالمي لم يكن من طلابي. كان طالباً جيداً في الإبتدائية، لكنه لم يكن في أيٍ من صفوفي أبداً، بل في صف كاترين. هل تتذكّر كاترين؟ امرأة رائعة. رائعة حقاً. لا تزال تعلّم في المدرسة، لكنني توقّفتُ عن التعليم، فقد تغيَّر الطلاب وأصبحوا مريعين يا دانيال. لقد بصَقوا على وجهي. لا أعرف ماذا أصابهم. لم يعد الأولاد مثلما كانوا في زمنك. كل ذلك العنف. إنه فظيع.

دانيال: هل عبثتَ بهم؟

هالدور: ماذا؟

دانيال: هل عبثتَ بالفتيان؟

صمت.

هالدور: لم أفعل أي شيء منذ أن هربتَ من منزلي. لم أفقد السيطرة على الوحش إلا في هڤولسڤولور. ومعك. لقد أخبَرتُك عن الوحش، أليس كذلك؟ هل تتذكّر عندما سألتني عن تلك الكبسولات؟ بهذه الطريقة تحكّموا بي. كانوا يعلمون ما فعلتُه في هڤولسڤولور، وجعلوني أعطيكم تلك الكبسولات وأتأكد من تمكين تلك الممرِّضتين من سحب بعض عيّنات الدم منكم. والثمن الوحيد الذي قبضتُه هو صمتهم. لقد التزمتُ بدوري في تلك الصفقة، وهم التزموا بدورهم أيضاً.

دانيال: *"في تلك الأيام صدَر مرسوم من أغسطس قيصر يأمر بإحصاء عدد سكان الأرض كلها"*. آه نعم، مسرحية احتفال الشتاء. لم أفكّر بها من سنوات، لكن المشاركة فيها كانت رائعة. لعبتُ دور مُنادي البلدة، وكنتُ أقف على

صندوق أبيض صغير مرتدياً غلالة بيضاء وعمامة زهرية. وكنتُ أول مَن يظهر على المسرح مروراً بالرواق وغرفة الأساتذة، ثم أسير بين صفوف المتفرّجين، وأصعد على الصندوق وأنظر إلى الصالة وأقول: *"في تلك الأيام صدَر مرسوم من أغسطس قيصر يأمر بإحصاء عدد سكان الأرض كلها"*. إنه فصل لُوك الذي يتكلّم عن الرعاة بينما ماثيو يهتمّ أكثر بالملوك الثلاثة. ما الاختلاف بين الاثنين؟ تراودني هكذا أسئلة دائماً. الشك، الشك، الشك. الآثم، الآثم، الآثم، الآثم القذر! لستَ سوى آثم قذر! هذا ما أنت عليه، نعم هذا ما أنت عليه!

صمت.

هالدور: حسناً، اسمعني يا دانيال. لقد احتوت كبسولات ذلك الرجل على مواد مضرّة لصحتكم، وقد أدركتُ ذلك منذ وقت طويل، حتى قبل وفاة أغنار، لكنني لم أتجرّأ على قول أي شيء، وكان ذلك مريعاً. لم أستطع أبداً تحمّل فكرة أنني المسؤول عن وفاة ذلك الفتى. وليس هو فقط، فكل واحد منكم لم ينجح في حياته. كلكم. حاوَلتُ متابعتك وأنا متأكد أنك لم تُشفَ أبداً من تلك الأدوية، وهي السبب الوحيد لما حصل لك. لقد أصبحتَ مدمناً على مواد كثيرة، كما خسرتَ صحتك الذهنية والجسدية. هذه كانت التأثيرات الطويلة المدى. هل تفهم ما أقوله يا دانيال؟ ما كنتَ لتمرض أبداً لو لم تتناول تلك الكبسولات. وربما كان أغنار لا يزال حيّاً، وكذلك بقية رفاقك. لقد كنتم حقول تجارب، وقد استخدَمني أولئك الأشخاص.

صمت طويل.

هالدور: هل تفهم ما أقوله يا دانيال؟

دانيال: أنا أيضاً تراودني أحلام غريبة أحياناً. ليلة أمس مثلاً، حلَمتُ بأمي. هل معك سيجارة؟

هالدور: كان عليَّ أن أرفع تقريراً مرةً في الشهر أضعه في مغلف وأتركه في مكان محدَّد حيث يأتي شخص ويأخذه. كان يمكنني أن أعطيه إلى تلك الممرِّضتين، لكن كان ممنوعاً عليَّ أن أتواصل معهما بأي شكل من الأشكال، كما كان ممنوعاً عليَّ أن أعرف إلى مَن تذهب تلك التقارير. وقد حذَّرني ذلك الوغد إيريك فاكسن أنه يراقبني وأنه سيعرف إن تبَعتُه، لكنني تبَعتُه عندما تركتُ

المغلف الأخير حيث كان عليَّ أن أتناول القهوة في فندق بورغ، وأجلس إلى طاولة محدَّدة، وأشرب فنجانين أو ثلاثة فناجين بهدوء، ثم أغادر تاركاً المستند على الكرسي. كنتُ أستعجل العودة إلى المنزل عادة دون أن أنظر خلفي، لكنني تلكَّأتُ في الشارع ذلك اليوم، وبعد لحظات قليلة رأيتُ ذلك القذر يغادر الفندق متأبطاً المغلف، ثم ركب سيارة مركونة على الجهة اليمنى للشارع وانطلق دون أن يلاحظني ولم يبدُ قلِقاً. دوَّنتُ رقم السيارة، R1605، ثم اتصلتُ بدائرة تسجيل السيارات وادّعيتُ أنني وكيل تأمين. نعم، يمكنني أن أكون ذكياً جداً أيضاً. أعطوني إسم المالك وعنوانه. كان يعيش في منزل لطيف في شارع لينغاغي، ولديه زوجة جميلة وولدان جميلان، ويذهب إلى عمله مثل أي شخص آخر حوالي التاسعة صباحاً، ويعود إلى المنزل حوالي الخامسة. أتذكَّر أنني تساءلتُ كيف يمكنه أن يعيش هكذا حياة مزدوجة، فيكون أباً صالحاً ووغداً يبتَزّ الآخرين ويستغل الأولاد في آن، ثم تذكَّرتُ نفسي، وقلتُ لنفسي إنني لستُ أفضل منه. في صباح أحد الأيام، طلبتُ سيارة أجرة، وهو أمر لا أفعله أبداً، وقلتُ له أن يأخذني إلى شارع لينغاغي. انتظَرتُ خارج المنزل حتى خرج ذلك القذر واختلقتُ عذراً وأخبرتُ السائق أنه عليَّ اللحاق بهذا الرجل حتى مكان عمله، وأظن أنه اعتبرني مغفَّلاً. تبيَّن لي أن ذلك الوحش يعمل في مستودع في منطقة الحِرفيين في شارع سيدومولي هو عبارة عن مختبر أدوية صغير أصبح فيما بعد شركة كبيرة متعددة الجنسيات عبر التعاون مع الألمان، وتحمل نفس الإسم مثل ...

دانيال: إذاً أنت أيضاً اكتشفتَ السر! أنت حتى موهوب أكثر مني. لقد أمضيتُ كل وقتي هنا أُخبر الجميع أن قطاع الأدوية يجعل الناس مريضين مثلي، لكن لم يصدّقني أحدٌ لأنني مجنون. في هذه الحالة، قد تكون أنت مجنوناً أيضاً. هل تلك الشركة تجعل الناس مريضين؟ هل يصنِّعون أشخاصاً مضطربين عقلياً؟ لطالما عرَفتُ أنني ضحيتهم! لطالما عرَفتُ ذلك. إنهم يصنِّعوننا على خط إنتاج! عليَّ أن أذهب يا هالدور. لا تزرني بعد اليوم!

قرقعة. صوت خطوات. صمت.

انتهت الكاسيت الأولى، فأخرجها پالمي من مسجِّل الأشرطة ووضع الثانية.

إنه يوم آخر، وزيارة أخرى. راح يُنصت جيداً إلى كل كلمة ينطقها الرجلان بحيث أنه نسي محيطه، وخيَّم الصمت على شقته، وبالكاد أزعجته الصرخات القليلة للأولاد الذين يلعبون في الخارج، ولم يلاحظ أن باب غرفته القديمة مفتوح جزئياً.

هالدور: ... هل تمانع إن شغَّلتُ هذه؟ آسف لتسجيلي حديثنا دون عِلمك عندما زرتُك الأسبوع الفائت، فقد خشيتُ أن تُسيء فهم نواياي، كما أن هذا لا يعجبني حقاً، لكنني أعتقد أنه ليس لدينا خيار آخر. واعلَم أنني فهِمتُ جيداً لماذا أردتني أن أذهب، لكنني عدتُ أخيراً ولن أستسلم إلى أن أُخبِرك كل شيء، ولن يهدأ لي بال إلى أن تسمعني. عليَّ أن أخبرك عن أولئك الأشخاص.

دانيال: لم أكن على طبيعتي ذلك اليوم، لكنني أفضل بكثير الآن. لقد زارني پالمي قبل البارحة. المسكين يأتي لزيارتي كل أسبوع، سنة تلو الأخرى، دون أن يعرف أبداً كيف يمكنه أن يتصرَّف معي. لقد تجاوز الثلاثين من عمره ويعيش لوحده في شقتنا القديمة، ولا يبدو بصحة جيدة. هل رأيتَه مؤخراً؟ بدأ يفقد شعره، ولديه دوائر داكنة تحت عينيه ويبدو مُتعَباً طوال الوقت، وهذا ليس طبيعياً في مثل سنّه. يقول إنني حاوَلتُ قتله، لكنني لا أتذكَّر. وكلما سمح لي بالذهاب وتمضية بضعة أيام معه، أُسيء التصرّف. لقد رآني في أسوأ حالاتي، لكنني اعتنيتُ به كثيراً عندما كان صغيراً. كانت أمي تملك عربة أطفال قديمة وكنتُ آخذهُ معي إلى كل مكان. كان دائماً معنا عندما نخالف أصول الحس الأخلاقي واللياقة العامة، وحتى عندما فقدَ كِيدي عينه. كنتُ مرتعباً في ذلك اليوم، وخفتُ أن يؤذوه. كانت تلك الفتاة تحمل قطةً ميتةً في يدها وتخيَّلتُ پالمي بدلاً من ذلك الحيوان المسكين.

صمت.

هالدور: أتذكَّرك مع پالمي في عربة الأطفال. كانوا يتكلَّمون عنكما أحياناً في غرفة الأساتذة، ويقول زملاءي إن درجة اعتنائك الكبيرة بأخيك الصغير مذهلة.

دانيال: پالمي اعتنى بي جيداً أيضاً، وأنا ممنون له رغم اعتقادي أنه لا يُدرك ذلك. لطالما اعتبرني مريضاً ذهنياً أكثر منه أخاً، ويُحضِر لي السجائر ويُمضي وقتاً معي، لكنني أشعر في أغلب الأحيان كما لو أنه في مكان آخر. من الواضح أنني أنا أيضاً في مكان آخر، ولستُ سهلاً دائماً، والأمر على هذا الحال منذ

سنوات. أعرف ذلك جيداً. حتى عندما كانت أمي لا تزال حيّة، والأطباء لا يدعوهما يريانني أحياناً. أخيراً، لا أتذكّر الكثير. پالمي المسكين، يراني أذبل في هذا المستشفى، وأنا أيضاً أراه يذبل. أتذكّر أنني سألتُ أمي مرةً لماذا تصطحبه معها كلما أتت إلى هنا. كنتُ أعرف أنه لا يحبّ هذا المكان وأنه يخافني. كنتُ أشعر بذلك، وغالباً ما حاوَلتُ التكلّم معه بشأن ذلك. وأعرف أحياناً أنه ينتظر في الخارج وأنه رفَض الدخول لرؤيتي. قالت أمنا إن عليه أن يعتاد على فكرة زيارتي لأنها لن تبقى معنا إلى الأبد، وأنها ترفض أن تدع الرابط بينه وبيني ينقطع. لكن پالمي لم يحبّ القدوم إلى هنا ولا يزال لا يحبّ ذلك. يذكّرني بأبي. لا يشبهه في الشكل، لكنه بارد معي مثله. كان أبي رجلاً ودوداً لكن متحفّظاً جداً، ما عدا عندما يثمل، وكان لطيفاً مع أمنا، وقد حزنَت كثيراً عندما مات.

هالدور: لم أعرف أبي أبداً.

دانيال: پالمي يشبه أبي، ما عدا أنه لا يتناول الشراب.

هالدور: ذلك المختبر يدعى فنتياز.

صمت.

دانيال: أي مختبر؟

هالدور: الذي كنتَ ورفاقك حقول تجارب له. لقد استفسرتُ وعلمتُ أن الألمان هم الذين أعطوه هذا الإسم. الفرنسيون هم أول من استخدم مشتقات الفينوثيازين عام 1950 لعلاج الاضطرابات النفسية، ولا شك أنهم وصفوا لك بعضاً منها هنا. تلك المواد فعّالة ضد الهلوسات والهذيان، وأظن أنها صرعتك بالكامل.

دانيال: كلما أردتُ دخول حالة عميقة ولطيفة من اللامبالاة، أجمّع كميةً من الفينوثيازين وأبتلع الكثير منها. إنها سم حقيقي، لكن إذا لم تجعلك تموت من جرعة مفرِطة، فلن تجد حبة منوِّمة أفضل منها.

هالدور: يعرفون أنني أعرف كل شيء، فقد ذهَبتُ ذات يوم لرؤية ذلك القذر في عمله وهدَّدتُه بكشف كل شيء، لكنه ضحِك في وجهي وأخبرني أنني لو أملك الجرأة لفعلتُ ذلك منذ وقت طويل. كما أخبَرني أنني لن أملك الشجاعة لفعل ذلك أبداً، وأنني مجرد شخص ضعيف، وأن نجاح تلك التجارب بشكل

رائع ليس بفضلي بالتأكيد. منذ ذلك الوقت وأنا أهدِّدهم بشكل دوري، أحياناً بإرسال رسائل إليهم، لكنهم لم يعودوا يعيروني انتباهاً منذ فترة طويلة، ولا يهتمون لما حصل للطلاب في صفك. لقد شاهدتُ تلك الشركة تنمو وتزدهر، ويمكنني أن أؤكِّد لك أنها أكبر شركة أدوية في آيسلندا، وأنا متأكد أن كل تلك الثروة سببها ما أخضعوك وأصدقاءك له.

صمت طويل.

دانيال: وتعتقد أن هذا هو السبب الذي جعلني أمضي كل حياتي في هذا المستشفى وأعيش على الأدوية في حالة حُطام بشري فاقد الوعي تقريباً؟ يا لها من فكرة جميلة! تأتي إليَّ بعد كل هذه السنوات لتُخبرني أنني لم أكن لأُصاب بالفُصام على الأرجح لو لم آخذ تلك الكبسولات الحلوة الصغيرة التي أتذكَّر أنني كنتُ أحبّها مثل كل رفاقي. هل تعلم شعور أن تعيش والكَرْب يأكلك دون أن تعرف ما إذا كان ما تسمعه حقيقياً أو وهمياً؟ أن تصيبك هلوسات تجعلك تحاول أن تقتل أخاك وأمك وأن تحاول إنهاء حياتك دون أن تملك الشجاعة لفعل ذلك حقاً؟ أن تبتلع أطناناً من الحبوب التي تصرعك لدرجة أنك تشعر كما لو أنك سمكة ذهبية محكوم عليها أن تدور وتدور في إنائها الخالي من الأكسجين إلى أن تطفو على السطح ميتة؟ أفضِّل لو تُقطَع رجليَّ كل يوم بمنشار بدلاً من أن أتحمَّل كل ما تحمَّلتُه. وتقول لي إنه كان من الممكن أن أعيش حياة طبيعية. هل يمكنك أن تتخيَّل كم كنتُ أتمنى ذلك؟ هل يمكنك أن تتخيَّل ما أنا مستعد أن أعطيه لقاء يوم طبيعي واحد فقط أكون فيه بصحة جيدة؟ ذلك اليوم الذي غالباً ما أراه في أحلامي. هل تريدني أن أصفه لك؟ أولاً، لديَّ عائلة. لديَّ زوجة تنهض معي كل صباح، وثلاثة أولاد، صبيان وبنت. أنهض من السرير وأذهب لرؤيتهم فور استيقاظي، وأتكلَّم معهم وأساعدهم على ارتداء ملابسهم. لا أعرف إن كنتُ أعيش في شقة أو منزل، لكن أولادي الثلاثة ينامون في نفس الغرفة. هذا ما أردتُه دائماً. رسومهم معلَّقة على الجدران. إنه الصيف. نذهب إلى المطبخ لإعداد القهوة، ويأكل الأولاد فطورهم وهم يتكلَّمون بلا توقف عن أي شيء. ثم نذهب في نزهة طويلة، ونشتري البوظة، ونغادر المدينة نحو الريف حيث نركن السيارة ونلعب بجانب بحيرة صغيرة، ثم أستلقي مع زوجتي على العشب في شمس

الصيف الحارة ويمكننا سماع الأولاد يلعبون في الماء. يقع الصغير ويؤذي نفسه، ويأتي إلينا دامعاً فنواسيه. ثم نغادر ونمرّ في طريقنا لزيارة بالمي الذي يعيش في ضاحية جميلة. يُمضي كلانا بقية يومه مع عائلتينا ونحن نناقش حدثاً مفاجئاً ذُكر في الأخبار، ونسخر بلطف من صديق مشترك ونضحك. نتكلّم عن عطلة الصيف الماضية، ونتساءل إلى أين سنذهب في الصيف القادم. ثم نتناول طعاماً شهياً، وأولاد العم يلعبون معاً. ثم نعود إلى المنزل وقد تأخر الوقت، وينام الأولاد، وأُمضي وزوجتي وقتاً طويلاً جالسَين في الخارج، وبما أنه الصيف فليس هناك من ليل، بل فقط الضوء يصبح مختلفاً قليلاً، ألطف قليلاً.

صمت.

دانيال: يوم كهذا. يوم طبيعي.

صمت.

هالدور: لقد سرَقوا منك تلك الحياة. كما سرَقوها من أمك، ومن بالمي.

دانيال: وأنت أيضاً يا هالدور. أنت أيضاً سرَقت منا كل ذلك. كيف استطعتَ؟ أي صنف من الرجال أنت؟

هالدور: يا للهول يا دانيال. فقط لو عرَفتُ ما ستفعله بكم تلك الحبوب، لكنتُ تصرَّفتُ، لكنني لم أكن أعرف وقتها، وكان أولئك الوحوش يسيطرون عليَّ بسبب ما أنا عليه. لقد وجَدتُ الحل لي يا دانيال، وأريد أن أكلّمك عنه.

صمت.

تابَع بالمي يستمع، لكن الشريط كان فارغاً. يبدو أن الرجلين أوقفا تشغيل مسجِّل الأشرطة. وضع يديه على وجهه، وبقي على هذا الحال لفترة طويلة، وراح يكرِّر كلمات دانيال في ذهنه إلى أن حفظها عن ظهر قلب. لقد فهِم أخيراً ما مرّ به أخوه وكرِه نفسه لأنه لم يُدرك معاناته إلا عندما عبَّر له عنها على شريط مغنطيسي سيئ، وقد فعل ذلك أفضل مما حاوَل في كل زياراته إليه. لطالما أراد دانيال في أعماقه نفس الشيء الذي أراده هو.

أخذ الكاسيت الثالثة، ووضعها في الجهاز، وضغط زر التشغيل ليستمع إلى المحادثة الأخيرة.

دانيال: كانت أمي قارئة نهِمة تقرأ كل شيء، كما تحبّ أن تقرأ بصوتٍ عالٍ، وغالباً ما رَوت لنا قصصاً، وقد أُصيب پالمي بتلك العدوى، فيُمضي وقته في القراءة. أخبرتُ أمي ذات يوم أنها إذا وجَدت مالاً في المنزل، فهو لنا، لذا رفعت نظرها عن كتابها متفاجئةً وتساءلت من أين أتيتُ بهكذا فكرة، فشرَحتُ لها أن كِيدي الغراب عثر على ورقة ألف كرونة في مطبخه ذلك اليوم واشترى بها حلوى للجميع، لكن عندما ذهبنا إلى منزله في المساء لكي يأتي ويلعب معنا، سمِعنا أباه يضربه وكان صوت الضربات يصل إلى الرصيف أمام منزله، كما سمِعنا أمه تقول إنه لا يجب ضرب الأولاد أبداً، مهما فعلوا. أجابتني أن كِيدي الغراب لم يعرف أنه لا يحق له أخذ ذلك المال، وأنه ليس فتى شقياً، لكن والديه أساءا فهم لطفه.

صمت.

دانيال: ثم قرأت لي مقطعاً من كتابها موبي دِكْ والقبطان أحاب الذي يكره ذلك الحوت الأبيض. كان هناك أيضاً صيّادو حيتان من كل أنحاء العالم على متن السفينة وحتى رجل آيسلندي. هل كنتَ تعرف ذلك؟

هالدور: لا.

دانيال: سألتُ أمي ماذا يفعل ذلك الآيسلندي في هذا الكتاب وقالت: الآيسلنديون صيادو حيتان. ثم ذهَبتُ لأُحضر علبتَي الأحذية اللتين أضع فيهما صور الممثلين لأنظر إليها بينما تابَعت القراءة. كانت تلك الصور الملتقطة في ستديوهات هوليود تُبهرني، وقد استعرضتُ كل رزمة منها. كنتُ أحبّ السينما كثيراً، وبما أننا لم نكن نملك المال، كنتُ أحاول دائماً التسلّل إلى السينما مع أصدقائي دون دفع ثمن التذاكر. لم يكن الأمر سهلاً، لكننا ننجح أحياناً. كنتُ أعرف بعض الممثلين، لكنني أجهل بعضهم الآخر كلياً. أتذكّر جيداً الممثل الذي أمضيتُ وقتاً طويلاً أتأمل صورته تلك الليلة لأنه بدا لي مذهلاً. نظرية الاحتمالات المشهورة التي أخبرتنا عنها في الصف. بدا وجهه ذا ملامح وزوايا حادة، وكان إسمه مدوَّناً في الأسفل: غريغوري پَكّ. ذكَّرني بأبي. وعرَفتُ بعد ذلك بوقت طويل أنه مثَّل دور القبطان أحاب.

صمت.

دانيال: كانت الليلة التي تلقينا فيها تلك المكالمة الهاتفية. كان پالمي صغيراً

جداً ونائماً في غرفة والدَينا، وأمي تقرأ كتاباً كبيراً في غرفة الجلوس، وأبي في البحر، وأنا في غرفتي مستلقٍ على سريري غير قادر أن أنام، وهذا كان يحصل لي غالباً ولم أكن أنام كثيراً، فأنضم إلى أمي عادة، وأجلس بجانبها واستمع إليها تقرأ بصوتٍ عالٍ. من النادر أن نسمع الهاتف يرنّ في المنزل، لذا جفل كلانا عندما حصل ذلك، فنظَرَنا إلى بعضنا البعض، ونهضت أمي ببطء شديد لتردّ على الاتصال. كان مدير شركة صيد السمك، وقد أخبرنا أن أبي سقط في الماء عندما ضربت موجةٌ قويةٌ الزورق، وقدَّم تعازيه لأمي ووعدها أنه سيعاود الاتصال بها حالما يعرف المزيد.

بقيت أمي جامدةً قرب الهاتف لبعض الوقت، ثم استدارت وطلبت مني أن أخلد إلى النوم، فلم تملك الشجاعة لتُخبرني بالنبأ فوراً، وفضّلت أن تنتظر إلى اليوم التالي. فهِمتُ أن شيئاً ما يجري، لكنني أطعتُها، وبقيتُ أتقلَّب على سريري لفترة طويلة وأنا أنظر إلى الليل خارج النافذة. ثم نهضتُ وانضممتُ إليها وهي تجلس إلى طاولة الطعام، وتضع يديها على وجهها، وتبكي بهدوء. اقتربتُ منها، ووَقَفتُ بجانبها لبرهةٍ، وشَعَرتُ بوحدتها العميقة.

صمت.

هالدور: أعطيتُكم ذلك الدواء التجريبي في السنة الإبتدائية الأخيرة، وكانت تأتي ممرِّضتان لتأخذا عيّنات من دمكم في المشفى الصغير المجاور لغرفة صفنا في نهاية رواق الطابق السفلي. لم أرهما أبداً، فقد كنتُ أُبلَّغ بموعد قدومهما وكان عليَّ أن أرسلكم إليهما الواحد تلو الآخر، حيث تتسلَّلان إلى المدرسة مرةً كل شهرين بينما يتواجد كل الطلاب في صفوفهم، ولا يراهما أحد بما أنه لا يوجد أي شخص أبداً في المشفى. وعندما تترك تلك الحُقن آثاراً على أذرعتكم فتخلِّف مثلاً رضوضاً عند ثنايا المرافق، نادراً ما يكترث لها أهاليكم، بل يفرحون فحسب أنكم تحصلون على رعاية طبية مجانية. تُنهي تانك الممرِّضتان عملهما في غضون عشر دقائق وتغادران فوراً دون أن يلاحظ وجودهما أي شخص، فلم نكن نمزح بشأن الانضباط، ومن المحظَّر التسكّع في الأروقة بعد أن يرنَّ الجرس. وحتى لو رآهما أحدٌ، لم يكن لديهما ما تخشياه، فالاحتمال ضئيل جداً أن يصادف أحدهم نفس الممرِّضة مرتين لأنهن كنَّ يأتين بالتناوب. كنتم لا تحبّون الذهاب

إليهن، لكنهن تعطيانكم أطايب، أظنك تتذكَّر ذلك. لم تكن تعطيانكم الكثير لكي لا يثير ذلك غيرة زملائكم في الصف، لكنهما تعطيانكم ما يكفي لإرضائكم، وهو شوكولا في معظم الأحيان تلتهمونه قبل مغادرة المشفى. الأولاد ينسون بسرعة في ذلك العمر، فتعودون إلى الصف وكأن شيئاً لم يحدث، عِلماً أن لا شيء حصل قد يبدو غير طبيعي. ولم يشتبه أهاليكم بأي شيء، فبالنسبة لهم الممرِّضات والمحاقن والاختبارات واللقاحات كلها أمور متماثلة. كان لديَّ مرطبانان بكبسولات زيت كبد القد في جارور مُقفل في مكتبي أوزِّعها عليكم بنفسي خلال استراحة الغداء، ثم أعود وأجلس واقرأ لكم قصصاً. تحصل الفتيات على كبسولات من المرطبان الأول، والفتيان من المرطبان الثاني، وكان عليَّ أن أتأكد أنكم تبلعونها جيداً، لكن ذلك لم يكن صعباً لأنكم أحببتموها أكثر بكثير من تلك التي تحتوي على زيت كبد القد. وفي نهاية فصل الشتاء، طالبتموني بها وأردتم أن أعطيكم منها، وكنتُ أجد صعوبة في السيطرة على كل شيء. أحياناً، عندما أخرج من الصف لبضع دقائق، أُدرِك أنكم أخذتم من المرطبان رغم أن الجارور مُقفل، لذا بدأتُ آخذ المرطبان معي كلما احتجتُ إلى الخروج. كان يُفترَض بي تدوين التغييرات في سلوككم وأرسل تقريراً كل شهر، وقد فعلتُ ذلك بكل أمانة. كن أكيداً يا دانيال أنه لم يعجبني ما كنتُ أفعله، لكن لم يكن لديَّ خيار آخر سوى إطاعتهم. كما أنني كنتُ مقتنعاً أنها تجربة مهمة جداً وآمنة، واعتقَدتُ أنكم لا تخاطرون بأي شيء. لم أحاول أبداً معرفة ماذا يوجد في تلك الكبسولات، وفي الواقع، لم أرغب أن أعرف. لم أرغب أن أعرف أي شيء يتعلق بتلك المسألة كلها، ورحتُ أتصرَّف دائماً كما لو أن كل شيء على ما يرام، وأقنَعتُ نفسي أنني أعطيكم مجرد كبسولات تحتوي على زيت كبد القد. لقد عشتُ طوال حياتي في حالة إنكار، وما الضرر في أن أفعل ذلك مرة أخرى؟

صمت.

هالدور: بعد شهرين على بدء التجربة، لاحَظتُ تغيّراً كبيراً في علاماتكم وسلوككم، فأشرتُ إلى ذلك في تقريري، ذاكراً أنكم تتعلَّمون بسهولة أكبر، وتُظهرون اهتماماً ويقظةً أكبر، وتُنجزون تمارينكم بأقصى سرعة وبشكل صحيح مئة بالمئة. لقد فاقت النتائج أقصى توقّعاتي، وأصبحتم تستظهرون كل شيء

بسهولة تامة تقريباً. وفجأة حتى الكسالى أمثال أغنار وأوسكار بدأوا يحفظون قصائد خلال الحصة عن ظهر قلب مثل قصيدة *تيرانّ قرب نهرٍ*، حيث يكفيهم أن يقرأوها لمرة واحدة رغم أنهم لم يروها أبداً من قبل. لقد تحسّنت قدراتكم التعليمية بعشرة أضعاف في وقت قصير جداً، وأصبحتم طلاباً نهمين يتمتّعون بذاكرة خارقة. من جهة أخرى، ساء سلوككم كثيراً، وبقيتُ أرسلكم إلى المدير رغم أنني حاوَلت الحدّ من ذهابكم إلى هناك. عانى صفّكم قليلاً، لكنني تمكّنتُ من ترويضكم خلال فصل الشتاء، بمجرد أن أعدكم بكبسولة إضافية. لم يكن ذلك ضمن البروتوكول، لكنني لم أعرف ماذا أفعل غير ذلك، لذا رحتُ أستخدم تلك الكبسولات لأضبطكم، وكان ذلك سهلاً جداً. لم يفهم أحد غيري الأعجوبة التي كانت تحصل في الشعبة ل. وكنتُ قد تلقّيتُ صندوق كبسولات في المنزل، وأصبح لديَّ ما يكفي منها حتى نهاية السنة والتجربة، وحتى أطول من ذلك أيضاً.

دانيال: لم نكن بصحة جيدة تلك السنة، فقد تعرَّض سْكاري لنوبةٍ وسخر منه الجميع، وآغي تقيأ على طاولته ودفاتره مطرطشاً غيسلي الجالس أمامه، مما جعل هذا الأخير يحنق منه.

هالدور: أتذكَّر أن يد آغي كانت باردة كالجليد، وشعرتُ بخوف شديد.

دانيال: اقتحمنا منزلك على أمل إيجاد بعض الكبسولات. أقصد آغي وأنا، بينما انتظَرنا الآخرون في الخارج. وأتذكَّر تماماً ما قلتَه لي.

هالدور: لم أنسَ ذلك أيضاً.

دانيال: بعد نهاية السنة الدراسية، لم نعرف كيف يمكننا الحصول على تلك الكبسولات، لذا وجَدنا عنوانك في دليل الهاتف وذهَبنا إلى منزلك لنرى إن كان لديك منها. كنا كلنا في حالة سيئة منذ نهاية المدرسة، ونشعر كما لو أننا مصابون بإنفلونزا لن تزول أبداً. أصبح التبويل مؤلماً، وبتنا نعاني من صُداعات وارتعاشات وغثيان وأرق، فحاوَلنا أن نحتسي المزيد من الشراب، وبدأنا نستعين بخزائن أدوية أهلنا، لكن كل ما كنا نريده هو تلك الكبسولات اللعينة. لم نجدك في المنزل، ولم يكن لدينا الصبر لننتظر عودتك، فاقترح آغي أن ندخل ونأخذ الكبسولات. كنا خمسة أتينا بالحافلة، فقد ذهب ثلاثة طلاب لتمضية الصيف

في مزارع في الريف. وجَدنا الباب مُقفلاً، فدرنا حول المنزل، ووجَدنا نافذة صغيرة مفتوحة. تسلَّق آغي على كتفَيَّ ودخلتُ معه لأننا الأصغر حجماً، وبقي الآخرون في الخارج للمراقبة. يا للفوضى العارمة التي وجدناها في الداخل. رأينا صور الصفوف مصفوفةً على الجدران في عدة سلاسل زمنية، وقلتُ لآغي إن علينا محاولة عدم إفساد أي شيء. الرائحة في الداخل كانت كريهة جداً. ما كانت تلك النتانة؟ اضطررنا أن نغطي أنفينا، وبدت الرائحة كما لو أن مجموعة كاملة من القطط قد بوَّلت في المنزل.

هالدور: عليَّ أن أُقرّ أنني لستُ من أنصار النظافة.

دانيال: لم نرغب أن نترك أي أثر، لذا رحنا في البدء نبحث بعينينا، ونستكشف الغُرف دون لمس أي شيء، لكننا لم نستطع أن نرى أي مرطبان كبسولات، لذا نقَلنا بضعة صناديق ونظرنا في الجوارير دون إيجاد أي شيء، وخشينا أن تغضب إذا عرَفت أننا اقتحَمنا منزلك. دخَلنا غرفتك وولَّدت لديَّ انطباعاً مضحكاً، فلم أستطع تصديق عينيَّ. نحن لا نعرفك. كنتَ أستاذنا طوال تلك السنوات ولا نعرف شيئاً عن حياتك، ولم تُخبرنا عن نفسك أبداً. كنا هناك في منزلك مثل لصَّين، واكتشَفنا أشياء لا تشبهك. رائحة مثيرة للإشمئزاز، قذارة في كل مكان، مجلات إباحية، عشرات قوارير البرينيفين، فضلات طعام في المطبخ. شَعَرتُ كما لو أنني في عرين تنين، وأردتُ الهرب، فلم أرغب أن أعرف المزيد عنك. أردتُ الرحيل. عثر آغي على سعادتنا أخيراً بزحفه تحت سريرك، وخرج ومعه مرطبانين مليئين بكبسولات صفراء صغيرة.

هالدور: وَصَلتُ إلى المنزل في تلك اللحظة، ووقعتَ في الفخ.

دانيال: صرخَ لنا سْكاري سكر نبات وصولك عبر فتحة البريد في الباب، فهرعنا إلى نافذة المطبخ. قفز منها آغي أولاً، لكنه استغرق وقتاً بدا لا ينتهي لأن حزامه علق في الخطّاف. وعندما صعدتُ على الطاولة لأخرج من الفتحة الضيقة، سمِعتُ صوت دوران المفتاح في القفل فجمدتُ في أرضي ورحتُ أتساءل إن كان عليَّ أن أحاول الهروب من النافذة أو الاختباء في مكان ما.

هالدور: كان يوم جمعة، وكنتُ عائداً إلى المنزل ومعي مخزون شرابي.

دانيال: نزلتُ تحت السرير على أمل أن يجد أصدقائي طريقةً لمساعدتي، لكن

الاحتمالات تضاءلت مع مرور الوقت، ووجدتُ أن الحل الوحيد هو أن أتسلَّل إلى الخارج دون أن تراني، لذا رحتُ أُصغي جيداً، وسمِعتُ أنك مشغول في المطبخ، تُعدّ بعض دقيق الشوفان على الأرجح بناءً على الرائحة، وكنتَ تدندن. لا يمكنني القول حقاً إنني كنتُ خائفاً، بل كنتُ قلِقاً جداً من إزعاج رجلٍ أراد قبل كل شيء آخر أن يكون لوحده، وألا يدع أي شخص يقترب منه. وأكثر شيء كنتُ أخشاه هو ردّة فعلك عندما تُدرك أن عالمك الخاص قد دُنِّسَ، فنحن نحترم وحدتك.

صمت.

دانيال: هدأت الضجة في المطبخ، وقدَّرتُ أنك دخلتَ إلى مكتبك على الأرجح لأنني سمِعتُ موسيقى، تلك الموسيقى الكلاسيكية التي لا تُطاق والتي تُبَثّ على الراديو طوال اليوم، لذا خاطَرتُ بالخروج من تحت السرير ورحتُ أحدِّق صوب المطبخ وأنا لا أزال منبطحاً على الأرض في حال احتجتُ إلى العودة إلى مخبئي. ثم نهضتُ، ووجدتُ خزانة الملابس مفتوحة جزئياً، وأمكنني رؤية الزي الذي ترتديه إلى المدرسة. كانت كل الرفوف الأربعة مليئة بقمصان ناصعة البياض مكوية بشكل أنيق ومُنشّاة، فنسيتُ كل شيء آخر كلياً، واقتربت ومرَّرتُ يدي على القماش وكان ناعماً كالحرير، وهو الشيء الوحيد النظيف لديك. وعندها ظهرتَ عند الباب وسألتني، هل تعرف لماذا لديَّ هذا العدد الكبير من القمصان البيضاء يا دانيال؟ لم أشعر بذلك القدر من الخوف في حياتي كلها، وظننتُ أنني سأموت.

هالدور: سامحني.

دانيال: كنتَ ترتدي رداء حمّام أحمر، وتحمل كوباً وقارورة برينيفين في يدك. ألا تعتقد أنها جميلة؟ تابَعت تقول وأنت لا تزال واقفاً عند باب الغرفة. لقد وقعتُ في فخ، ولم تبدُ متفاجئاً من رؤيتي. أخبَرتني أنك لا ترتدي تلك القمصان لأكثر من يوم واحد أبداً. أغسلها بنفسي، وأكويها، وأطويها، وأضعها في هذه الخزانة. هذا يهدئني، ولا أعرف السبب. لم أعرف ماذا أفعل وأنا واقف هناك أمام الخزانة وقلبي يخفق بسرعة. أخبَرتني أن ذلك مرتبط على الأرجح بطفولتك. لم أحظَ أبداً بطفولة مثلك ومثل أصدقائك، ولا يمكنك أن تتخيّل كم أحسدك،

فذلك الجزء من حياتي سُرق مني، قلتَ.

هالدور: لقد أمضيتُ كل حياتي أتساءل عن السبب، وقد توصَّلتُ إلى استنتاج بسيط بشكل خلاّب ويمكن القول إنه منطقي جداً. كانت حياتي مجرد رمية نرد عشوائية، مجرد حظ سيئ. أظن أن هذا هو الجواب. لم أفعل أي شيء. لم أفعل أي شيء أبداً، ولا يمكنني فعل أي شيء بشأنه. لقد حصل ذلك لمجرد أنه حُبل بي في وقت محدَّد وفي رحم محدَّد.

دانيال: وبالتالي نظرية احتمالاتك.

هالدور: ما الذي يجعل أحد الرجال غنياً ورجلاً آخر فقيراً؟ لماذا يمرض أحد الأولاد ولا يمرض ولد لآخر؟ لماذا تصدمك سيارةٌ وليس الرجل الواقف بجانبك؟ لماذا أنت مَن يسقط في البحر وليس جارك؟ إنه الحظ السيئ اللعين. بقيتُ أفكِّر بالمسألة كل يوم، ووجدتُ أن الحظ هو الشيء الوحيد الذي يقرِّر سعادة الإنسان أو تعاسته، صدِّقني. لا شيء سوى ذلك الحظ اللعين. من أين نأتي إلى العالم ومتى؟ ما نفعله لا يؤثِّر كثيراً، حقاً لا يؤثِّر كثيراً. هل كنتُ محظوظاً؟ لا يا دانيال، لا، لا يمكنني القول إنني كنتُ محظوظاً، لأن قول ذلك سيكون كذباً.

دانيال: أخبَرتني أنك تراقبنا عندما نلعب كُرة القدم أنا وأصدقائي، وعندما نطارد الفتيات ونحن نضحك. وأخبَرتني أنك عندما تفكِّر بشبابك، لا يمكنك أن تتذكَّر سماع ولو ضحكة واحدة. وقلتَ إنه لم تمرّ عليك ولو لحظة واحدة لعينة كان لديك فيها سببٌ لكي تبتسم.

هالدور: ولم تمرّ عليَّ أي لحظة منذ ذلك الوقت. لم تمرّ أبداً يا دانيال. أبداً. يا لها من حياة غريبة، أليس كذلك؟

دانيال: شرَحتُ لك أنني لم أرغب بالدخول، بل أردتُ فقط رؤية إن كنتَ في المنزل أم لا، ووجَدتُ نفسي عالقاً في الداخل، وسألتُك إن كان يمكنني العودة إلى منزلي. كنتُ خائفاً جداً. ألا تريد أن تدردش مع هالدور العجوز؟ أجبتني وأنت تحتضنني، ثم أمسكتَ يدي وأخذتني إلى غرفة الجلوس عبر المطبخ وأقعدتني على الأريكة. أثناء مرورنا قرب باب المنزل، شَعَرتُ بيدك تضغط على يدي بقوة أكبر قليلاً. نحن صديقان يا دانيال، أليس كذلك؟ سألتني وأنتَ تُريني صور الصفوف التي لديك، وقلتَ لي إنك تحبّ صحبتها وتحبّ رؤية كل تلك الوجوه الصغيرة،

فهي تعيد لك الثقة بالحياة تقريباً. والصورة المفضَّلة لديك هي تلك التي أجلس فيها على الأرض وأنظر إليك. يمكن القول تقريباً إنني والدك، أضفتَ معلَّقاً.

هالدور: آسف، لم أقصد إهانتك.

دانيال: تناولتَ كوب شراب آخر، وأخبَرتني أنك لم تحبّ أبي أبداً فهو مجرد رجل سيئ، لكنك من جهة أخرى تعتبر أمي امرأةً استثنائيةً، امرأةً شجاعةً لم تدع الحياة تهزمها.

هالدور: أنت محظوظ بأن لديك أُماً مثلها، أُماً تعتني بك وبأخيك جيداً. من الجيد أن يكون لديك أخٌ، أن تكون لديك عائلةٌ تلجأ إليها وتنتظرك في المنزل. لطالما كنتُ وحيداً، ولستُ متأكداً أنه خيارٌ. لا أعرف. أفضِّل أن أصدِّق بالحظ.

صمت.

دانيال: لم تبدُ متفاجئاً لرؤيتي في منزلك، وأخبَرتني أنك متأكد أننا جئنا لنبحث عن كبسولات زيت كبد القد.

هالدور: الكبسولات اللعينة!

دانيال: أردتني أن أبقى معك لندردش، وقلتَ إنك لا تستقبل أناساً كُثُراً، وإنك تفضِّل أن تختبئ في وكرك لكي تحتسي الشراب وتفكِّر بالحظ. أخبَرتني أنه من المريع أن يكون المرء وحيداً، وأنه عليَّ أن أجد امرأةً جميلةً لأُنجب منها أولاداً جميلين وأبني لهم منزلاً لطيفاً يكون كل شيء فيه نظيفاً ورائحة الهواء فيه عذبةً، ثم تكلَّمنا عن أبيك وأمك.

هالدور: أبي وأمي! لم أحظَ أبداً بأبٍ أو أُمٍ يا دانيال. أبي... حتى لا أعرف مَن هو حقاً. ربما هو الرجل الذي ذهَبتُ لزيارته ذات يوم. سقاقار العجوز. أردتُ أن أعرف رأيه بي، وأن أرى إن كنتُ أشبهه أم لا. ربما اعتبرَ أن لديه ما يكفي من أولاد، لذا طردني. ولم أكن أشبهه أبداً. أظن أنك تفهم هذه الحاجة يا دانيال، الحاجة لأن يكون لديك أب. إنها حاجة قوية، أقوى من أي شي آخر. نحتاج إلى أن نكون قادرين على اللجوء إلى ذراعَي أبٍ.

دانيال: لكن... أمك؟

هالدور: لن يعجبك ما سأُخبرك عنها، ومن الأفضل ألا تعرف أي شيء

عنها. لم تعتني بي كثيراً، رغم أنها كانت طيبة معي ذات مرة. إنها ذكرى أتذكَّرها عندما يغمرني الرعب إلى حد لا يُطاق. لا شكّ أنني كنتُ في السابعة من عمري، وكنا لدى فلاح محترم. كدَّسنا القش في كوماتٍ، ثم أُرسلتُ لجلب القهوة والخبز من المنزل. كان يوماً مشمساً، والنسيم الدافئ داعب وجهي على الطريق إلى المنزل، وشَعَرتُ بالسعادة. عند عودتي، جلسَت أمي معي لوحدنا قرب حجر الرحى وأكَلنا وجبتنا الخفيفة. عانَقتني فجأة عناقاً كبيراً، للحظةٍ فقط. هذا كل شيء. مجرد لحظة دفء بشري أحتفظ بها في داخلي منذ ذلك اليوم، لكنني لم أعد أعرف هذه الأيام إن حصَلت حقاً أو أنها مجرد شيء اختلَقه خيالي، لكنني أرغب بتصديق أنها حصلت فعلاً.

دانيال: ثم أخبَرتني أنه عليَّ أن أرحل، وإلا فستقلق أمي عليَّ. سامحني لدخولي منزلك، أجبتُك، لن أفعل هذا مرة أخرى أبداً. هل تعتقد أنني كنتُ أستاذاً سيئاً؟ سألتني. هل أذيتُك أو ضربتُك أو وبَّختُك؟ أخبَرتني أنك قرأتَ لنا قصصك وحكاياتك المفضَّلة، وأنك كنتَ تضعنا على رُكبتَيك أحياناً، لكن أحدهم اشتكى إلى مدير المدرسة فاستدعاك إلى مكتبه وأخبرك أن الفتيات يشعرن بالغيرة من الفتيان، لذا توقفتَ عن فعل ذلك، وقلتَ إن عليك أن تكون حذراً.

هالدور: ثم بالغتُ جداً.

دانيال: تغيَّرت نبرة صوتك فجأة وأصبحت مُقلقةً. ذكرتَ قمصانك البيضاء النظيفة، وقلتَ إنك ترتدي أحدها قبل أن تأوي إلى السرير في كل هذه الفوضى وتنام ملء جفنيك، وأضفتَ قائلاً، هذه دروعي. ثم أمسَكتني بذراعي، وشمَمتُ رائحة الشراب في أنفاسك، وأخبَرتني أنه لم يكتفِ أولئك الرجال بقتل كل ما كنتَ عليه أو ما كان يمكن أن تصبح عليه، بل وضعوا وحشاً داخلك أيضاً. وحشٌ تقاتله كل يوم دون أن تتمكَّن من السيطرة عليه دائماً، بل هو الذي يسيطر عليك أحياناً.

هالدور: عندما أكون في الصف أحياناً، يقفز إلى ذهني وأدعه يفوز، أدعه ينعتق من جحره ويسيطر على أفكاري. كنتَ تجلس على رُكبتَيه أحياناً يا دانيال، ويقول لك: استمع إلى الصمت.

دانيال: ثم حاوَلت أن تُخلعني ملابسي.

هالدور: سامحني.

دانيال: لكنني نجحت في الهروب.

صمت.

هالدور: أريدك أن تعمل لي معروفاً يا دانيال. إنه معروف فظيع، وأنت الوحيد الذي يمكنه أن يعمله لي من بين كل الناس الذين أعرفهم. إنني أعاني منذ سنوات، وعندما أغفو أحياناً، أتمنى ألا أستيقظ أبداً. إنني مجرد حثالة، ولم أحظَ أبداً بمكاني في هذا العالم. لقد حُبل بي في إسطبل، لكن هذا يختلف عن الولادة هناك، وقد بقي الوضع على هذا الحال طوال حياتي. لقد رميتُ الرقم الخطأ، والنرد مغشوش من البداية. لم أحظَ أبداً بأي شخص ألجأ إليه، بأي صديق غير طلاب المدارس. حتى هؤلاء هَجَروني. ولم أتمكن أبداً من التفكير بتأسيس عائلة في هذا العالم، خلافاً لك يا دانيال. ربما هذا ساعدني، لا أعرف. لقد فكَّرتُ طويلاً، وسامحني على طلبي منك شيئاً مماثلاً، لكنني أعتقد أننا صديقان كفاية لكي تسمعني وتأخذ طلبي على محمل الجد. أريدك أن تقتلني.

صمت طويل.

هالدور: لا يجب أن يكون الأمر صعباً. على كل حال، أنا ميت منذ عقود، ومن المبالغة القول إنني عشتُ ما يليق أن نسمّيها حياةً، بل كنتُ مكتفياً بالتشبّث بها، بدافع العادة أكثر منه بدافع الرغبة. لقد حُبل بي في الخِزي، وكل كياني مجرد كتلة من الخِزي، وأعيش حياةً مِلأها الخِزي ولا يمكنني تغيير شيء فيها. أشعر بتعب شديد، وأودّ الآن أن أموت. أنا غير قادر على قتل نفسي، رغم أنني حاوَلتُ، لهذا السبب أطلب منك أن تساعدني.

صمت طويل.

هالدور: دانيال؟

صمت.

دانيال: أعرف شخصاً قد يستطيع تنفيذ هذا النوع من الأعمال، أما أنا فلا أقدر على فعل ذلك، هل تفهمني؟ لكنني أعرف شخصاً.

هالدور: أخبِره أن لديَّ صفيحة بنزين في المنزل، وأن يربطني بكرسي مكتبي،

وأن يرشّني حتى تتبلّل ملابسي بالكامل، وأن يرشّ كل الجدران في المنزل أيضاً. أخبِره أن يُفرغ الصفيحة بالكامل وأن يرمي عود ثقاب مشتعل على صدري. أريد أن يحترق كل شيء معي وألا يبقى أي أثر من أغراضي، لأنني لا أريد أن يأتي أي شخص ويبحث فيها بعد أن أموت، فأنا، مثلما تعرف يا دانيال، لطالما كنتُ كتوماً جداً بشأن حياتي الخاصة. أنا لا أخشى النيران، فاللهب سيطهّرني وسيجعلني رجلاً جديداً.

صمت.

دانيال: سأحاول إقناعه.

هالدور: أحضَرتُ لك قمصاناً هديةً.

دانيال: شكراً، لكنني لا أعتقد أنها ستنفعني كثيراً، فأنا في طريقي أيضاً.

صمت.

دانيال: *في طريقي إلى النجوم*.

انتهت الكاسيت، وبقي پالمي يحدِّق بمسجِّل الأشرطة وهو جالس في الظلمة ويفكِّر في سرّه، *في طريقي إلى النجوم*. من المستحيل أن يكون دانيال قد قَتَل هالدور بما أنه تُوفِّي وقت وقوع جريمة القتل. هل نجَح في إقناع شخصٍ ما بتلبية طلب أستاذه السابق؟ ممَن استطاع أن يطلب القيام بمثل هذا الشيء؟ من سيغمار؟ بقي پالمي يفكِّر ملياً لفترة طويلة، فبناءً على نهاية المحادثة، من الواضح أن أخاه قرَّر إنهاء حياته من قبل.

بدأ الجو يزداد ظلمةً، فأشعل پالمي مصباح المكتب الصغير، وعيناه مثبّتتان على مسجِّل الأشرطة والكاسيتات، ثم شَعَر فجأة بوجود شخص آخر غيره. بدا الإحساس قوياً لدرجة أنه قفَز عن كرسيه موقعاً إياه إلى الخلف، ونظر إلى الرواق فوجد أن باب غرفة نومه القديمة مفتوحٌ على مصراعيه. لم يدخلها منذ سنوات، وكاد ينسى وجودها في شقته. أصابته قشعريرةٌ، فتراجع نحو نهاية غرفة الجلوس، وظنَّ أنه رأى ظلاً يمرّ في الغرفة المُدانة منذ سنوات. مشلولاً من الخوف وغير قادر على طلب المساعدة، كان على وشك أن يقفز نحو السُلَّم عندما خرَج رجل ممتلئ الجسم من الغرفة، وكاد پالمي يُطلق صرخة خوف عندما شَعَر فجأة أنه

تعرَّف على شكل مألوف. بعد لحظة فقط، خرَج الدخيل من الظُلمة. إنه يوهان.

– يوهان، تنهَّد مصعوقاً. يوهان! يوهان! يا للهول، ماذا تفعل هناك؟! ومتى وصلتَ؟ لا أفهم. هل استمعتَ إلى الكاسيتات؟

– كل شيء على ما يرام يا پالمي، لا تخف. أردتُ رؤية الغرفة التي حاوَل فيها داني أن يحرقك حيّاً. وَصَلتُ حوالي الظهر ولم أجدك هنا، وتمكّنتُ من إدخال نفسي، ثم استلقيتُ على السرير. يجب أن ترمِّم هذه الغرفة. نعم، استمَعتُ إلى تلك الكاسيتات، لكنني أعرف هذه القصة من قبل، فقد أخبَرني داني كل شيء.

– لكن لماذا تقتحم منزلي؟ آه جيد أنه أخبرك كل شيء، لكن لماذا لم تخبرني سابقاً؟

– أريد أن أُخبرك شيئاً. أنت يا پالمي لا تنظر أبداً إلى وجوه الأشخاص، فإما تُخفِض عينيك أو تشيح بنظرك، لكنك لا تنظر أبداً إلى الشخص الذي تكلِّمه. لستَ الوحيد الذي يفعل ذلك، وأظن أنه بدافع الخجل أو عدم الثقة بالنفس، ولا عجب في ذلك.

جلَس يوهان إلى الطاولة.

– وحتى لو لاحَظتَ هذا التفصيل، من غير المؤكَّد أن تذكره. أنت شابّ مهذّب يا پالمي، وربما مهذّب جداً.

بقي پالمي ينظر إلى يوهان ويستمع إليه، فهو لم يوجِّه له هكذا كلمات غريبة أبداً.

– عما تتكلّم يا يوهان؟

– عن العيون.

أغمض عينه اليمنى وضغطَ على جفنها. ارتاب پالمي قليلاً، ثم خرجت عين يوهان من مَحجِرها ببطء، وأمسكها بيده ورفعها لكي يُريه إياها ورماها له عبر غرفة الجلوس. التقَطها پالمي بيديه وبقي يتفحّصها لفترة طويلة.

ثم اقترب منه، ووجد نفسه للمرة الأولى يحدِّق بيوهان ومَحجِر عينه الفارغ.

– كِيدي! إسمك ليس يوهان، بل كريستيان. أنت كِيدي الغراب.

32

وجَد أينار إحدى الممرِّضتين وتدعى غودرون، فقد جمَّع مع فريق من عشرة ضباط شرطة لائحةً بالنساء اللواتي يعملن في مهنة التمريض واللواتي وُلدنَ بين عامي 1930 و1935 لأن سيغمار قال إن سنّ الممرِّضتين اللتين كانتا تأتيان إلى المدرسة هو حوالي الخامسة والثلاثين في ذلك الوقت. احتوت اللائحة على خمسين إسماً، وكُلِّفَ كل شرطي بالاتصال بخمسة منهن، وكانت غودرون على لائحة أينار.

تعيش غودرون في مبنى في الحي الغربي ولا تزال تزاول المهنة، وكانت قد عادت للتو من عملها عندما رنَّ الشرطي عبر نظام الاتصال الداخلي.

– نعم، ردَّ صوت معدني.

– هل أنتِ غودرون كليمنزدوتير؟

– نعم هي. مع مَن لي الشرف التحدّث؟

– أينار، شرطي في الجنائية. هل يمكنني أن أزعجك للحظة لأُخبرك عن قضية نحقِّق فيها؟

ساد صمتٌ على نظام الاتصال الداخلي.

– غودرون؟ هل لا زلتِ معي؟

– آسفة، تفضَّل بالصعود، رَدَّت. إنني أتوقع زيارتكم منذ بعض الوقت.

فتَحت له باب المبنى، ودخل إلى سُلَّم نظيف تماماً. وعندما وصل إلى الطابق العلوي حيث تسكن، لاحَظ أن باب شقتها مفتوح على مصراعيه فدخل ووجدها ترتدي معطفها أمام خزانة الرواق. كانت امرأة صغيرة الحجم ممتلئة الجسم ذات شعر أبيض ووجه لطيف، وفكَّر الشرطي في سرّه أنها تشبه جَدّةً لطيفةً من قصة خرافية للأولاد.

– بقيتُ أفكِّر لسنوات بالذهاب لزيارتكم، وضَّحت له، فأنا أفضِّل شرح كل هذا لكم في المخفر وليس في منزلي.

– لا مشكلة، رَدَّ أينار وهو ينظر إلى شقتها المُهمَلة من الداخل، فالأثاث قديم ومُتعَب، وهناك مكتبة مَهيبة تدبّ فيها فوضى عارمة تحتل كل جدار غرفة الجلوس تقريباً، والموكيت الذي بلون الخردل بين المطبخ وغرفة الطعام أصبح رثاً من كثرة الدوس عليه، والشقة تعبق برائحة سمك ومثبِّت شعر.

– هل لي أن أطلب منك أن تصبر عليَّ بضع لحظات، قالت غودرون بعد أن ارتدت معطفها البيج وقبعتها السوداء.

– تفضَّلي، رَدَّ.

– كنتُ قد وَضَعتُ جانباً بعض ماء الحنفية ليسخُن قليلاً عندما رنَّيت جرس الباب. ألا تفعل ذلك أبداً؟

لم يفهم أينار قصدها.

– أجده بارداً جداً عندما يخرج من الحنفية، شرَحت له، خاصةً في الشتاء. لذا أضعه في كاسرولة صغيرة وأسخِّنه قبل أن أشربه. ألا تفعل ذلك؟

– آه، لا، رَدَّ أينار.

دخلت المطبخ، وراح الشرطي يراقبها تُطفئ لوح التسخين، وترفع الوعاء وتصبّ محتوياته في كوب. استغرقت هذه العملية بعض الوقت، ثم عادت.

– يمكننا الذهاب الآن، أعلَنت، والوقت ليس مُبكراً جداً، ليس مُبكراً جداً حقاً.

بعد أن خلعت معطفها وقبعتها، جلَست غودرون في مكتب إرلندور وسألت إن معه سيجارة، وأضافت أنها لن تمانع بعض القهوة أيضاً.

– ما اسمك؟ سألت وهما يدخِّنان.

– إرلندور سڤاينسون.

– ومَن والداك يا إرلندور؟

– أبي سڤيدن كان سبّاكاً، وأمي آسلوغ عمِلت في متجر مَسلَخ سودورلاند. ربما كنتِ تعرفينهما.

– الجميع هنا يعرفون بعضهم البعض، هذا ليس بالخبر الجديد. كانت أمك تعمل في المتجر الذي في شارع هافنارستراتي؟

– نعم، عمِلت هناك لفترة طويلة جداً.

– أعتقد أنني أتذكَّرها. امرأة جميلة جداً وظريفة. للأسف الشديد أنك لا تشبهها أكثر قليلاً.

– هل يمكننا أن ندخل صلب الموضوع؟

– كنا اثنتان، رانفيغ وأنا. المسكينة ماتت من سرطان في الرئة في غضون ستة أشهر فقط، وهذا طبيعي بما أنها كانت تدخِّن كثيراً. رحلت منذ سنة تقريباً. كنا صديقتين عزيزتين جداً، وكنتُ أزورها في المستشفى كثيراً. أخبَرتني وهي على فِراش الموت عن الماضي وعن أولئك الفتيان الصغار، وقالت إنها تأمل أن أكشف في النهاية الجزء الذي لعِبناه في تلك التجربة.

بقي إرلندور يستمع بصمت.

– كانت رانفيغ الأخت الوحيدة لسايڤار كروتز.

– سايڤار كروتز؟ أشعر أنني أعرف هذا الإسم.

– إنه مالك مختبر الأدوية فنتياز. لا أعتقد أن أحداً يعرف أن لديه أختاً.

– سايڤار كروتز الذي يعيش في ألمانيا، همَس إرلندور. الشخص الذي ترك شركة العائلة ليأسِّس مختبره الخاص مع الألمان. نادراً ما يأتي إلى آيسلندا، حيث يبقى هنا لأسبوعين أو ثلاثة كل سنة. إنه رجل غامض جداً.

– تعرَّفتُ على رانفيغ في كلّية التمريض، وعمِلنا معاً لعدة سنوات في المستشفى الوطني. سألتني ذات يوم إن كنتُ أستطيع أن أعمل لها معروفاً، وقالت إنني سأتقاضى مبلغاً محترماً ولن يكون عليَّ القيام بالكثير، لكن لا يجب أن أُخبر أي شخص عن الأمر. بدت لي تلك المهمة غريبة جداً، حيث علينا الذهاب إلى مدرسة ڤيديغردي أربع مرات خلال السنة الدراسية 1967–1968 ونأخذ عيّنات دم من مجموعة فتيان يرسلهم إلينا الأستاذ. لا يجب أن يعلم أحدٌ بوجودنا في المدرسة، وعلينا أن نعمل بسرعة ونغادر فوراً دون التكلّم مع أي شخص. وجَدتُ تلك المهمة مثيرة للاهتمام، ولم أسأل نفسي أي أسئلة. سار كل شيء بشكل جيد جداً، حيث يأتي إلينا أولئك الفتيان الصغار الجميلون، وعلينا أن نتكلّم

معهم أقل قدر ممكن، وكنا نعطيهم الشوكولا لتسهيل العملية. كان أولئك الطلاب المساكين مستعدين أن يفعلوا أي شيء لقاء حصولهم على قطعة الشوكولا تلك. لا شكّ أنهم لا يأكلون الكثير منها في منازلهم، فلم تبدُ عليهم علامات الغنى.

– لم تقلقي أبداً من المشاركة في تجربة قد تعرِّض صحتهم للخطر؟

– أبداً، على الإطلاق. كنتُ أثق برانفيغ كلياً، فهي امرأة استثنائية وأعزّ صديقاتي، ولم أشتبه بشيء أبداً. من الواضح أنني كنتُ ساذجة، لكنني أظن أنها كذَبت عليَّ، وقد أخبَرها سايڤار كروتز أنه يُجري فحوص دم بسيطة ولا يريد تكبُّد عناء معاملات الحصول على موافقة الأهالي والمدارس والسلطات. أخبَرتني رانفيغ أنه أراد أن يسهّل الأمور على نفسه، ولم أشكّ بكلامها.

– ماذا كنتِ تفعلين بالعيّنات؟

– أعطيها إلى رانفيغ. توقَفنا في نهاية السنة الدراسية، وعاد كل شيء إلى طبيعته. ما عدا أنني بقيتُ أفكِّر بأولئك الفتيان باستمرار، لكن رانفيغ رفَضت مناقشة المسألة، لذا توقَفتُ عن الاكتراث. تكلَّمنا عنها مرة أخرى فقط عندما كانت على فِراش موتها.

– ماذا كان سايڤار كروتز يفعل بعيّنات الدم تلك؟

– أخبَرتني رانفيغ أنه يُجري دراسةً يريدها أن تبقى سرية. ووفقاً لها، كل تلك التجارب غير مؤذية بالكامل، ولا أعتقد أنها عرَفت أكثر من ذلك. ثم رأينا تلك الصور في الصحيفة خلال الصيف.

– تلك الصور؟

– تعرَّفنا على صورهم. كان الفتيان يخبروننا أسماءهم دائماً لكي نكتبها على العيّنات، ولا أزال أتذكَّرها حتى اليوم. مات اثنان منهم خلال الصيف، وقد نشرت الصحف صورتهما ونعيهما. مات أغنار من نوبة قلبية، وسُحق غيسلي تحت جرّار في مزرعةٍ. شعرتُ أنها صُدفة غريبة دون أن يُقلقني ذلك حقاً. لكن طوال ثلاثين سنة وأنا أرى أسماء أولئك الأولاد وصورهم في الصحافة، ثم رأيتُ مؤخراً صورة دانيال الذي انتهى أمره بأن انتحر في المستشفى حيث كان يُعالَج. نعم، من الممكن أن يكون لتلك الوفيات تفسير منطقي، وقد بقيتُ أتشبَّث

بهكذا أمل دائماً، لكن الشك يقتلني وأخشى أن أكون قد شاركتُ في تجربة سبَّبت لهم كل تلك المحن.

– ولم تشعري أنه من المناسب أن تكشفي لنا تلك المعلومات قبل الآن؟

– غالباً ما فكَّرتُ بذلك، وحتى أرتدي أحياناً معطفي لأزوركم، لكنني بقيتُ أغيِّر رأيي دائماً. مثلما قلتُ لك، ربما ما حصل لأولئك الفتيان له تفسير منطقي جداً، وسايڤار كروتز ليس من صنف الرجال الذي يمكنك أن توجِّه إليه اتهامات لا دليل عليها. ستكتشفون الأمر قريباً، ولا يمكنني إخباركم أكثر من ذلك. سأعود إلى منزلي، لكن لا تتردَّدوا بالاتصال بي إن لزم الأمر.

– مهلاً لحظة، أنا مَن يدير هذا التحقيق، اعترَض إرلندور. وعلى العكس تماماً، أظن أنه لا تزال هناك أمور عديدة عليك إخبارنا إياها.

– ما هي؟ ردّت غودرون بحدّة.

– أنتِ في وضعية أفضل مني لمعرفة ما هي.

– لا أفهم ماذا تقصد.

– ما علاقتك بسايڤار كروتز؟

– علاقتنا؟ لا توجد علاقة بيننا.

– امرأة عاقلة مثلك تذهب إلى مدرسة في ريكيافيك مرتين مع محاقنها وعليها التأكد من ضرورة ألا يراها أحد، وتسحب دماً من أولادٍ وتعطيهم قِطع شوكولا، وتعرف من البداية أنها تفعل شيئاً لا يجب أن يكتشفه أحدٌ، وتعطيها أعزّ صديقاتها تبريرات لا تُصدَّق، ممتاز! ترسل له عيّنات دم أولئك الفتيان، ثم يعود كل شيء إلى سابق عهده. أظن أن هناك شيئاً آخر. أظن أنك تعرفين سايڤار كروتز.

– أياً يكن، رَدَّت غودرون بشكل غير مُقنِع.

– لم تلتقي به أبداً؟

– ليس لديَّ أي شيء آخر لأقوله.

– لم تفعلي ذلك كمعروفٍ لرانفيغ فقط، أليس كذلك؟

– إلى ماذا تلمِّح؟

– أنا متأكد أنك تعرفين سايڤار كروتز.

تنهَّدت غودرون ونظَرَت إلى إرلندور.

– كان وغداً، رَدَّت بعد صمت. رانفيغ هي التي عرَّفتنا على بعضنا عندما رافَقتُها إلى منزله. بدا رجلاً وسيماً وطويل القامة ونحيلاً، ولم أفهم طينته فوراً، حيث أنه يستغل الناس ثم يتخلَّص منهم حالما لا يعود بحاجة إليهم، وقد توقَّفت رانفيغ عن رؤيته قبل أن تمرض بوقت طويل. جَعَلني أصدِّق في تلك الأمسية أنني امرأة أحلامه، وأسمعني خُطباً رائعةً وتودَّد إليَّ كما لو أنه ممثل أفلام سينمائية. لم يزعجني الأمر، فقد كنتُ في الثلاثينات من عمري ولا أزال عزباء. لم أتزوَّج أبداً في حياتي. أغواني سايڤار كروتز في ذلك المساء، لكن لم يمرّ وقت طويل حتى أذلّني: أخبَرني فوراً عن فحوص الدم، وشرح أنه لا يمكنه تحمُّل كل ذلك الروتين الإداري، وكنتُ جاهزة لأفعل أي شيء لمساعدته.

– لذا رانفيغ ليست مَن عرض عليكِ تلك المهمة الغامضة؟

– إنها الرواية التي تناسبني أكثر. أظن أنني كذَبتُ على نفسي مرات عديدة لدرجة أنني بدأتُ أصدِّق الكذبة، وأي رواية تبدو لي أفضل من الحقيقة.

أعطاها إرلندور سيجارة أخرى أشعلتها فوراً.

– رأيتُه عدة مرات وكان فاتناً، لكنني شعرتُ أنه لا يهتمّ لعلاقتنا كثيراً، فقد كان ينأى بنفسه عني قليلاً، رغم أنه عاملني بلطف شديد، أو بالأحرى ادَّعى ذلك. في نهاية السنة الدراسية، توقَف عن الاتصال بي بعدما انتهت التجربة، فهاتَفتُه، وحتى كتبتُ له رسالةً، لكنه أصبح فجأة رجلاً مختلفاً، بارداً وبغيضاً. لذا ذهبتُ في النهاية لأزوره في منزله، ففتح لي الباب ونصحَني أن أنسى المسألة بأكملها. انسِها كلها، قال لي قبل أن يخبط الباب في وجهي. انسِها كلها.

– هل ضاجعته؟

– هل هذا السؤال ضروري حقاً؟

– وظيفتي بغيضة أحياناً.

– نعم، ضاجعته. بقيتُ أقف أمام منزله مذهولةً، ثم رنَّيتُ الجرس مرة أخرى، وحتى رحتُ أخبط على الباب، لكنه لم يفتح لي. لم أره مرة أخرى أبداً. لقد استغلّني، وحتى أشعر تقريباً أنه اغتصبني.

– لهذا السبب لم تُخبري أي شخص أبداً.

مكتبة
t.me/t_pdf

– سايڤار كروتز بارع جداً في إقناع الأشخاص بتجاهل الخبرات السيئة التي عاشوها معه.

نهضت غودرون، وصافحت إرلندور، وهمَّت بالمغادرة، ثم استدارت عند باب مكتبه وبدت غارقةً في التفكير.

– أنا متأكدة أن رانفيغ لم تعرف الغاية من كل تلك التجربة، فقد أخبَرتني ذات يوم وهي مكتئبة جداً أنها تتساءل إن أصبح أخوها مجنوناً بالكامل لأنه يفعل أموراً لا يجب أن يفعلها أحدٌ أبداً. لم ترغب أن تُخبرني أكثر من ذلك، لكنها بدت مرتعبةً. أعتقد أنها توقّفت عن رؤيته والتكلّم معه بعد ذلك.

بعد رحيل غودرون، أتى سيغوردور أوْلي لرؤية إرلندور الذي أخبَره المحادثة التي أجراها مع الممرِّضة بالتفصيل، وتمنّى عليه ألا يُخبر أي شخص لأن التحقيق بدأ يأخذ مساراً غريباً جداً.

– بالمناسبة، ما كانت الأحرف التي نجحنا في قراءتها على صدر سيغمار؟ سأل سيغوردور أوْلي وهو يُخرج مفكرته. "ن" و"ا". هل تعتقد أنه كان يحاول كتابة الإسم؟

– أي إسم؟ سأل إرلندور.

– فنتياز.

– إذاً فقد فهِم سيغمار كل شيء؟ لكن كيف؟

أمضى إرلندور وسيغوردور أوْلي بقية اليوم يحقّقان بالتحفّظ الضروري، وقد تجمَّعت لديهما في المساء بعض المعلومات عن سايڤار كروتز ومختبره فنتياز.

33

– عثرت الشرطة على غودرون، أعلن الصوت عبر الهاتف. لقد أخبَرتُك أن علينا إجراء الترتيبات اللازمة لها. بقيتُ أُخبرك ذلك من البداية.

– لن أقوم بأي "ترتيبات" بشأن غودرون، وقد بدأت هذه النبرة تزعجني بصراحة. كانت صديقة أختي رانفيغ، وقد اعتنت بها أفضل من أي شخص آخر خلال معركتها مع المرض. إذا قمتُ بأي "ترتيبات" فستكون لحماية نفسي منك أكثر مما منها. أشعر كما لو أننا في فيلم سيئ. ترتيبات!

– ماذا نفعل إذاً؟

– غودرون عجوزة وهي شاهدتهم الوحيدة، وسأتفاجأ إن أصغوا إليها. ليس لديهم أي شيء ليدعم إفادتها.

– ربما. يبدو أن سيغمار لم يكن يُدرك صلتها بنا. على أي حال، لم يذكر مختبرنا عندما استجوبته الشرطة، ولحسن الحظ أنه انتحَر في زنزانته. كان آخر المجموعة، وقد أتلفنا كل المستندات المتعلقة بتلك التجربة ولم يعد لها أي أثر. والمجهول الوحيد هو تلك الكاسيتات الشهيرة، لكنني أعتقد أن هالدور كذَب علينا، ولم يمتلك الجرأة أبداً ليقوم بأي ردّة فعل. كانت مجرد تهديدات فارغة.

– إذاً فرجال الشرطة لا يملكون أي شيء تقريباً، والأولوية لديهم هي اكتشاف قاتل هالدور، ونحن لم نقتله. عليهم أن يحقِّقوا في جريمة القتل أولاً بدلاً من الاستماع إلى قصص نساء عجائز، لكن تأكد من اقتناعهم أن سيغمار هو الذي قتل هالدور.

– الكوريون قادمون غداً.

– أرأيتَ أنهم سيأتون في النهاية؟

– شيء آخر.

- نعم؟
- لقد اختفى.
- مَن؟
- رجلنا. كلَّفتُه أن يبحث عن تلك الكاسيتات، ولم يرسل لي أي شيء في الوقت المتفق عليه. كما أنني غير قادر على الاتصال به.

34

لدى پالمي ألف سؤال ليطرحها عليه، لكنه لم يعرف من أين يبدأ وكِيدي الغراب جالس أمامه كما لو أنه نهض بعد إقامة طويلة في قبر منسي. لقد عاد كِيدي من أعماق الماضي حاملاً معه كل الأجوبة على أسئلة پالمي، فهو يعرف كمية هائلة من التفاصيل عن حياته وحياة دانيال وحياة زملاء صفه السابقين وهالدور، ويعرف كيف تتلاءم كل تلك المعلومات مع بعضها، ولديه القدرة على تأكيد إفادة سيغمار. لقد شهِد كل شيء يهمّ پالمي الآن، والجملة الوحيدة التي تبادرت إلى ذهنه هي:

– لا أفهم.

– لطالما قالوا إن حظي سيئ، لكنني لا أزال هنا، وأعيش بدون أي خدوش تقريباً.

أعاد كِيدي وضع عينه في مكانها، وشَعَر پالمي براحة أكبر فوراً. لم يلاحظ أبداً أن لدى يوهان الملقَّب كِيدي الغراب عيناً زجاجيةً. وهو محقّ فپالمي لا ينظر إلى وجوه مُحاوِريه أبداً، لكنه يحدِّق بعينه باستمرار الآن.

– نوعيتها جيدة جداً، قال كِيدي الغراب، ولستَ الوحيد الذي لم يلاحظها.

– كيف استطعتَ إخفاء نفسك طوال هذه السنوات؟ سأل پالمي حالما خرج من حالة الدهشة.

– الأمر سهل جداً.

– أنتَ مَن قتلَ هالدور؟

– لا يمكننا الحديث حقاً عن جريمة اغتيال أو قتل. كان الأمر انتحاراً، ولم يطلب سوى المساعدة في إنهاء حياته. لقد نال الميتة التي أرادها بالضبط، وقد استمَعتَ للتو إلى الكاسيتات التي تبرهن ذلك.

– هل كنتَ تكره هالدور لما فعله لك ولأصدقائك؟ هل قتلتَه؟

– نعم، كنتُ أكرهه، لكنني أشفَقتُ أيضاً على ذلك الرجل المسكين.

– لقد فَقَد عقله، ولا يجب أن تعير اهتماماً إلى ما يقوله أو تفعل ما يطلبه، خاصة ليس شيئاً مجنوناً ومريعاً مثل حرقه حيّاً.

– كانت أعزّ رغبة لديه يا پالمي، وبقي يشكرني. سألتُه مرات لا أعرف عددها إن كان هذا ما يريده حقاً، وكان يجيبني فرِحاً "نعم" كل مرة. لقد أراد أن يغادر الدنيا بهذه الطريقة. أراد أن يهلك في اللهب. لقد سمِعتَ ذلك على الكاسيت. النيران المطهِّرة. وقُبيل موته، راح يكرِّر كلمات الحكيم العظيم: *"من يحبّ نفسه يُهلكها، ومَن يُبغِض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية"*.

– لقد رَبَطته بذلك الكرسي.

– أصرَّ على ذلك، فلم يرغب أن يكون قادراً على الهروب.

– فَقَد عقله فحسب، وكان يمكن تخفيف معاناته بمشورة نفسية وليس بحرقه. إنه لأمر شنيع أن تحقّق له تلك الأمنية.

– لم يرغب هالدور الحصول على مشورةٍ نفسيةٍ. للناس الحق بأن يقرِّروا ذلك بأنفسهم، ولا يحق لنا أن نحكم ما إذا كان ذلك جيداً أو سيئاً طالما أنه قرارهم.

– لكن أنت؟ كيف استطعتَ أن تنفّذ هكذا عمل وحشي؟

– كل ما فعلتُه هو إشعال عود الثقاب، ثم وضعته بين أصابعه وخرجت من المنزل راكضاً. من الواضح أنني لم أرغب فعل ذلك فأنا لستُ قاتلاً. على كل حال، لم أكن بعد قاتلاً في ذلك الوقت، فذلك ما أراده هالدور وما طلبه مني دانيال.

– كنتَ لتساعد أخي لو طلبَ منك ذلك؟

– لم يطلب مني أبداً يا پالمي، لذا لم أضطر أبداً إلى أن أقرِّر بشأن ذلك. وأظن أنني كنتُ لأفكِّر كثيراً في تلك الحالة، تماماً مثلما فكَّرتُ كثيراً وتجادَلتُ كثيراً مع هالدور قبل أن أوافق. لم أدخل منزله مثل لص في الظلمة لأُشعل فيه النار، ولم يُظهِر لي أدنى شك أبداً. كانت مهمتي أن أحرِّره من ثقل حياته وليس قتله.

– أنت الفتى الوحيد من صفك الذي لا يزال حيّاً.

– لا شك أن هذا هو أحد تلك الأخطار الطبيعية التي أخبرني ودادي عنها

هالدور ذات يوم. لقد قرأتُ في مكان ما أن اليونانيين اعتبروا أن للحظ دوراً كبيراً في تحديد مصائر البشر، فأنا كنتُ أجد كبسولات زيت كبد القد تلك مقرفةً، ونجحتُ دائماً بإعطائها إلى الآخرين أو برميها سراً. وعندما أخبَرني أصدقائي أن مذاقها تغيَّر، تناولتُ واحدةً، لكنني وجدتُها حتى أسوأ من سابقاتها. كان هالدور أحياناً يضعها في أفواهنا مباشرة وهو يبتسم تلك الابتسامة المضحكة ويداعب شفاهنا برؤوس أصابعه، فنضحك عندما يفعل ذلك ولا يكون لديَّ أي خيار آخر وقتها. ما عدا ذلك، أعطيتُ معظم كبسولاتي إلى داني تلك السنة، وهو الذي كان يأخذ حبوبي، وأصبحتَ تعرف الآن نتيجة ذلك. أنا مُقتنِع أنني لعِبتُ دوراً في مرضه عن غير قصد. هل يمكنك أن تتخيَّل مدى حزني الكبير لذلك؟ دعني أُخبِرك أن ذلك مؤلم أكثر بكثير مما فعلتُه لهالدور. أمضيتُ بعض الوقت تلك السنة في المستشفى – أشار كِيدي الغراب إلى عينه الزجاجية – وعندما عدتُ إلى المدرسة، وجدتُ أن هالدور يعطينا تلك الكبسولات بكرم أكثر حتى، وكان داني يبتلع الكثير منها، فقد كان يحبِّها.

– هل تعرف على ماذا احتوت؟

– لديَّ فكرة صغيرة اليوم.

– متى أدركتَ أنه يجري استخدامكم كحقول تجارب؟

– لم أحصل على أي تأكيد حقاً إلى أن زار هالدور دانيال في المستشفى ليُخبره عن مختبر الأدوية ذاك. لطالما شعرتُ بوجود رابط بين تلك الكبسولات وبين مِحَن رفاقي، وكنتُ مقتنعاً أنها لعِبت دوراً مهماً فقد تغيَّر أصدقائي كثيراً تلك السنة، حيث تحسَّنت نتائجهم كثيراً بعد أن كانوا حمقى حقيقيين. لطالما كانوا متحمِّسين، لكنهم أصبحوا متحمِّسين أكثر حتى، ولا يعودون على طبيعتهم أحياناً. كانوا أولاداً مفعمين بالحيوية ويخالفون أصول الحس الأخلاقي واللياقة العامة، وعندما يلعبون كُرة القدم، يُظهرون قدرة تحمّل استثنائيةً. حقَّق كل طلاب صفنا أفضل النتائج في المدرسة، وكنتُ الوحيد الذي بقي كسولاً، مثل الفتيات تماماً. كانت سنةً غريبةً، لكنني لم أشعر وقتها بوجود أي خطب، حتى عندما مات آغي، ثم غيسلي، في وقت لاحق من ذلك الصيف، فبالنسبة لنا، كانا حدثين مؤلمين غير مرتبطين، ولم يخطر ببالنا أبداً أن تلك الكبسولات هي

السبب. كنا أبرياء جداً إلى حد الغباء، ونصدِّق أنها تحتوي على زيت كبد القد ولا شيء آخر، ونقول لبعضنا أحياناً إن لها تأثيراً غريباً علينا، لكننا لم نذهب بتفكيرنا أبعد من ذلك. كنا في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ولم نكن نعرف أي شيء عن الحياة.

فقط لاحقاً عندما أصبحتُ في حوالي الثلاثين من عمري وبدأتُ أرى أصدقائي يموتون، أو يصبحون مدمني مخدرات، أو يحاولون الانتحار، أو يتم إدخالهم إلى المستشفى، حتى صرتُ أفكِّر بكل ذلك وبدأتُ أشكّ أنها احتوت على مواد ضارة. لطالما تناولتُ الشراب مع أصدقائي، لكنني لم أكن أحتسي منها بنفس قدرهم أبداً، كما بدأوا يتعاطون المخدرات في سنّ يافع جداً، وأصبحوا مدمنين عليها بشدة في سنّ المراهقة، وداني منهم أيضاً. عليك أن تفهم يا بالمي أننا كنا أي شيء ما عدا طلاباً يُحتذى بهم. لم نكن على أخلاق حميدة، بل رعب الحي. لا أعرف إن كان ذلك يطابق الصورة التي رسمها سيغمار.

– هل تعرف أن الشرطة استجوبته؟

– من الواضح أنني بقيتُ على اتصال به، وحضَّرنا معاً ما يُفترَض به أن يقوله. أنت تفهم أنه لم يكن بإمكانه أن يروي لك القصة كلها، لكن كان عليه أن يقول لك ما يكفي لكي تفهم فحوى الموضوع، ولكي تعرف أن طلاب المدرسة ليسوا مَن قتل هالدور.

سكت كِيدي الغراب قليلاً.

– حتى ولو أصبح بعضنا في حالة انحطاط عظيم، وأحياناً في سنّ يافع جداً، لم يكترث أحد. وعندما تخرّجنا من المدرسة، تفرّق شمل مجموعتنا بسرعة وانقطع التواصل بيننا، حيث انتقل البعض للعيش في مكان آخر مع أهاليهم، وذهب البعض الآخر للعيش في الأقاليم، ولم نعد نرى بعضنا البعض. هناك دائماً أشخاص يصابون بالجنون دون أن يجد الآخرون أي غرابة في الأمر، وهناك دائماً أيضاً أشخاص يتعاطون المخدرات، أو يحاولون الانتحار، أو يجدون أنفسهم في الشارع، وكل ذلك جزء من الحياة. بقيت أرى بشكل دوري صور أصدقائي السابقين في الصحيفة إلى أن لم يعد هناك غيرنا نحن الثلاثة، سيغمار وداني وأنا. ورغم أنني تساءلتُ من وقت لآخر عن تجربة علاجات محتملة علينا، إلا أنني

اعتقَدتُ أن ذلك ضربٌ من الخيال العلمي. أشخاصٌ يختبرون علاجاً على أولاد يفقدون بعدها السيطرة على حياتهم! بصراحة، كيف يمكن أن يتخيَّل المرء شيئاً كهذا؟!

– لكن لماذا لجأتَ إذاً إلى لعبة التخفّي هذه؟ لماذا انتحلتَ إسماً جديداً؟ لماذا يا يوهان؟

– فكَّرتُ بالأمر كثيراً، ثم حاوَلتُ بالصُدفة منذ ثلاث عشرة سنة معرفة محتوى تلك الكبسولات، حيث ذهَبتُ إلى وزارة الصحة وأخبروني كيف كان يتم تزويد المدارس بزيت كبد القد. اعتقَدتُ أن الصانع مسؤول عن محتوياتها، لكنه صُدم تماماً، وأخبرني أنهم توقفوا عن توزيع زيت كبد القد على المدارس قبل ذلك بعدة سنوات، وأراني كل مستندات شركته وسجلات التسليم، لكنني لم أستطع إيجاد أي دليل. من جهة أخرى، تولَّد لديَّ انطباع أن حشريتي لفتت الأنظار إليَّ، وشعرتُ أنني تحت المراقبة. عبثاً حاوَلتُ إيجاد الممرِّضتين اللتين كانتا تأخذان عيّنات الدم تلك، فلا شيء سهل في الحياة، حيث رحتُ أتسكّع في المستشفيات دون أن أراهما، ثم طردني الموظفون من المستشفى الوطني عندما أدرَكوا أنني أتجوَّل في الأروقة منذ ثلاثة أيام. لقد لفتُّ الانتباه إلى نفسي أكثر فأكثر، ثم ذهَبتُ لرؤية هالدور في عرينه حيث صادفتني رائحة الموت تلك التي حاوَل دانيال وصفها لنا ذات مرة. أنت تعرف أن أخاك فرّ منه بشقّ النفس. في النهاية، كان ذلك الرجل المسكين يتعفَّن في وحدته. لم يرغب أن يُخبرني أي شيء في البداية، لكن في زيارتي الثالثة إليه، أخبَرني عن مدرسة هڤولسڤولور دون أن أفهم غاية كلامه، وأخبَرني أن أولئك الأشخاص كانوا يبتزّونه. وعندما عدتُ إلى منزلي، تعرَّضتُ لهجوم.

بقي پالمي يستمع بصمت، ونظراته لا تزال تحدِّق بالعين الزجاجية.

– كنتُ في تلك الفترة مستأجراً ستديوهاً تحت مستوى الطريق في شارع نيادارغاتا، وأعمل في مَصنع هميديا لمعدات صيد السمك. عدتُ ذلك المساء وكان رجلان ينتظراني بعد أن قلبا محتويات الستديو رأساً على عقب. لم أرهما إلا بعد أن استعدتُ وعيي بعد الضربة التي تلقيتُها على مؤخرة رأسي عندما فتَحتُ الباب، وقد استيقَظتُ في كيفلافيك على حائل أمواج مهجور: وجدتهما

يتكلّمان عن حالات الاختفاء، وأن هناك دائماً أشخاصاً يختفون في آيسلندا دون أن يسأل عنهم أحدٌ، ثم ضحِكا، لكنهما كانا محقَّين فنحن معتادون على اختفاء الناس في ضباب الجبال، أو غرقهم في البحيرات، أو سقطوهم في الماء أثناء صيد السمك في أعالي البحار. فهِمتُ أنني وَضَعتُ يدي على قصة مُحرِجة وأنهما يخطِّطان للتخلّص مني، لذا وَضَعاني في زورق معهما، وشغَّلا المحرِّك وانطلقا، وانتهى بهما المطاف أن رمياني في البحر. راحا يدردشان في الطريق إلى هناك كما لو أنهما خبيران بتيارات البحر مقابل شبه جزيرة ريكيانس، ويسخران قائلَين إن جثتي ستظهر في غرينلاند على الأرجح. لا أعرف لماذا لم يذهبا مسافةً بعيدةً في البحر، ولماذا لم يربطاني قبل رميي في الماء، بل كان عملهما رديئاً. أظن أنهما أرادا إخافتي فحسب، وقد نجَحا في ذلك. تمكَّنتُ من بلوغ الساحل وأرض ميدنشيدي السبخة، وأنا أشعر بكل جسمي مجمَّداً من البرد، وصادفتُ هناك جنوداً من القاعدة الأميركية نقلوني إلى المستشفى العسكري، حيث تعافيتُ بسرعة كبيرة، ثم اختفيتُ.

– كيف استطعتَ أن تختفي مع البقاء في ريكيافيك؟ تساءل بالمي. حتى ولو اتّخذنا لأنفسنا هوية جديدة، هناك دائماً أشخاص يتعرَّفون علينا.

– لم يشكِّل ذلك مشكلةً لي، فلم تكن لديَّ عائلة في الواقع، وفي تلك الفترة، لم أكن قد رأيتُ والديَّ منذ سنوات، ولم أتواصل معهما أبداً منذ ذلك الوقت، وآخر خبر وصلني عنهما هو أنهما يعيشان في الشمال ويُكثران من تناول الشراب. لقد تبَعتُهما إلى هناك إلى أكوريري، لكن سرعان ما غادرتُ منزلهما دون أن أحمل ذكريات طيبة معي. لم تكن أمي قُدوةً أبداً، وأبي يضربني بشكل دوري، وفي أوقات ثابتة تقريباً، ولم يكن عندي أي أصدقاء غير سيغمار ودائي. رحتُ أعمل هنا وهناك في آيسلندا، متنقلاً بين المزارع ورحلات صيد السمك، وكنتُ مثل هالدور في أنني أعيش وحيداً تماماً، وعندما ينأى الأشخاص الذين من صنفنا بأنفسهم عن الآخرين، ينساهم الناس بسرعة. بقيتُ أكتفي بالخروج بأقل قدر ممكن، ثم سافرتُ إلى الدانمرك لثلاث سنوات بعد الهجوم الذي تعرَّضتُ له حيث هَرَبتُ ببساطة من آيسلندا واتخذتُ إسم يوهان، وهو أيضاً إسمي الوسطي في سجلات الأحوال المدنية. بعد عودتي إلى الوطن، عمِلتُ كمُشرِف في

المستشفى، وهذا مكّنني من أن أكون مع داني وأهتمّ به. عشتُ هناك في عزلةٍ، فلم أكن أعود إلى منزلي أحياناً لأسابيع متتالية، حيث أنام في المستشفى، وأتظاهر عند الصباح أنني وصلتُ إلى العمل قبل كل زملائي. لقد لاءمتني تلك الحياة، فلا أحد يزعجني ولا أزعج أحداً. تضم هذه المدينة مئة ألف نسمة، وكلنا مُقتنِعون أننا نعرف الجميع على غرار الأيام الخوالي، لكن الواقع عكس ذلك تماماً فالناس لا يلتقون في حياتهم كلها إلا بنسبة مئوية صغيرة جداً من السكان، وكلنا في النهاية نتلاشى بين الحشود. غيَّرتُ إسمي ورقم هويتي، والأمر بسيط جداً. لا أزال أنتظر منذ سنوات لكي أكشف هذه القضية، وعندما أتى هالدور إلى المستشفى للتكلّم مع داني، فهمتُ أننا سنتمكن من الإيقاع بأولئك الحثالة.

– أنتَ مَن ساعدني تلك الليلة؟

– بقيتُ أراقبك لعدة أيام لأن هالدور أخبَرني أنه أرسَل لك تلك الكاسيتات. كنتُ أعلم بوجودها، وأعلم أيضاً أن هالدور يستخدمها ليهدِّد أولئك الأشخاص. آه كم كان شخصاً غريباً. بالإضافة إلى ذلك، طلب مني داني أن أحميك. لذا عندما رأيتُ تلك الليلة رجلاً يقتحم منزلك عنوةً، ولم يكن بارعاً جداً، تخلَّصتُ منه.

– مَن كان؟

– لم يتسنَّ لي الوقت لأسأله. أحتفظ به إلى أن يمكنه أن يكون مفيداً لنا.

– ماذا بشأن سيغمار؟ هل كان يعرف أنك تعمل هناك؟

– بالطبع. تماماً مثل أمك يا بالمي. كانت تعرف أنني أهتمّ بداني، لكنها لم تسألني أي سؤال أبداً. أما بالنسبة لك فمن الواضح أنك لم تتذكَّريني. كان سيغمار في حال يُرثى له، وافترَضتُ أن رجال الشرطة سيستجوبونه عندما يبدأون البحث في الماضي، لذا حضَّرنا الأجوبة معاً. هل أخبرك كيف فقدتُ عيني؟ هل أخبرك عن عصابتنا؟ لم أعرف أبداً مَن كان أولئك المراهقون الذين هاجمونا فجأة ذلك اليوم.

– هل أخبرتَ سيغمار عن محتوى كاسيتات هالدور؟

– كان يعرف كل شيء.

– رآك سيغمار في جنازة داني. أهذا السبب هَرَب؟

– أخبَرك ما يكفي ليثير حشريتك، ثم غادر. هكذا قرَّرنا أن يتصرَّف معك.

– لقد شنق نفسه في زنزانته.

– أعرف، وهذا لا يفاجئني نظراً لحالته. سيغمار هو الوحيد الذي صمد أطول مدة، لكن لم يحظَ أولئك الفتيان بأي حياةٍ، بل دُمِّروا تدميراً كاملاً. لا أرى كيف يمكنني التعبير عن ذلك بشكل مختلف.

– هل كنتَ تعرف أن دانيال سينتحر؟

– كان داني قد وصل إلى نهاية الطريق، ولم يكن لديه أي مستقبل أو ماضي. آخر مرة رأيتُه فيها أخبَرني أنه مُتعَب جداً، وبعد سماعه اعتراف هالدور، لم يعد يرى أي معنى للحياة، وهي محض صُدفة أنه قفَز من النافذة لحظة وفاة هالدور. من الواضح أنني أفتقد داني كثيراً، لكنني أتفهّمه نوعاً ما.

– والآن؟ ماذا سنفعل بتلك الكاسيتات؟

– طبعاً سنعطيها لأصدقائك الشرطة، فهم بحاجة ماسّة إلى معلومات عن فنتياز ومالكها، سايفار كروتز.

35

بقي كِيدي الغراب يجلس في الظلمة، وذهب بالمي بعد تعافيه من صدمته العاطفية ليحضِّر بعض الشاي العشبي الذي أحضَره في كوبين كبيرين راحا يُدفئان يديهما عليهما وهما جالسان في مواجهة بعضهما البعض.

– كان آغي الأول، قال كِيدي، فقد أخذ مرطبانات هالدور معه إلى المنزل وراح يحشو نفسه بتلك الكبسولات. كنا نلعب كُرة القدم في المستنقع بعد عدة أيام على فرار أخيك من براثن هالدور، حيث شكَّل ستتنا فريقاً ضد أولاد آخرين من الحي، وبالكاد أصبحنا نلهث قليلاً عندما لم يعد الآخرون قادرين على التحمّل. كان آغي الأفضل بيننا كلنا، ولا يُقهَر حقاً. قال الناس إنهم لا يتذكَّرون آخر مرة رأوا فيها هكذا ربيع جميل أو هكذا صيف جميل، حيث الشمس تُشرِق كل يوم. كان الملعب مجرد أرض قاحلة كثيراً ما لعبنا عليها وغرسنا فيها قبضاناً في الأرض لتحديد المرميين، وتمرَّنا على كيفية تمرير الكرة، والتسديد بشكل صحيح، وتسجيل الأهداف.

توقَفنا عن اللعب، وجلسنا عند حافة بركة المستنقع، وشرِبنا بعض الماء من المكان الأكثر نقاءً، حيث كانت قد هطلت أمطار صيفية غزيرة وكبُرت البركة كثيراً، وأصبحت في وسطها صخرة ضخمة لا شك أن العمّال اقتلعوها من الأرض وتركوها هناك عندما حفَروا أساسات أحد المباني. كنا نحبّ اجتياز تلك البركة الضحِلة والجلوس هناك، وجلَس آغي معنا وغطَّس قدميه في الماء وقال إن قلبه يخفق بسرعة إلى حدود مليون نبضة بالدقيقة.

فحصنا كلنا معدل نبضاتنا، وأشعَلتُ سيجارة ومرَّرتُها إلى الآخرين، ثم أشعلتُ واحدة أخرى. كنا كلنا قد بدأنا التدخين في الربيع، كما بدأنا احتساء الشراب في نفس تلك الفترة أيضاً، ولم نكن نجد صعوبة في الحصول على الشراب أو

السجائر من أهالينا، وسرعان ما أصبح أصدقائي مدمنين على الأمرين معاً. أرادوا التجربة فحسب في البداية، لكنهم اعتادوا عليهما سريعاً وأصبحوا يُكثرون منهما.

أخبَرنا دانيال ما حصل في منزل هالدور، ثم ندم على ذلك، فقد شَعَر أن ذلك الرجل يستحق الشفقة أكثر منه اللوم، ووجد أن لا شيء في القضية يستحق الضحك، ولم يفهم حقاً طبيعة شعوره تجاه هالدور، فذلك الرجل يثير اشمئزازه، لكنه يشفق عليه في الوقت نفسه. فضَّل داني أن ينسى كل شيء في أسرع وقت ممكن، وبقينا نذكِّره باستمرار أنه هرب عارياً تقريباً، ولا نتوقف عن مطالبته بتكرار هذه القصة على مسامعنا. يا له من منحرِف لعين، قلنا ونحن نضحك كالمجانين. ذلك الرجل مجرد شخص مسكين حقاً، قال سْكاري سكر نبات، لحسن الحظ أننا لم نستمع أبداً إلى ما كان يُخبِرنا إياه في الصف.

لم يرغب داني أن نتكلّم عن هالدور مرة أخرى، واقترح أحدنا أن نذهب إلى السينما، فتظاهر آغي أنه يُطلِق النار من رشاش حربي على العدو وصاح، دعونا نشاهد فيلماً حربياً، ثم وَقَع أرضاً مدّعياً الموت.

في النهاية، هذا ما اعتقَدناه.

وكنا مقتنعين أنها حيلة مبالغ بها.

عندما أصبحنا نتكلّم عن موت آغي بعد ذلك، نشعر دائماً كأننا كنا نشاهد فيلماً حربياً مثّل فيه دور البطولة ومات كبطل على تلك الصخرة.

أحياناً يمرّ ذلك الفيلم بالحركة البطيئة فنشاهده يضع يده على صدره وينحني متجهِّماً كما لو أنه يموت فعلاً. من المستحيل أن يموت، فقد احتفل بذكرى ولادته الثالثة عشرة للتو، والمرء لا يموت بهذا العمر. لهذا السبب اعتبرنا أنه مجرد تقليد لمشهدٍ من فيلمٍ... فيلمٍ صامتٍ يُعرَض بالحركة البطيئة.

وَضَع آغي يده على صدره، وراح يتلوّى من الألم وهو ينظر إلينا كما لو أنه لا يفهم ما يحدث له، ثم وَقَع في البركة. لم نر أبداً هكذا ميتة واقعية في السينما، فرحنا نصرخ فرحاً ونصفِّق لأدائه البارع بينما عامَ بلا حراك على الماء المصفَرّ للمستنقع. مرَّ وقت طويل، فأوقَفنا صرخات الفرح وبدأنا نصرخ إسمه، لكنه لم يردّ علينا، وبقي ظهره ظاهراً على السطح. أخيراً، نزلتُ في البركة مع داني، وأدَرناه وفهِمنا أن هناك مشكلة كبيرة. كان الماء الغائم يسيل على عينيه المحملِقتين

الجاحظتين بالكامل.

أعدناه إلى الشاطئ ومدَّدناه على ظهره، ووقفنا في دائرة حوله، ولا أحد منا يفهم ما حصل للتو. كنا ننتظره أن يتوقف عن التهريج فحسب، وأن ينهض ويقطِّب وجهه كالعادة، لكن لا شيء من ذلك حصل، بل بقي آغي ممدَّداً بلا حراك على الشاطئ، ونظراته الجامدة مثبَّتة على السماء الصافية. هل مات؟ شهِق دانيال. كيف يُعقَل أن يموت؟

رافَقتُه وداني في الإسعاف، وكنا ننتظر في رواق المستشفى عندما وصلت أمه. رفَضت أن تصدِّق الأمر وصاحت بالطبيب، ما هذا الكلام الفارغ؟ كيف يمكن أن يموت ولد في الثالثة عشرة من عمره من نوبة قلبية؟ ألا تعرف أي شيء! قلب أغنار سليم تماماً. لا تحاول أن تتذاكى عليَّ بإخباري هُراء كهذا أيها الغبي!

شُرِّحَت الجثة، لكننا لم نحصل أبداً على النتيجة، وبقي موته لغزاً للجميع. وبعد أسبوع فقط على دفنه، علمنا أن غيسلي مات في المزرعة حيث يعمل خلال الصيف. لم يكن ما حصل له واضحاً جداً، فيبدو أنه فَقَد السيطرة على الجرّار الذي انقلب عليه ومات فوراً. كان شائعاً جداً في تلك الفترة أن يقود الأولاد جرّارات من دون معدّات حماية أو دون الجلوس داخل قمرة مغطاة. طبعاً لم تُشرَّح الجثة، لكن لو شرَّحها الأطباء، أنا متأكد أنهم كانوا اكتشفوا أنه مات قبل أن ينقلب عليه الجرّار، افتراضياً من نوبة قلبية مثل آغي.

– سايڤار كروتز، همَس بالمي تاركاً الإسم يرنّ في أذنيه. سايڤار كروتز.

– سنقضي على ذلك القذر. سنزحف إلى وكره وننتزع منه المعلومات، قال كِيدي الغراب متوعِّداً.

36

– وتعتقدان أن سايڤار كروتز متورّط في هذه القصة؟

جالسان في مكتب رئيس الجنائية، رأى إرلندور وسيغوردور أوْلي وجه رئيسهما يتبدَّل بين كل الألوان بينما شرَحا له تفاصيل التحقيق الذي يركِّز الآن، بعد استجواب سيغمار وإفادة غودرون، على سايڤار كروتز الغامض. كانا يعرفان أن هذه القصة مدهشة، لكنها كل ما في جعبتهما، وبما أن التحقيق قادهما إلى ذلك الرجل الذي يصدف أنه متواجد الآن في آيسلندا، أرادا أن يستجوباه.

رئيس الجنائية رجلٌ بدينٌ ذو أسنان متباعدة عن بعضها، وإرلندور يعتبر أنه يشبه عجلاً. وإذا كان صحيحاً أننا ما نأكله، فلا شك أن مديره يحبّ لحم البقر كثيراً، فكَّر في سرّه. كما أنه لقَّبه وحش الاجتماعات، وقال إن لديه القدرة على قَلب أي موقف إلى اجتماعٍ. وكلما توسَّعا أكثر في قصتهما، كلما تململَ الرئيس أكثر على كرسيه وتلألأت قطرات عرق على شفتيه. كان إرلندور وسيغوردور أوْلي قد أصبحا معتادين على الصورة الموضوعة على مكتبه والتي تُظهِره يصافح رئيس الوزراء الذي يُقال إنه أحد أصدقاء سايڤار كروتز المقرّبين القلائل.

– ليست لهذه القصة أي علاقة بمجموعة حمقى تناولوا بعض الأدوية أو تعاطوا المخدرات منذ ثلاثين سنة تقريباً، بل هي مجرد حريق ارتبط بجريمة قتل، وهذا ما عليكما أن تحقِّقا فيه. ما يهمّنا في المقام الأول هو اكتشاف قاتل هالدور، وتريدان إضاعة ساعتين من الظهر وحتى الثانية بعد الظهر لتوريط سايڤار كروتز. لا أرى ما دوره في القضية.

– هل أنت متأكد؟ سأل إرلندور بحذر. للآيسلنديين الأثرياء والنافذين كل أنواع العلاقات مع بعضهم البعض، وقد زرعوا بيادقهم في كل مستويات النظام.

– يمكنك أن ترى أن كل هذا المنطق بعيد الاحتمال. لماذا سيقوم رجلٌ مثل

سايڤار كروتز، والذي لم يعد لديه أي ارتباط بآيسلندا تقريباً، بتكليف أحدهم بقتل أستاذ متقاعد؟ كل ما لديك هو إفادة مدمن مخدرات، وعجوزة تدّعي أنها سحبت عيّنات دم من أولئك الأولاد. ألا تجد ذلك سخيفاً قليلاً؟ دعني أُخبِرك أنني ناقشتُ هذه المسألة مع رئيس الوزراء وهو قلق جداً من مسار هذا التحقيق.

– بما أن الأمر سخيف إلى هذا الحد، لماذا سيكترث رئيس الوزراء بشأنه؟

– من حقّه تماماً أن يبقى على اطلاع على سير التحقيق.

– إذاً فقد تابع رئيس الوزراء مجريات هذه القضية عن كثب. منذ متى؟ سأل إرلندور.

– منذ متى؟ كرَّر رئيس الجنائية بارتباك. ماذا يغيِّر ذلك؟ هذا التحقيق يُقلقه وأنا أفهمه.

– في تلك الحالة، يمكننا أن نفترض أن سايڤار كروتز يُدرك أيضاً سير التحقيق، ردّ إرلندور بحدّة ونظر إلى سيغوردور أوْلي نظرة فهمٍ.

– هل تلمّح إلى أن رئيس وزرائنا سرَّب معلومات سرية؟ ردَّ الرئيس بغضب.

– لا ألمّح إلى أي شيء على الإطلاق، طمأنه إرلندور. لدينا إفادة رجل تؤكِّد أن كل الفتيان في صفه تلقوا مادةً ما في المدرسة كانت لها تأثيرات كارثية على صحتهم. وليس تلك الإفادة فحسب، بل لدينا أيضاً محاضر الشرطة والتقارير الطبية التي تُظهِر ما حصل لأولئك الأولاد الـ 36، كما لدينا امرأة ذكية جداً وشديدة الانتباه للتفاصيل تدّعي أنها شارَكت في تجارب طبية على أولئك الفتيان بسحبها عيّنات دم منهم وإعطائها إلى أخت سايڤار كروتز. وبما أن ذلك الرجل يملك أكبر مختبر أدوية في البلد، أعتقد أن لدينا عذراً كبيراً لطرح بضعة أسئلة عليه. لا يتواجد هنا في أغلب الأحيان، ولم يُمضِ طوال عشرين سنة أكثر من بضعة أسابيع في آيسلندا، ولا يمكننا أن ندع هذه الفرصة تفوتنا، لذا يمكنه أن يتواضع ويُخبرنا أين أخطأنا.

– كيف تعرف أنه في آيسلندا؟

– وَصَل منذ عشرة أيام، ولا نملك أي معلومات عن موعد رحيله. لا يبدو لي أنه يتنقَّل كثيراً، لكن مَن يمكنه أن يؤكِّد لنا أنه لا يبقى مُقفِلاً على نفسه في قصره الضخم على مدار السنة دون معرفة أي شخص؟

– أنصحك أن تعامله بلباقة، ردَّ الرئيس وهو يصفر الهواء بين أسنانه.

حيّاه إرلندور وسيغوردور أوْلي وانصرفا. إنه وقت العشاء، وقد فات الأوان لإزعاج سايڤار كروتز، لذا سيزورانه غداً. لقد أمضيا هذا اليوم في تجميع معلومات عن عائلته وماضيه، وعرَفا أن جدّه الأكبر كارل كروتز وَصَل من هامبورغ في بداية القرن التاسع عشر وأسَّس متجراً في ريكيافيك، وكان أيضاً وكيل سفن ألمانية لصيد السمك تجوب بُقع صيد السمك حول آيسلندا. أصبحت عائلة كروتز غنية جداً، وعُرف عن كارل بُعد نظره وبخله على حد سواء، وعندما مات حوالي عام 1870، ترَك خلفه تجارةً ناجحةً. خسِر إبنَيه البِكر في حادث غرق سفينة، لكن إبنه الأصغر، هانس كروتز، تولّى مسؤولية الشركة التي أدارها بقبضة حديدية حتى بداية القرن العشرين، وأصبح وقتها أحد أكبر مالكي السفن في العاصمة. أسَّس أيضاً صيدليةً ازدهرت سريعاً، ثم مختبر أدوية تطوَّر بسرعة بالتعاون مع عائلته في ألمانيا. كان إبنه غونار يحترم التقاليد الآيسلندية وفضَّل أن يتّخذ لنفسه إسم هانسون بدلاً من أن يحتفظ بإسم كروتز، وهذا جعل أنسباءه الألمان يستاؤون كثيراً، ولم يكن يهتمّ بصيد السمك بقدر اهتمامه بقطاع الأدوية، ونجح في التركيز على تطوير مختبره إلى أن نال شبه احتكار لتصنيع الأدوية في آيسلندا، وألحَّ على إبنه سايڤار بأن يتسجَّل في كلّية الصيدلية. قَطَع غونار كل علاقاته بعائلة كروتز في ألمانيا في الخمسينات، وقد تعاملت هذه الأخيرة مع النازيين، على غرار العديد من قادة الشركات الألمانية الكبيرة، وانتشرت إشاعة في نهاية الحرب العالمية الثانية أن الشركات التي تملكها العائلة كانت ضالعة في تطوير أسلحة كيميائية وتصنيع الغازات التي استُخدمَت في المخيَّمات. وقد اتّهم بعض الناجين أيضاً عمّال مَصنع كروتز باستخدام سجناء من مخيَّمات الإبادة كحقول تجارب لاختبار أدوية جديدة.

استأنَف سايڤار التعاون مع مختبرات كروتز في ألمانيا رغم معارضة أبيه لذلك، وهكذا أسَّس مختبره الخاص فنتياز عام 1958 المتخصِّص بصنع وتطوير علاجات للأمراض النفسية. ثم اغتنى أكثر فأكثر في الستينات عبر تصنيعه الأمفيتامينات، ولم يكن يُعرَف الكثير عن تأثيراتها الجانبية في ذلك الوقت، وكان الحصول عليها سهلاً وتُستخدَم يومياً كمنشّطات، وقد سمّاها الكثير من الناس "مفتاح الإجازة

الصيفية" لأنها تتيح لمستهلكيها العمل عدة ساعات إضافية. حوالي العام 1970، انتقلت مختبرات فنتياز إلى نشاطات أخرى لم يعثرا على معلومات كثيرة عنها، لكن بدا أنها تتم بتعاون وثيق مع مختبرات كروتز في ألمانيا، وترتبط بأبحاث في حقل التخصيب الاصطناعي.

شكّل سايقار كروتز بحد ذاته شخصيةً غامضةً، وكسر التقليد الأبوي لعائلته فلم يتزوج أبداً ولم يُنجب أي أولاد. لديه منزل ضخم بناه في خليج كالارنْيَس في أوائل التسعينات عبارة عن حصن حقيقي صمَّمه مهندسون معماريون ألمان، وقد استغرق تشييده سنتين. كما يملك منزلاً في هامبورغ وآخر في جنوبي فرنسا، ونادراً ما يزور آيسلندا. لم يعرفا لكم من الوقت يبقى هناك في كل رحلة من رحلاته، وقد اختفى منذ مدة طويلة عن وجه الأرض، إذا جاز التعبير. لا توجد له إلا صورة واحدة فقط في الأرشيف الفوتوغرافي لأكبر صحيفة محلية، وكان فيها يافعاً جداً يوم التُقطت عام 1967 في مناسبة انتخابه رجل العام من قِبل مجتمع رجال الأعمال الآيسلنديين.

مكتبة
t.me/t_pdf

37

في المركز الرئيسي لمختبرات فنتياز، استقبل المدير إرلندور وسيغوردور أوْلي في مكتبه الكبير صباح اليوم التالي. أخبَره الشرطيان عن سبب زيارتهما، وشرح لهما الرجل أن سايڤار ليس في آيسلندا الآن، وأنه يجهل مكانه، عِلماً أنه ليس على اتصال بالمالك الذي لا يهتمّ أصلاً بإدارة الشركة، وأنه عند الحاجة يلجأ إلى يده اليمنى إيريك فاكسن.

– وفقاً لمعلوماتنا، وَصَل سايڤار إلى آيسلندا منذ حوالي عشرة أيام، رَدَّ إرلندور. ألم تعرف ذلك؟

– لا، اعتقَدتُ أنه في ألمانيا، لكن إيريك يُلغني متى يأتي إلى هنا.

– كيف تتصل بإيريك ذاك؟

– مكتبه في شارع لكجارغاتا، ردَّ المدير بلا مبالاة.

– مَن أُخبره أنكما؟ سألت السكرتيرة الأنيقة ذات الخمس وعشرين سنة أو أقل وهي ترفع نظرها عن شاشتها في مكتبها الكبير الساطع في لكجارغاتا.

– نحن من الجنائية، ردَّ سيغوردور أوْلي، ونودّ رؤية إيريك فاكسن.

قيَّمتهما السكرتيرة بنظرة فضولية، ثم دخَلت الغرفة المجاورة لتنقل طلبهما، ثم عادت يرافقها شخص تخطى الخمسين من عمره دعاهما ليتبعاه بابتسامة لطيفة. شعره رمادي، ويرتدي بذلة أنيقة، ويضع سواراً ذهبياً ونظّارات رائجة على الموضة، ومن الواضح أنه يشذِّب لحيته الأنيقة بشكل دوري.

يمكن رؤية مبنى الحكومة من مكتبه الذي يطلّ على الشارع، والذي يتضمن أرائك وكراسي جلدية فاخرة إلى جانب لوحات مشهورة تقريباً لرسامين آيسلنديين من مطلع القرن، وخزانة عرض كبيرة عند الجدار تحتوي على عدد من التماثيل

الخزفية الصغيرة والحُليّ. يا له من مكتب مذهل، فكّر سيغوردور أوْلي في سرّه. يا له من مكتب بشع، فكّر إرلندور في سرّه.

– أظن أنك تعرف سبب زيارتنا، قال إرلندور حالما جلسوا.

– لا، ما الأمر؟ رَدَّ إيريك بهدوء تام.

– نحتاج إلى استجواب سايڤار كروتز. من غير المستحيل أن يكون متورّطاً في جريمة قتل أستاذ في ريكيافيك. صحيح أن لدينا أدلة قليلة جداً، لكن لا يمكننا إهمال أي خيط، ودعنا نقول فقط إن إسمه ظَهَر خلال الاستجوابات. هذا مجرد تحقيق روتيني، لكن علينا أن نكون دقيقين وألا نسمح لرؤسائنا أن يلومونا على أي إهمال. حاوَلنا الاتصال به في منزله في خليج كالارنْيَس، لكن يبدو أن المنزل مهجور.

– يبدو لي سخيفاً جداً أن يرِد إسم سايڤار في تحقيق بجريمة قتل وقعت في ريكيافيك، رَدَّ إيريك. ويبدو أكثر سخافةً بما أنه بالكاد يأتي إلى هنا. أنا أحد مساعديه المقرَّبين منذ حوالي ثلاثين سنة، ووكيله في آيسلندا، ولا أعلم دائماً مواعيد قدومه ورحيله. سأتحقّق إن كان هنا وإن كان مستعداً للقائكما.

– الأمر عاجل جداً، قال إرلندور، لكن يمكننا الانتظار حتى وقت مُبكر من بعد الظهر. وإذا لم يكن هنا، أخشى أننا سنضطر إلى ركوب الطائرة لرؤيته في ألمانيا وطلب المساعدة من الشرطة المحلية. من المهم جداً أن نستجوبه.

– سأرى ماذا يمكنني أن أفعل، وعَدهما إيريك ونهض. سأُبلغكما حالما أعرف أي شيء.

غادرا مكتب فاكسن، وفي طريقهما إلى السيارة، طلب إرلندور من سيغوردور أوْلي أن يذهب إلى سجل المساحة البلدي ويستحصل على نسخة عن خرائط منزل سايڤار، ثم استغَلّ غياب زميله ليتصل بنقابة مقاولي البناء التي أكّدت له أن أي حِرفي أو مهندس معماري أو بنّاء آيسلندي لم يشارك في تشييد ذلك المنزل.

رنَّ الهاتف في جيب معطفه. إنه أينار الذي يريد إبلاغه أن الشرطة تلقت مغلفاً يتضمن ثلاث كاسيتات تحتوي على محادثات بين هالدور ودانيال، وهو الرجل الذي انتحر في المستشفى وأخ پالمي، وأنهم ينتظرون عودته وسيغوردور أوْلي ليستمعوا إليها.

38

في الصباح التالي للأمسية التي كشف فيها كِيدي الغراب هويته الحقيقية لپالمي، حاوَل الاثنان بلا كلل الحصول من المعتدي على إسمه وإسم مموِّله، لكن الرجل أصرَّ على التزام صمت القبور. لا تزال آثار يديه القويتين ظاهرة على عنق پالمي، وقد أفقده كِيدي وعيه عن غير قصد عبر دفعه نحو جدار غرفة النوم، ثم حمله إلى سيارته وأخذه إلى منزله في بولفار ميكلابرو بعدما لم يجد أي حل آخر.

الرجل مقيَّد بكرسي في غرفة تخزين صغيرة خانقة في القبو لدى كِيدي هو الوحيد الذي يملك مفتاح بابها، وهناك لمبة عارية معلَّقة فوق رأسه، ولم يعرف أين هو. لم يره كِيدي الغراب أبداً من قبل، لكن پالمي تعرَّف عليه فقد رآه خارج مبناه السكني. راح ينظر إليهما وهو يكزّ على أسنانه، ثم صاح:

– ليس لديكما الحق بإبقائي هنا أيها الوغدان!

– حقاً؟ هل لديك اجتماع؟ مؤتمر؟ هل ينتظرونك في مكان ما؟ لتناول العشاء مثلاً؟

بقي الرجل صامتاً وراح يحملق بكِيدي.

– ربما يجب أن نرسله إلى إرلندور مع رسالة صغيرة؟ اقترَح پالمي، وأجابه كِيدي الغراب بإيماءة من رأسه.

– ربما سيتمكن من انتزاع المعلومات منه. بناءً على ذلك، حالما نسلّمه إلى الشرطة، سيقرِّرون ما هي الخطوة التالية في مسار هذه القضية، حيث سيُحاكَم وربما يُحكَم عليه بالسجن. في تلك الحالة، يملك رجال الشرطة عدة اتهامات لتوجيهها إليه، وعندها سيجد نفسه في ورطة كبيرة.

– تقصد أنه يمكنه أن يجنِّب نفسه كل ذلك الإزعاج إن أجاب على أسئلتنا؟ سأل پالمي وهو يمسِّد عنقه بيده. لا أعرف هذا الرجل ولا أريد أن أمتِّن علاقتي

به، كما لا يمكننا استبعاد احتمال أن ترغب هيلينا برؤيته يتعفَّن خلف القضبان.

– لذا إذا أخبرنا ما نريد معرفته، يمكنه أن يرحل من هنا وسننسى كل شيء، قال كِيدي الغراب.

راح الرجل ينقِّل نظره بينهما، ثم فتَح فمه وقد رأى طريقةً للخروج من هذا المأزق.

– ستطلقان سراحي إن أخبرتكما كل شيء؟ لكنني لا أعرف الكثير.

– الأرجح أنك تعرف الكثير، أكَّد له كِيدي الغراب.

تركه پالمي يستجوبه.

– هل تعرف سايڤار كروتز وإيريك فاكسن؟

– أنفّذ مأموريات خاصة، وهي تتمحور في معظم الأوقات حول تحصيل المال فقط. أُخيف قليلاً المسكين المديون فيُخرج المال فجأة. لا أعرف هذين الإسمين وليسا مَن عرض عليَّ هذه المهمة، بل شخص آخر طلب مني إحضار بعض الكاسيتات من عجوزة.

– العجوزة تدعى هيلينا، ردّ پالمي عابساً، وهي صديقة لي وكدتَ تقتلها.

– كنتَ التالي على اللائحة، لكن لم يتسنَّ لي الوقت لأدردش معك بشأن الكاسيتات فقد قاطعني صديقك.

– هل سايڤار كروتز مَن طلب منك فعل ذلك؟

– يتصل بي رجلٌ عند الحاجة إليَّ، ويُنهي المكالمة حالما يعطيني تعليماته. ثم أتلقى حوالة مالية في حسابي المصرفي، ولا أعرف من أين يأتي المال. على كل حال، هذا الأسلوب نافع.

– وأنت لا تتصل به؟

– لا.

– لكن كيف يُفترَض بك الاتصال به إذا عثرت على الكاسيتات؟

– عليَّ تركها في مكان محدَّد ووقت محدَّد ثم أرحل.

– حسناً، لدينا أشياء أخرى لنقلق بشأنها. مَن هو ذاك الرجل الثالث؟

لزم المعتدي الصمت.

– ذكِّرني برقم إرلندور يا پالمي.

39

ذهَب پالمي ليقضي بضع ساعات في المكتبة الوطنية بينما بقي كِيدي الغراب ليراقب الرجل الذي هاجمه. لم يرغبا إطلاق سراحه على الفور ليتجنّبا اتصاله بإيريك فاكسن، لذا سيضطر سجينهما أن يبقى مقيَّداً بكرسيه في غرفة التخزين لبعض الوقت الإضافي. كافَح في البدء محاولاً تحرير نفسه، لكن كِيدي كان قد رَبَطه بإحكام، ثم انقضّى على الباب خلال الليل وجرح رأسه. أما اليوم فقد أصبح أكثر هدوءاً بكثير وطلَب سيجارةً، فأخبَره كِيدي الغراب أن السجائر مضرّة وتسبّب السرطان وأنه يرفض تحميل ضميره هكذا إثم.

عند سماعه إسم سايڤار كروتز، تذكَّر پالمي أنه قرأ مقالات عنه في الصحف والمجلات، حيث أنه كان يُمضي وقتاً طويلاً في قراءة منشورات قديمة لأبحاثه، وفي تدوين كثير من الملاحظات عن كل أصناف المواضيع التي تهمّه مُخبراً نفسه أنه سيعود إليها لاحقاً، وقد علقت بعض التفاصيل في ذاكرته رغم عدم أهميتها أحياناً. وهذا ما هو عليه الحال مع إسم سايڤار كروتز.

لا يوجد أي مكان آخر يشعر فيه پالمي بالراحة أكثر من المكتبة، ويعتبر بيت الثقافة القديم الذي أصبح لاحقاً المكتبة الوطنية المكان الأعزّ على قلبه، حيث يمكنه تمضية أيامٍ عديدةٍ في تصفّح الكتب والصحف لمجرد إشباع حشريته ونَهَمه للمعرفة. كان الأصغر سناً بين الزبائن الدائمين، ويراقبهم أحياناً ويُخبِر نفسه أنه سيصبح مثلهم عندما يشيخ: شخص وحيد يرتدي ملابس رثّة وحذاءً بالياً يتفحَّص الكتب القديمة ويدوِّن الله أعلم ماذا في مفكرة صغيرة. وربما بدأ يبدو مثلهم منذ الآن. غمره شعور جيد وهو يجلس غارقاً في الصمت على تلك الكراسي الخشبية المنحوتة الكبيرة أمام المكاتب ذات الرفوف الخضراء. وعندما يكون مريضاً، يشعر كما لو أن المبنى يحميه بجدرانه السميكة القديمة التي تفوح

منها الرائحة القوية للعصور القديمة. وحالما يجتاز أبوابه يترك خلفه ضوضاء العالم وينأى بنفسه عنه عبر التخفي في عصرٍ مضى. لم يشعر أبداً في حياته أنه مهدَّد من الماضي... حتى الآن.

استمتع فوراً بالمبنى الجديد الذي بُني على أرض ميلافولور القاحلة ليضمّ أرشيف المكتبة الوطنية القديمة في شارع هڤيرفيسغاتا، ووجَد فيه نفس شعور الأمان السابق. عندما تكون الزحمة كبيرة، خاصة خلال امتحانات الشتاء والربيع، لا يذهَب إلى هناك كثيراً، لكن حالما تتناقص أعداد الحشود، يعود ويغرق في أبحاثه. بالمقارنة مع بيت الثقافة القديم، يُعتبر مبنى ميلافولور هائلاً، لكن تغمره نفس الأجواء.

بدأ بكتابة إسم سايڤار كروتز في قاعدة البيانات التي تتضمن كل مراجع مقتنيات المكتبة، لكن الحاسوب لم يعثر على أي نتيجة. ولم يجده أيضاً بين سِيَر الآيسلنديين المشهورين، لذا تفحَّص پالمي أرشيفات صور الصحف التي ظَهَرت كمصغَّرات على الشاشة. تذكَّر أنه قرأ مقابلة رائعة معه في مناسبة انتخابه رجل العام من قِبل مجتمع رجال الأعمال الآيسلنديين. حصل ذلك في خريف 1967، تماماً عندما بدأ يستخدم دانيال ورفاقه كحقول تجارب. وجَد المقال، المدعَّم بصورة كاملة له، والذي احتلّ صفحة كاملة في صحيفة مورغنبلاثيث. بدا سايڤار كروتز طويل القامة – لا شكّ أن طوله يفوق المترين، فكَّر پالمي في سرّه – وكان يرتدي بذلة وربطة عنق، ويُظهر شعره الممشَّط إلى الخلف جبيناً مرتفعاً بشكل غير متناسب، ولم يكن يبتسم.

بفتور الخبراء الاقتصاديين، أسهب الصحافي في الحديث عن تاريخ عائلته وتطوّر شركته، وتركَّزت أسئلته على الإدارة والأرباح. لذا تابع پالمي البحث ووجَد مقابلة ثانية في مجلة ڤيكان التي كان يبيعها ذات يوم بشكل جوّال على البيوت، لكن لا أحد كان يشتريها منه. تبيَّن له أن مقابلة ڤيكان ذات طابع غير شخصي أيضاً، وتتعلق فقط بمواضيع التجارة والاقتصاد. بالكاد بدأنا نكتشف خصائص الأدوية، قال سايڤار كروتز، وأنا متأكد أن البشرية ستجد العلاجات التي ستسمح بالقضاء على كل الأمراض. مجرد الثرثرة المعتادة في المقابلات، والبقية على الصفحة 31، لكن پالمي لم يملك الحشرية لقراءتها.

تصفَّح مصغّرات الصور دون أن يجد أي شيء مثير للاهتمام، ثم قبل أن يتوقف، قرَّر أخيراً الذهاب إلى الصفحة 31 في مجلة ڤيكان حيث توجد تكملة المقابلة القصيرة نوعاً ما، وحيث قال سايڤار كروتز إن الأبحاث العلمية تتقدَّم بأقصى سرعة، وإن المستقبل سيفتح لنا آفاقاً مذهلةً. سأله المراسِل الصحفي عن حصيلة الأبحاث في عِلم الأدوية، لكن سايڤار لم يبدُ مهتماً بذلك، بل تابَع قائلاً إن التقدّم الذي حقّقه العلماء منذ مطلع القرن حاسمٌ للأجيال القادمة. بالنسبة لي، بعضها أكثر أهمية من غيره، وإذا قيَّمنا إنجازات القرن العشرين، سيتّضح لنا أن أهم الاكتشافات هي تلك التي حقّقها جايمس واطسون وفرنسيس كريك، أنت تعرفهما، أليس كذلك؟ سأل الصحافي. لقد قلبَ ذانك الرجلان كل أفكارنا حول مستقبل البشرية. انتهت المقابلة بهذه الكلمات دون تقديم أي شرح إضافي. مفهوم غريب للصحافة! فكَّر پالمي في سرّه. هل يُفترَض أن يعرف الجميع واطسون وكريك؟

واطسون وكريك؟ كرَّر پالمي إسميهما في ذهنه، وشَعَر أنه سمِع بهما من قبل. أليسا العالِمين اللذين اكتشفا...؟ قفَز عن مقعده وأخذ المجلد الصحيح من الموسوعة البريطانية ليبحث عن كريك. لم يكن مخطئاً، ثم غرق في قراءة المقال، وجلبَ بعض الكتب عن البيولوجيا والطب التي قرأها بتلهّف.

40

أسماك الأنقليس في نهر الراين.

غالباً ما فكّر سايڤار كروتز بأسماك الأنقليس في نهر الراين.

تعود هذه القصة إلى بضع سنوات خلت، عندما عاد للتو إلى ألمانيا مع القادة الرئيسيين لائتلاف كروتز بعد زيارتهم آيسلندا حيث دعاهم إلى صيد سمك السلمون. ومثلما توقَّع فقد انبهر مساعدوه بالبلد وإرثه التاريخي، فالألمان عادة مهتمون كثيراً بآيسلندا وثقافتها وأدبها، وبالعرق الشمالي الذي يعتبرون أنه تمت المحافظة عليه هناك سليماً. أراهم أماكن منعزلة في غرب البلاد حيث يمكنهم إقامة المركز الرئيسي للائتلاف، لكنهم تخلّوا بعد ذلك عن فكرة البناء في آيسلندا، لبعض الوقت على الأقل.

بُعيد عودتهم إلى ألمانيا، أُثير لدى الرأي العام مصير أسماك الأنقليس في نهر الراين. والمرء يعتقد أن ذلك يحصل عند سفح هضبة لوريلاي، فكّر سايڤار في سرّه. لقد أصبح النهر ملوَّثاً جداً لدرجة أن أسماك الأنقليس كانت ترمي نفسها على الشاطئ بحثاً عن الأكسجين، فلم تعد قادرة على تحمّل المواد السامة والنفايات على مختلف أنواعها التي ترميها المَصانع، وبدأت كل أشكال الحياة تختفي تدريجياً من النهر العظيم الغارق في التاريخ.

غير *طبيعي*، فكّر سايڤار كروتز وهو يمسِّد رأس الفتى الصغير. كان شَغوفاً بالسلوك غير الطبيعي للحيوانات، وهذا من عواقب تدمير البشر للطبيعة، وقرأ باهتمام كبير مقالات عن السلاحف العملاقة لجزر غالاباغوس التي أتت لتبيض على الشاطئ، وبدلاً من أن تعود إلى المحيط، سارت نحو عمق اليابسة حيث وقعت فريسة الطيور. كما قرأ قصصاً عن ضباع هاجمت بعض القُرى الأفريقية، وقصصاً عن بجع هاجمت خِرافاً في الريف الآيسلندي. وكان يجمِّع كل المقالات

المماثلة.

جلس سايڤار كروتز في مكتبه، والإبن البِكر يقف بجانبه، والإبن الأصغر يلعب على الأرض. يشعر بالرضى لوجودهما في آيسلندا، ويأخذهما إلى هناك كلما استطاع ذلك. صحيح أن هذا يعرِّضهما لبعض الأخطار، خاصة البِكر، لكنه يتقبّلها، فآيسلندا مكانهما الطبيعي، وسوف يشرح لهما كل هذا يوماً ما، لكن الوقت لم يحن لذلك بعد، رغم أنهما سيعرفان كل شيء قريباً. هذا لا يخيفه، كما لا تخيفه ردّة فعلهما. وهو لا يخشى المستقبل، كما لا يخشى حُكم التاريخ عليه، ولا يطيق الانتظار ليروي لهما مآثره.

كان يكره تحويل أولئك الأولاد إلى مسوخ حيّة، ولا يروق له قدوم الكوريين، لكن المشروع مع الألمان هدفَ من البداية إلى عقد صفقات دولية، ولن يتخلّى عنه أبداً. بالإضافة إلى ذلك، أي سبب سيجعله يتخلّى عنه؟ فهو الناطق الرسمي الرئيسي لقسم الأبحاث والتطوير في الائتلاف، وأصبح له دور الآن ببيع الخدمات المصمَّمة حسب الطلب. سيستغرق الأمر بعض الوقت حتى يتفهَّم الناس مقدار مساهمتهم بالعِلم، لكن من المؤكَّد أنه سيتم الترحيب بالمشروع بصفته ثورة عظيمة في غضون سنوات قليلة.

لقد أجرى الترتيبات ليغادر البلاد مع الصغيرين، فقد أصبح تحقيق الشرطة يركِّز عليه الآن، وسيأتي ذانك الشرطيان إلى كالارنْيَس لرؤيته في أي وقت، لكنه سيكون قد اختفى من قبل، وربما لن يعود إلى آيسلندا مرة أخرى أبداً. عليه أن يتقبَّل الأمر، وهو بالكاد يعتبر نفسه آيسلندياً بعد الآن، هذا إن اعتبر نفسه كذلك سابقاً. صحيح أنه بلد جميل ذو تاريخ مثير للاهتمام، لكن الناس الذين يعيشون فيه لا يروقون له.

– لن يتفهّموا ذلك، قال لنفسه بصوتٍ عالٍ. إنهم فلاحون بسطاء يظنّون أنفسهم من عِلية القوم.

لم يندم على إجراء تلك التجارب على أولئك الأولاد، ولم يلُم نفسه أبداً على تدميره حياتهم، فقد عمِل من أجل الصالح العام وهذا يتطلّب بعض التضحيات. هكذا تتم الأمور دائماً.

أبوه لم يتفهَّم أبداً. ذلك الصيدلي من الدرجة الثالثة ورِث أعمالاً مزدهِرةً

وعلاقات مثيرة للإعجاب مع ائتلاف عائلة كروتز في ألمانيا، وكان يمكنه أن يصبح مؤسسة حقيقية في آيسلندا، لكنه أفسد كل شيء بإصغائه إلى إشاعات كاذبة. لقد كان صغيراً مثل هذا البلد، وذا تفكير ضيق، وقَطَع العلاقات مع عائلتهم في ألمانيا لأن بعض الكذّابين زعموا أن الشركات التي تملكها أجرت اختبارات على سجناء في المخيَّمات النازيّة. يا لها من فضيحة في الصحافة الألمانية. وقد منَع إبنه من التواصل مع أنسبائهم الألمان بينما عَهَد بإبنته وإبنه الآخر إلى نفس العائلة ورتَّب لهما الأمور ليتابعا دراساتهما في الشركات التي تملكها. تجادَل معه سايڤار بحدّة حول ذلك، وأخبره أنه لن يقطع تلك الروابط أبداً مهما حصل، بل على العكس تماماً، سيكافح لتعزيزها، وقد بذلت رانفيغ كل شيء لتحلّ خلافاتهما. رانفيغ الفاتنة. كان ليحبّ كثيراً أن يكون بجانبها يوم وفاتها، وتمنّى لو استطاع حضور جنازتها. لم يزُر قبرها أبداً. لم تتفهّمه أيضاً. حاوَل أن يشرح لها ما الذي يفعله، ولماذا يعتقد أنه مشروع جيد، وأنه التكملة المنطقية للاكتشافات العلمية الكبيرة التي جرت منذ مطلع القرن. لم تتردَّد مختبرات كروتز في المضي قدماً، وكانت تدخل المستقبل بقوة. هو نفسه كان يجهد لبناء ذلك المستقبل.

هذه هي التأمُّلات غير المترابطة التي انغمَس فيها سايڤار كروتز حول طبيعة حياته، وهو نادراً ما فكَّر بحياته الخاصة وعائلته، فكل ذلك لا يهمّه، بل ما يهمّه هو التقدّم العلمي. جالساً بجانب الفتى الصغير، راح يقلِّب الأمور في ذهنه، وتوصَّل كالعادة إلى نفس الاستنتاج الراسخ. لديه دور رئيسي ليلعبه. دور تاريخي. الطبيعة بنفسها تعمل هنا، والسماوات شاهِدته ومرشدته. تذكَّر كلمات أخته عندما أخبَرته أنه *غير طبيعي*. قالت ذلك بالألمانية.

غير طبيعي.

عانَق الفتى الصغير. يحبّ هذا الولد أكثر من أي شيء آخر.

دُو بيست نيخت أبنورمل [أنت لستَ غير طبيعي]، قال لنفسه بلغة أسلافه.

41

بينما كان إيريك فاكسن يتكلّم على الهاتف، سمع ضجةً في مكتب الاستقبال، ثم صرخت سكرتيرته بعد لحظة، وفُتح باب مكتبه بقوة، ودخل كِيدي الغراب بخطوات كبيرة، وبالمي خلفه عن كثب.

– ما معنى هذا؟ زمجَر والسمّاعة في يده. مَن أنت؟ ما هذا الهُراء؟ ثم غيَّر نبرته فجأة وأبلَغ محدِّثه على الهاتف بتهذيب أنه سيضطر أن يعاود الاتصال به بعد لحظات.

– الصَرح الذي شيَّدته مع سايڤار كروتز بدأ يترنّح، قال كِيدي الغراب بسرور وهو يحدِّق بالمكتب الرائع.

– ماذا تقصد؟

– كل شيء ينهار من حولكما أنت وسايڤار كروتز.

– لقد هاجَمني هذين الرجلين! قالت السكرتيرة مذعورةً.

– عودي إلى مكتبك، رَدَّ عليها إيريك وهو يلوِّح لها بيده. ولا تنسي أن تُغلقي الباب.

– نعم، ويمكنكِ الاتصال بالشرطة أيضاً، هذا سيكون أفضل حتى، أضاف كِيدي الغراب.

– اخرجي! أمَرَ إيريك فاكسن سكرتيرته التي أغلقت الباب خلفها بلطف. ما هذه القصص مع سايڤار كروتز؟

– ستأخذنا لرؤيته، ردَّ كِيدي الغراب.

– ما هذا الذكاء! ماذا يريد شخصان مثلكما من رجل مثل سايڤار؟ وما دخلي بالموضوع؟

– آه، أنت مجرد بريء صغير من السماوات، ردّ كِيدي بحدّة وهو يقترب منه.

نعرف أنك التابع الأمين لسايڤار وأقربه مساعديه، ونعرف أن سايڤار أجبَر ذلك الأستاذ من مدرسة ڤيديغردي أن يوزِّع تلك الحبوب على كل طلاب صفه منذ حوالي ثلاثين سنة لأنه أراد اختبار تأثيرات بعض الهُراء الذي لا أدري ما هو على أولئك الأولاد. أنت على الأرجح مَن أجبر ذلك الأستاذ على التعاون معكم، وأنت على الأرجح الوغد الذي ذكرَه، حتى ولو كنت لا تبدو قذراً الآن وأنت ترتجف خوفاً مثل ورقة. نعرف أيضاً أن كل الطلاب الذين استخدمتموهم كحقول تجارب لاختبارات سايڤار كروتز لم يموتوا. أنا حيّ وكنتُ في ذلك الصف. كريستيان إينارسون. هل يذكّرك هذا بشيء؟

كان كِيدي الغراب قريباً جداً من إيريك فاكسن، فنكزَه في أضلاعه عن طريق الخطأ، ووَقَع إيريك على رُكبتَيه مختنقاً، واحتاج إلى وقت طويل ليستردّ أنفاسه.

– وجَدنا الكاسيتات التي بحثتم عنها كثيراً، تابَع كِيدي يقول بهدوء تام. وكان لدينا متّسع من الوقت لنستمع إلى هالدور يروي هذه القصة، ولدى الشرطة إفادة رجلٍ تؤكّد ما ورد في تلك الكاسيتات. وها أنا أعاود الظهور في ضوء النهار، ودعني أُخبِرك أنني سأكون شاهداً جيداً. العالم ينهار من حولكما أنت وعزيزك سايڤار كروتز.

– هل استمعتَ إلى تلك الكاسيتات؟ سأل إيريك فاكسن بعد أن استردّ أنفاسه.

– هل أنت أصم؟ ردّ كِيدي الغراب بحدّة.

– و؟

– يروي هالدور بعض الأشياء المذهلة. يقول إنك جَعَلته يوزِّع بعض كبسولات زيت كبد القد الخاصة جداً عليَّ وعلى أصدقائي، وأنه وافَق على فعل ذلك لكي لا تُخبِرا الجميع أنه منحرِف يحبّ الفتيان الصغار.

– هل تكلّم عن سايڤار كروتز؟

– بكل وضوح حسبما بدا لي، ردَّ كِيدي الغراب.

– والشرطة تملك تلك الكاسيتات؟

– نعم.

– ماذا تريد مني؟ وأنتَ، مَن أنت؟ سأل پالمي.

– كان أخي في ذلك الصف.

– وأنت كريستيان. هل تريد إنهاء العمل الذي بدأتَه منذ عشر سنوات؟ ألم نخيفك بما يكفي آخر مرة؟

عاد إيريك إلى رشده، وخشي أنه ليس بإمكانه فعل الكثير ليُنقذ سايڤار من الاستجواب بما أن الشرطة تملك إفادة هالدور. طبعاً يستطيع سايڤار ترتيب الأمور ليُبعد الشرطة عنه مؤقتاً ويغادر البلاد في أسرع وقت ممكن، لكن الأمر ليس مماثلاً مع هذين الشخصين العائدين من الماضي للانتقام. يريد هذان الرجلان رؤيتهما يُدانان، لذا حاوَل إيريك شراء بعض الوقت على أمل أن يتمكّن من تحذير سايڤار بطريقة ما. ولزيادة الطين بلّة، الكوريون قادمون إلى آيسلندا وعليهم مقابلة سايڤار عند المساء. لكن ماذا سيفعل؟ فضَّل عدم إبداء أي مقاوَمة لأنه شَعَر بعدم القدرة على السيطرة على هذين الرجلين. في الحالتين، كان يتوقَّع أن ينكشف كل هذا في نهاية المطاف، فلا أحد يستطيع كتم هكذا سر لوقت طويل، خاصة في آيسلندا. لكن ماذا يعرف هذان الرجلان؟ وماذا يمكنه مواصلة الإخفاء عنهما؟ بدا له أن غضبهما نابع عن توزيع الكبسولات فقط، وهذا ليس أخطر ما في الأمر.

– بقي هالدور يهدِّدنا لسنوات بإفشاء سر تلك التجارب، قال ليكسب بعض الوقت. لم نصدِّقه أبداً فقد كان يخشى إغضابنا بسبب ماضيه. كلنا آثمون.

تبادَل كِيدي الغراب ويالمي نظرةً.

– ماذا تريدان؟ العنف غير ضروري، قال متضرِّعاً وهو ينهض ويضع يده على صدره.

– ستأخذنا إلى سايڤار كروتز.

– ليس في آيسلندا، لذا فإن هذا مستحيل.

اقترب كِيدي الغراب منه مرة أخرى، فتراجَع إيريك إلى الوراء واصطدم بالصندوق الزجاجي الجميل المليء بحُليّ خزفية وتصدَّع الزجاج مُحدثاً صريراً حادّاً.

– لا تحاول أن تكذب علينا، رَدَّ كِيدي. إنني أراقب منزله منذ أسبوعين، ورأيتُك تدخل وتخرج عبر البوابة في سيارتك الأميركية الكبيرة، كما رأيتُه يستقبلك

ليلة أمس، ثم يرافقك حتى سيارتك عند مغادرتك. ما نريده بسيط جداً. اطلب منه موعداً لأمر طارئ، وما عليك سوى إخباره أن كل شيء خرج عن السيطرة. ستأخذنا إلى منزله في سيارتك، ونحن سنهتمّ بالباقي.

– الآن؟

– الآن.

42

حطَّت طائرة الكوريين الخاصة في مطار ريكيافيك حوالي الرابعة بعد الظهر وعلى متنها أربعة رجال أعمال مسجَّلين بأسمائهم الحقيقية باستثناء واحد يسافر بهوية مزوَّرة رغم أن جواز سفره ليس مزوَّراً، فقد أصدرته له سلطات بلده بإسم مختلف في الواقع. هذا أمر شائع جداً بين الملياردیرات الكوريين الذين لا يريدون لفت الانتباه إلى أنفسهم في أسفارهم، فيطلبون من إداراتهم العامة تزويدهم بوثائق مزوَّرة. كان ذلك التسعيني رجلاً قوياً، رغم أنه مُتعَب بعد رحلته الطويلة من كوريا، حيث سلكوا اتجاه القطب الشمالي قبل أن يتوجَّهوا غرباً ويحلّقوا فوق الاتحاد السوفياتي السابق ثم المحيط الأطلسي.

رغم أن المحطة الدولية موجودة في كيفلافيك، إلا أن رحلات قليلة من وراء البحار تحطّ بشكل دوري في مطار ريكيافيك الصغير المخصَّص عادة للخطوط الداخلية. ولم يُدرك مسؤولو الجمارك أن أحد الركاب الأربعة الذين سمحوا لهم بدخول الأراضي الآيسلندية دون إبداء أدنى تعليق هو في الواقع أحد المساهمين الرئيسيين في الشركة الصناعية الكورية الكبيرة سوميتاغ التي تصنّع جميع أنواع المنتجات من معالجات الحواسيب إلى الحافلات. إنه أغنى رجل في دولته، ويظهر إسمه في لائحة أغنى خمسين شخص في العالم، رغم أن قلّة قليلة من الأشخاص يعرفون ذلك، وهو إنسان كتوم جداً على غرار سايڤار كروتز، ونادراً ما يظهر في العلن. هذه أول زيارة له إلى آيسلندا، وما كان ليوافق أبداً على القيام بهذه الرحلة الطويلة لو أن سايڤار كروتز والألمان لا يملكون شيئاً مثيراً للاهتمام لعرضه عليه وبيعه له.

كانت الطائرة قد قامت باستراحة قصيرة في أمستردام، حيث تقضي خطة رحلتها أن تعاود التحليق عند المساء. وكرمى للسرية، كلَّف رجال الأعمال أهم

مندوب لشركتهم في آيسلندا أن يجهِّز مركبة تنتظرهم في المطار لتأخذهم إلى خليج كالارنْيَس، ولا شكّ أنه وعدهم بعدم إخبار أي شخص، لأن المجموعة أتت مع سائقها الخاص. بردَ الطقس مرة أخرى عند الصباح، والثلج يتساقط بغزارة الآن، لكن المركبة مجهَّزة بالمعدّات الضرورية لمواجهة قسوة الشتاء الآيسلندي، والسائق معتاد على مختلف الأحوال الجوية، والرحلة قصيرة. وَصَلوا إلى بولفار ميكلابرو بأمان، واجتازوا ريكيافيك في اتجاه كالارنْيَس.

فُتحت البوابة الكهربائية لفيلا سايڤار كروتز ببطء، وركنت المركبة بصمت في مرأب السيارات، وخرَج المضيف ليستقبل ضيوفه. أطفأ السائق المحرِّك، وذهَب ليفتح الباب الخلفي مُلقياً تحية خفيفة عند خروج العجوز من السيارة.

حيّاه سايڤار كروتز بمصافحةٍ وانحناءة احترامٍ، وانحنى له العجوز الكوري أيضاً، ثم اختفت المجموعة داخل القصر المُقلِق.

43

بعد ثلاثين دقيقة، اجتازت سيارة إيريك فاكسن البوابة أيضاً. لا يُفترَض به أن يحضر الاجتماع مع الكوريين الذي حضَّره فقط، لكنه نجح في تدبير لقاء لنصف ساعة في ذلك اليوم الرمادي من يناير، بعد أن أخبَر سايڤار عبر الهاتف أنه من الضروري جداً أن يلتقيا لمسألة تتعلق بمحادثتهما الأخيرة. تعرَّف الحارس على إيريك فاكسن فوراً، لكنه سأل عن الرجلين اللذين يرافقانه. مرتديين البذلتين الفاخرتين اللتين أعطاهما إياها إيريك، وَقَفا خلفه دون أن يقولا أي شيء بينما شرَح لحارس الأمن أن مشاركتهم في الاجتماع تقرَّرت في اللحظة الأخيرة. لطالما كان إيريك على تواصل جيد مع الرجال الذي يتناوبون على حراسة المنزل، لذا فتح له الحارس الحاجز دون أن يطرح أي أسئلة إضافية. كان سايڤار كروتز قد قرَّر أكثر من مرة أن يعزِّز الأمن حول الفيلا، بما في ذلك تسليح حرّاسه، لكنه بقي يغيِّر رأيه دائماً خوفاً من لفت الأنظار إليه جرّاء الإفراط في الأمر، فالأسلحة النارية مسألة مجهولة تقريباً في آيسلندا، والتحفّظ أفضل طريقة ليحمي سرية نشاطاته.

فكَّر إيريك للحظةٍ أن يكشف أمر خاطفيه للحارس ويجعله يحذِّر سايڤار كروتز من عبور دخيلين محيط منزله، لكنه عدل عن قراره بسرعة لأن هذين الرجلين لن يجدا أي صعوبة في السيطرة على الحارس. كما أنهما لم يرفعا نظرهما عنه منذ أن اقتحما مكتبه، واستمَعا إلى محادثته الهاتفية مع سايڤار، لذا لم تسنح له أي فرصة على الإطلاق ليُخبر كروتز أن ماضيه يطارده، أو أن رجال الشرطة على الأرجح ينتظرون فقط أمر تفتيش ليأتوا ويبحثوا في منزله عن أدلة بأنه كان يصنِّع أدوية يحظرها القانون. كان كل همّه أن ينقذ نفسه، وسيكون على سايڤار كروتز أن يواجه هذين الرجلين، بينما يهرب إيريك فاكسن. الأمر بهذه السهولة.

دخلوا الفيلا المَهيبة. ربما راقبها كِيدي الغراب من بعيد لبعض الوقت، لكن بعد دخوله إليها الآن، بدت له أكبر من أي شيء تخيَّله. دخلوا القاعة الضخمة قبل أن يكتشفوا الصالة الرسمية الرائعة التي يجلس موقد كبير في نهايتها، وانحبست أنفاس پالمي من اللوحات التي تزيِّن الجدران، وكلها بريشة رسامين كلاسيكيين ومُعاصِرين. حتى إنه ظنَّ أنه تعرَّف على لوحةٍ لسيزان. هل هذا ممكن؟ هكذا يبدو. رأى أيضاً سجاداً عجمياً مذهلاً وجلود حيوانات تزيِّن الأرض، وهناك أثاث قديم وكل أصناف الأعمال الفنية موزَّعة هنا وهناك في الغرفة الضخمة التي من الواضح أن مصمِّمين داخليين صمَّموها. لم ير أبداً هكذا غنى فاحش من قبل، ولم يتخيَّل أبداً أن هذا القدر من الغنى يمكن أن يكون موجوداً، فنسي للحظةٍ سبب وجوده في هذا القصر، ونسي أمر دانيال وأمه وزملاء صف أخيه وهالدور وكل الباقين، وراح يسير ببطء في الغرفة وعلامات الانبهار من هذه الروعة بادية على وجهه.

– مَن هذين الرجلين يا إيريك؟

جفل پالمي عندما سمِع صدى السؤال يتردَّد بين الجدران، وقد وَصَلوا إلى الموقد الضخم ذي التصميم المبهرَج الذي تتراقص فيه ألسنة لهب كافية تقريباً لتدفئة الغرفة بأكملها. خرَج رجل ذو مكانة مَهيبة في السبعينات من عمره من غرفة مجاورة وانضم إليهم، وبدا نحيلاً وذا شعر كثيف جميل، وأنف رفيع، وعينين صغيرتين، وشفتين رفيعتين لدرجة أنهما مجرد خط على وجهه. كانت أصابعه الطويلة تحمل سيجارةً، ويرتدي بذلة مزدوجة الصدر رائعة ووشاحاً حريرياً أزرق داكناً.

– طالَما برؤيتك ولم أستطع منعهما. كنا مقتنعين أن الأول متوفى. يدعى كريستيان إينارسون وكان طالباً في ذلك الصف الشهير منذ وقت طويل. الآخر هو پالمي، أخ طالبٍ في ذلك الصف يدعى دانيال، وهو الرجل الذي رمى نفسه من النافذة في المستشفى. أجبَراني على إحضارهما إلى هنا، ولم أجد أي وسيلة على الإطلاق لإخبارك.

بقي الرجل ذو الوشاح الأزرق الداكن هادئاً.

– رجال الشرطة في أعقابنا، ويملكون الكاسيتات التي تكلَّم عنها هالدور. يمكننا أن نتوقع زيارتهم هذا المساء أو صباح الغد، تابَع إيريك فاكسن.

بقي سايڤار كروتز هادئاً لا يُبدي أي تأثّر، وصمتَ أمامه الرجال الثلاثة. لم يبدُ أن انكشاف هذا السر القديم أقلقه أبداً، بل سار إلى كِيدي الغراب، ورمى سيجارته في الموقد، وأخذ واحدة أخرى من علبة ذهبية.

– إذاً كنتَ طالباً في ذلك الصف، قال. أنت أحد أبناء الغبار أولئك. أنت الذي بقي في المستشفى، ولم تتلقَ نفس الجرعات كالآخرين. لم نتمكن من التعويض عن التأخير الذي نتج عن دخولك المستشفى رغم أوامرنا لهالدور.

– المسألة أبسط من ذلك، ردَّ كِيدي الغراب وهو ينظر إلى عينَي سايڤار كروتز مباشرة. هناك تفصيل واحد لم تفكّروا به وهو أنني لم أستطيب تلك الكبسولات أبداً، بل لطالما وجدتُها قذرة.

– على الإطلاق. كانت أطايب حقيقية.

– ربما طبقتها الخارجية، لكن ما في داخلها كان مُقرفاً.

– هل لديك عين زجاجية؟

– جرح حرب قديم، ذكرى من حي طفولتي.

– لا أطيق صبراً حتى أرى ردّة فعلك، وردّة فعلك أنت أيضاً يا پالمي. اتبعاني وسأفعل ما بوسعي لأُجيب على أسئلتكما. أنتما تكرهانني طبعاً، لكن ربما لديَّ القدرة لأمحو بعض الأضرار التي سبَّبتُها. حاولا أن تكونا منفتحَي العقل عندما تشاهدان ما سأريكما إياه.

تبادَل پالمي وكِيدي الغراب نظرة ارتياب، ثم تبِعا سايڤار كروتز إلى غرفة أخرى دون أن يفهما أي كلمة مما قاله لهما للتو. تركهم إيريك فاكسن يرحلون، واجتاز القاعة الكبرى، ومرَّ بحارس الأمن دون أن يقول شيئاً، وركب سيارته وخرج عبر البوابة. لقد فرَّ الوغد.

مكتبة
t.me/t_pdf

– لا أرى أي سبب لإنكار ذلك. نعم كنا نختبر دواءً جديداً، تابَع سايڤار كروتز يقول وهو يقود كِيدي الغراب وبالمي إلى مكتبه. لا يزال لديه نصف ساعة قبل أن يجتمع بالكوريين، ولا يملك كِيدي وبالمي أي خطة محدَّدة، فقد تمكّنا من تدبير هذا اللقاء بسهولة مُربِكة. جالساً معهما بتعالٍ في مكتبه، لم يُظهِر كروتز أي ندم على ما فعله بأصدقاء كِيدي، بل بدا فخوراً بنفسه مدفوعاً برغبة عارمة ليسرد مآثره دون أي ملل. لا شك أن ذهنه يركِّز على وجهة نظر أخرى، وبدا كما لو أنه ينتظِر حدثاً سيبرهن لضيفيه مدى ذكائه وموهبته. شَعَر بالمي أنه لطالما أراد مشاركة اكتشافه الرائع مع الآخرين، لكنه بقي ينتظر هذه الفرصة المرتجَلة. كان يكلّمهما كما لو أنهما صديقان عزيزان، وليس بصفته رجلاً دمَّر حياة عدة أشخاص. بقي كِيدي الغراب وبالمي ينتظران شرحاً، فقد أرادا فضح جريمته، وكل شيء آخر لا يهمّ.

– سمَّيتُ ذلك المشروع "الأضواء الشمالية"، تابَع سايڤار يقول، تيمّناً بعنوان قصيدة للشاعر العظيم أينار بينيدكتسون. *"هل يعرف إبن الغبار رؤيا خيالية أكثر من القاعة الاحتفالية السماوية عندما تتألق بألف لهب؟"*. من الواضح أن كل هذا بدأ بجهل معيّن، فالجهل يلعب دوراً رئيسياً في أي مسعى علمي. وفي تلك الفترة، خلافاً لهذه الأيام، لم يكن أحد يعرف تأثيرات تلك المواد بالضبط. أظن أنكما سمعتما بالأمفيتامينات. لقد تم تركيبها منذ أكثر من قرن، وقد جُرِّبَت خلال الحروب على شكل عدة أدوية: يشكِّل الجنود أفضل حقول تجارب ولطالما فهِم العلماء ذلك، لذا تم استخدامها خلال الحرب الأهلية الإسبانية والحرب العالمية الثانية لإبقاء الجنود مستيقظين وقادرين على القتال لعدة أيام متتالية عند اللزوم. لا أريد أن أضجركما بتفاصيل كثيرة، لكن هذا المنتَج يعمل على الجهاز

العصبي المركزي عبر تخلّصه من الشعور بالتعب والحاجة إلى النوم، ثم استُخدم لاحقاً كمنشِّط عادي. تكلّمت فرقة الرولينغ ستونز عن "المساعِد الصغير للأم"، لكننا بتنا نعرف أكثر بكثير هذه الأيام. مثلاً، بيعت الأمفيتامينات كمخدرات غير قانونية تحت الإسم سبيد، صح؟ لكن بيعها الآن يتم تحت رقابة صارمة. عندما بدأتُ هذه التجربة، لم يكن أحد يعرف خصائصها بالضبط.

– كنتُ متأكداً تماماً أن هذا ما أعطيتنا إياه، قاطعه كِيدي الغراب، أقوى مخدر في السوق. ولستُ متفاجئاً أننا واجهنا كارثة في حياتنا.

– لكن لا تحاول أن تخدع نفسك. كنتم ستواجهون كارثةً على أي حال، ردّ سايفار كروتز بحدّة كما لو أنه لطالما توقّع أن يتعرّض للمساءلة على أفعاله.

– لماذا اخترتَ ذلك الصف والمدرسة والأستاذ؟ سأل بالمي مستفسراً. هل هي مجرد صُدفة أم شيء آخر؟

– كنا بحاجة إلى شرطَين: العثور على صف حمقى وأستاذ يمكننا إقناعه بالعمل معنا. لذا استعرضنا كل المدارس في ريكيافيك، ودرسنا صفوف الطلاب ونتائجهم وسلوكهم وأساتذتهم بحثاً عن مجموعة طلاب ذوي نتائج وسلوك كارثيين. واحتجنا إلى أستاذ يمكننا التلاعب به دون خوف من أن يكشف الأمر بأكمله، وعثرنا أخيراً على هالدور حيث مكّنتنا مكالمة هاتفية مع ناظر مدرسته السابق من اكتشاف سوء سلوكه الذي أدّى إلى طرده من هڤولسڤولور. احتجتُ فقط إلى الاتصال بذلك الرجل الذي سرَّه أن يخبرني كل شيء بالتفصيل، والأرجح أنه ظنّ أنني موظف في الوزارة، وشعرتُ أن ضميره يؤنّبه لما حصل وأنه ارتاح عندما روى تلك القصة. نظَرَنا إلى صف هالدور ووجدنا أنه يطابق ما كنا نبحث عنه بالضبط، فذهب إيريك فاكسن، الذي التقيتما به للتو، لزيارته ولم يقاومه ذلك الحقير هالدور أبداً. بقينا طوال سنة كاملة نعطي طلاب ذلك الصف كبسولات زيت كبد قد مختلفة قليلاً هي عبارة عن منشِّط حسَّن أداءهم الأكاديمي بشكل كبير. كانت تحتوي على أمفيتامينات بشكل رئيسي، لكنها احتوت أيضاً على مواد أخرى هدفت إلى تحسين تأثيراتها. لم تكن الفتيات تنفعنا أبداً بسبب التغيّرات الهرمونية التي تحدث لهن في ذلك العمر والتي يمكنها أن تشوّه التجربة.

– لذا حوَّلتم أصدقائي إلى مدمنين على المخدرات، علَّق كِيدي.

– هذا أمر مشكوك فيه، فالأمفيتامينات كانت تُستخدَم من قبل، ولا تزال تُستخدَم في علاج التغفيق [نوبات نوم عميق قصيرة] والاضطرابات السلوكية أيضاً. أردنا أن نقيس بشكل دقيق أكثر تأثيرات تلك المنتجات على الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال، لذا فإن تلك التجربة بريئة في الواقع، وكنا نحاول في ذلك الوقت تطوير علاج للأولاد الذين يعانون من اضطرابات حادة في المزاج، ونجحنا في إنتاج دواء للاستخدام النفسي أصبح أحد منتجاتنا الرئيسية هذه الأيام ويمكن شراؤه بوصفة طبية من أي صيدلية في كل أنحاء العالم، لكننا فشلنا لسوء الحظ ولم يُبصر علاج الأولاد النور أبداً، تنهَّد كروتز وهزّ كتفَيه كما لو أنه عانى من ذلك الفشل أكثر مما عانى من لعبه دور مشعوذ مع أولئك الأولاد الذين دفعوا الثمن بحياتهم. صدِّقا أو لا تصدِّقا، لكن ما فعلناه كان لخير البشرية. لقد لقَّبتكم "أبناء الغبار"، وكان يُفترَض بذلك الغبار، أو لنقل ذلك المسحوق، أن ينقذكم بجعلكم رجالاً أفضل. أردنا مساعدتكم وليس تدميركم، لكن كل تقدّم علمي يتطلَّب بعض التضحيات.

– تضحيات! صاح كِيدي الغراب. ما فعلتَه مُخزي وغير قانوني ومميت! ما كنتَ لتحصل أبداً على التراخيص الضرورية لإجراء هكذا تجربة!

– لم نتجاوز ما يُعتبر معقولاً أو مسموحاً، رَدَّ سايڤار كروتز وهزّ كتفَيه.

– أصبح أصدقائي مدمنين على تلك الكبسولات، زأر كِيدي من الغضب، وذهَبوا لسرقة المرطبانات التي يحتفظ بها هالدور في منزله. آغي مات من نوبة قلبية بعد بضعة أيام، مثل غيسلي تماماً، وداني غرِق في الجنون شيئاً فشيئاً، وأصبح الباقون مدمنين على المخدرات أو الشراب. حياتهم تدمَّرت، وقد سرَقتها منهم. لقد فعلتَ ذلك بفتيان صغار أيها الحثالة! استخدمتهم كحقول تجارب لاختبارات غير ضرورية تهدف فقط إلى تسلية مريض عقلي مثلك. نعم، هذا ما أنت عليه بالضبط، مريض عقلي يبحث عن ثروة لن يستطيع إنفاقها أبداً. أنت مجرد حقير من قطاع الأدوية.

– انتبه إلى عدم المبالغة في تفسير النتائج يا كريستيان، قال سايڤار كروتز الذي بدا أنه لم يلحظ درجة الغضب التي لم يكن كِيدي الغراب يحاول السيطرة عليها.

– دانيال، أخي الكبير، كان مثل أي فتى آخر، قوياً ومفعماً بالحيوية، قال بالمي بهدوء، وقد جعلتَه حقل تجارب لك. أصبح مدمناً فوراً على المخدرات والشراب، لكن أكثر ما فضَّله هو الأمفيتامينات. ومثلما تقول، كان من السهل جداً الحصول عليها. أنا متأكد أنه لو لم يتذوَّقها بسببك، لما اكترث لها أبداً. ولم يستغرق الوقت طويلاً حتى أصبح مدمن مخدرات عنيداً، فيأخذ جرعات قوية لدرجة أنه يُغمى عليه أحياناً. ثم غرِق في عالم الجنون، فحاوَل أن يحرقني حيّاً، وجَعَل أمنا تعاني بطرق تفوق الوصف، كما حاوَل أن ينتحر مرات عديدة لا أعرف عددها. في النهاية، أصبحت أكبر رغبة لديه هي أن يعيش طبيعياً ولو ليوم واحد فقط، بعد أن أمضى حياته في الجحيم لأنك أردت صنع دواء جديد يمكنك تسويقه. هل تعرف أنك وحش؟ هل تُدرِك أنك قذر دنيء؟ كيف يمكنك أن تجلس في هذا القصر المبني على مرض أخي وتضع وشاحاً حريرياً حول عنقك وتدّعي أنك فعلتَ كل ذلك في خدمة العِلم ولخير البشرية؟

– مَن أخبَرك أن دانيال لم يحمل ذلك المرض من قبل؟ لا أحد يعلم أبداً كيف سيصبح عليه الفتيان عندما يبلغون مرحلة المراهقة.

– أنت مذنب بارتكاب جريمة قتل، بارتكاب عدة جرائم قتل، رَدَّ بالمي.

– لقد عمِلتُ لأكثر من عشر سنوات في مستشفى أمراض نفسية، تابَع كِيدي الغراب، وكنتُ أعتني بدانيال، وأعرف الحالة التي تركَته فيها تسليتك الصغيرة، وأعرف الأمفيتامينات مثلما تعرفها على الأقل. هل تحلّيتَ بالشجاعة لتنظر إلى تأثيراتها الجانبية مؤخراً؟ ربما تريدني أن أنعش لك ذاكرتك أيها الوغد. ارتعاش في اليدين. تقلّص عضليّ ورعاش. غثيان. فقدان الشهية. دوخة. أرق. كل شخص يستهلكها لا يعود قادراً على الاستغناء عنها، وعليه أن يزيد الجرعات باستمرار، وسرعان ما يصبح مدمناً عليها بالكامل، وليس من غير المألوف أن تظهر لديه عوارض الفُصام. وفي حال تناول جرعةً مفرِطةً، يُصاب بنوبات صَرَع، وترتفع حرارة جسمه، ويزداد ضغط دمه مع خطر تعرّضه لنزيف في الدماغ. كما أن استهلاك الأمفيتامينات يعرِّضه لخطر الإصابة بنوبة قلبية. هذا ما كنتَ تعطيه لأصدقائي المساكين. لقد دمَّرت حياتهم.

– كل كلامك هُراء، ردّ كروتز بحدّة.

بقي پالمي يراقبهما، وشَعَر أن كِيدي سينقضّ على سايڤار في أي لحظة.

– أنت تعرف الأصول الاجتماعية لأصدقائك، قال كروتز، وتعرف من أين أتوا. كانوا يعيشون في مساكن شعبية، وأهاليهم مدمني شراب، ومطلَّقين، وأمك كانت بائعة هوى يا كريستيان، لا تقل لي إنك نسيت أنها كانت تبيع جسدها؟ ما هو مستقبل هكذا أولاد؟ إنني أسألك. لم يكونوا بحاجة إلى تدخّلي لكي يواجهوا كارثة. لا تشكّ في ذلك أبداً. الفتيان الصغار الذين يعيشون في مساكن شعبية يكبرون ليصبحوا نكرات، ونصفهم يرتكب جنحاً وهذا سيكلّف دافعي الضرائب عشرات أو حتى مئات الملايين. أما النصف الآخر فسيفرِّخ جيلاً جديداً من مدمني الشراب وبائعات الهوى.

اقترب كِيدي الغراب من سايڤار كما لو أنه ينوي أن يضربه.

– لكن مثلما أخبرتُك للتو، يمكنني إصلاح الأضرار التي سبَّبتُها، تابَع كروتز يقول بابتسامة جَعَلت شفتيه تختفيان بالكامل، وكشفت أسنانه البيضاء الصغيرة. اتبعاني.

تبادَل كِيدي الغراب وپالمي نظرةً، ولم يفهما إلى أين يريد أن يصل هذا الرجل. يُصلِح الأضرار؟ كيف يمكنه أن يُصلِح الأضرار التي سبَّبها؟ غادرا المكتب عبر باب آخر والحذر يعتريهما، وتبِعاه في رواق منحدِر قليلاً إلى غرفة مساحتها حوالي اثني عشر متراً مربعاً تحتوي على أربعة كراسي جلسوا عليها. ثم ضغَط كروتز زراً على الجدار فانفتحت ستارتان.

– لا تقلقا، وضَّح لهما، لا يمكنهم رؤيتكما خلف الزجاج، فهذه مرآة أحادية الاتجاه.

اكتشفا غرفة كبيرة أنيقة مساحتها حوالي مئة متر مربع، وتحتوي على أريكة وكرسيين من الجلد العاجيّ وطاولة قهوة بيضاء. الأرض والسقف والجدران بيضاء أيضاً، وهناك إطار أسود في أحد الجدران هو عبارة عن مخطط بابٍ، وأضواء نيون قوية تُضيء الغرفة. كما رأيا عجوزاً آسيوياً يجلس على كرسي مرتدياً لباس بلده التقليدي، وبدا لهما أنه ينتظر شيئاً وهو يجول بنظره في الغرفة دون أن يرى سايڤار أو كِيدي أو پالمي خلف المرآة الأحادية الاتجاه. كان ينتظر بصبر.

– انظرا جيداً، قال سايڤار وهو يجلس على مسافة قريبة جداً من المرآة،

ستحصلان على مفاجأة لطيفة.

فُتح باب الغرفة البيضاء، ودخل فتى عارياً بالكامل واقترب من العجوز. كان شاحباً كالجدران تقريباً، وبدا أنه في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره. كما كان أمهق.

– ماذا تقصد؟ قال پالمي بانزعاج.

– أي نوع من العار ستُرينا؟ سأل كِيدي الغراب، وتظاهَر أنه يستدير إلى سايڤار، لكنه أبقى عيناً على الفتى اليافع.

– راقِبا جيداً، كرَّر كروتز وهو ينظر إلى كِيدي. وللمرة الأولى منذ وصولهما، بدت بعض المشاعر على وجهه وقد أضاءته بابتسامة نصرٍ. انظرا جيداً إلى هذا الفتى، قال.

لماذا يبتسم هذا الشرير هكذا؟ فكَّر پالمي في سرّه.

– ماذا يجري يا كِيدي؟ سأل عندما رأى لونه يشحب، وتساءل إن كان سيسقط عن كرسيه. بقي كِيدي الغراب يراقب الولد بعين واحدة، ورآه يسير نحو العجوز الآسيوي الذي راح يلمسه ويمسِّد رأسه وذراعيه وأصابعه ورِجليه، ثم جعله يستدير لكي يفحص ظهره وردفَيه وأصابع قدميه. شَعَر پالمي كما لو أنه يشهد فحصاً طبياً، وراح ينقِّل نظره بين الغرفة الأنيقة وبين كِيدي الذي أخذ يهزّ رأسه بلا كلل كما لو أنه منوَّم مغنطيسياً.

– ما سوق الماشية هذه؟ سأل پالمي بازدراء.

– هذا غير ممكن، قال كِيدي الغراب بحسرة. هذا غير ممكن. هذا غير ممكن. ليس لديك الحق في فعل هكذا شيء مرعب. ليس لديك الحق في فعل هذا بنا، بقي يكرِّر ونظراته مركَّزة على الفتى الصغير. ورأى پالمي دمعة عند طرف عينه.

– ماذا يجري يا كِيدي؟ كرَّر بصوتٍ منخفضٍ.

– هل تعرف مَن هو هذا الفتى يا پالمي؟ هل تعرف؟

– لم أره في حياتي كلها.

– بلى، رأيتَه من قبل، لكنك لا تتذكَّر، ردَّ كِيدي الغراب بصوتٍ مرتعشٍ. كان صديق أخيك. هذا الفتى هو آغي. هذا آغي، تماماً مثلما كان عندما مات.

– ما عدا أن أحداً لن يموت بعد اليوم، همَس سايڤار كروتز.

45

علِق إرلندور وسيغوردور أوْلي في زحمة سير بين كوبافوغور وبولفار ميكلابرو وهما ذاهبان لاستجواب سايڤار كروتز في كالارنْيَس عن الاختبار الذي جرى قبل ثلاثة عقود في مدرسة ڤيديغردي، كما أرادا طرح بضعة أسئلة عليه بشأن النشاطات التي تجري في منزله الضخم. كانا قد أمضيا جزءاً من اليوم مع زملائهما في دراسة خرائط المنزل التي استلموها بالفاكس من شرطة هامبورغ حيث يتواجد المركز الرئيسي لشركة البناء التي شيَّدته، بعد أن زوَّدها بها المتعهِّد رغم أنه كان يُفترَض به إتلافها بناءً على طلب عميله الصريح بذلك، وقد تعاملت الشرطة الألمانية مع طلب الآيسلنديين بكل احترافية.

أظهرت الخرائط أن منزل سايڤار كروتز يحتوي على قبو يتم الوصول إليه عبر مصعدَين، وكشفت سجلات مختبرات فنتياز أنها بقيت لسنواتٍ تستورد كمية كبيرة من مادةٍ إلى آيسلندا دون أن تعرضها للبيع. وقد اعترف المدير خلال استجوابه بتلك الشحنات التي أتت كلها من مختبرات كروتز في ألمانيا، واعترف أن مالك الشركة سايڤار كروتز وضع كل شيء في منزله. وعندما سئل عن الغاية التي تُستخدَم لها تلك المادة، رَدَّ أنه لا يعرف، وأنه لم ير سوى جزء منها فقط، وأنه مُنع من إخبار أي شخص عنها.

أراد إرلندور وسيغوردور أوْلي تجنُّب لفت الانتباه إلى زيارتهما إلى كالارنْيَس، لكن لم يكن هناك أي خطر بانكشاف أمرهما وهما عالقان في هذه الزحمة الرهيبة لساعة الذروة، ويسيران بسرعة الحلزون، والثلج يتساقط بنُدَف كبيرة، وموكب السيارات يتقدَّم مثل أفعى طويلة. كسَر إرلندور الصمت المُطبِق الذي ساد في السيارة عبر تطرّقه إلى مسألة أراد أن يحسمها منذ بعض الوقت ولم يكن يملك الشجاعة لفعل ذلك قبل الآن، على عادته بالتأجيل في مواجهة الصعاب. هذا

ليس التوقيت المثالي، فكلاهما مُنهك من العمل المتواصل لأيامٍ عديدةٍ لم يحظيا خلالها بقدر كافٍ من النوم، وها هما مُحاطان بالثلج والظلمة، وعالقان في زحمة سير بينما يتوجَّهان إلى منزل رجلٍ عليهما استجوابه بلباقة واحترام، لكن كل توقيت ليس مثالياً للجدال ولا يتطلّب الأمر إلا شرارة، فكَّر إرلندور في سرّه. ورغم أن نظام التهوية في السيارة كان يعمل بأقصى سرعته، إلا أنه لم يعد قادراً على إزالة الضباب عن النوافذ.

– هل ستُخبر صديقك بزيارتنا المحترمة إلى سايڤار كروتز؟ سأل متنهِّداً.

– أي صديق؟ عما تتكلّم؟ رَدَّ سيغوردور أوْلي مرتبِكاً، فهو لم يتوقع هجوماً من إرلندور، ليس هنا، وليس في هذا التوقيت.

– إنني أتكلَّم عن صديقك الصحافي الذي نشر السبق الصحفي عن هالدور وطلاب المتوسطة. لقد حذَّرتُ الجميع من أنني سأطرد أياً يكن الذي سرَّب ذلك الخبر إلى الصحافة، لذا سيكون عليك البحث عن وظيفة جديدة.

اعترَف سيغوردور أوْلي بكل شيء بعد أن كاد ينسى هذه القصة التي يطرحها إرلندور الآن. نعم، هو الذي سرَّب كل شيء، فإرلندور لا يستسلِم أبداً إلى أن يحلّ قضيته ويكشف الحقيقة، واعتقَد سيغوردور أوْلي أنه بتمرير بعض المعلومات إلى صديقه الصحافي ستتمكن الشرطة من تجميع الكثير من المعلومات بسرعة، مما سيوفّر عليهم أسابيع من البحث والتكهّن. بالإضافة إلى ذلك، حتى لو أعطوا معلومات خاطئة واتكّلوا كالعادة على الإثارة فإن المقالات التي نُشرت مكَّنتهم من معرفة الكثير عن ماضي هالدور بسرعة...

– المشكلة هي أنك خنتَ ثقتي، قال إرلندور، وهذا مُحرِج جداً. هل تفهم؟

– إذاً تقصد أن تُخبرني أنه لا داعي لكي آتي إلى العمل غداً؟

– سأدعك تُنهي هذا التحقيق.

– حسناً، سيكون عليك إنهاء هذا التحقيق اللعين بنفسك! ردَّ سيغوردور أوْلي بغضب شديد. لقد أفادنا ذلك التسريب كثيراً حتى ولو كنتَ ترفض أن تعترف بذلك. بالمناسبة، كيف عرَفتَ أنني المسرِّب؟ الصحافيون اللعينون! صاح.

– لديَّ صديق هناك منذ فترة طويلة، وهو خلافاً لصديقك، يعرف معنى أن تكون المعلومات سرية. لقد تفاخَر صديقك بمعلوماته في الاجتماع التحريري

وكشفَ عن إسمك. ربما يجب أن تحلّ هذه المسألة معه.

– أنت تَدين لي بمعروف، رَدَّ سيغوردور أوْلي بعد صمت.

– معروف، بأي معنى؟ ردّ إرلندور بحدّة. تعرف صراحتي ويجب أن أعترف لك أنني لم أقدِّرك أبداً، أنت وبذلاتك المكوية بدقة متناهية، وشقتك الجميلة لشابّ أعزب، وطريقتك المتعالية في مخاطبة الأشخاص الذين يساعدوننا والذين تشكرهم على قلّة صبرك ونبرتك المزدرية. هل تعتقد أنه يكفي أن تدرس لدى الأميركيين لتصبح قادراً على حل قضيةٍ؟ وبالمناسبة، لماذا لا تحاول تأسيس عائلة؟

– آه نعم، ليحفظنا الله من كل أشكال التعليم والمعرفة! وبما أننا نتكلّم بصراحة يا إرلندور، دعني أُخبِرك أن هناك أشياء كثيرة في سلوكك تزعجني أيضاً. مثلاً، كيف تجرؤ على نصحي بتأسيس عائلة في حين أنك مطلَّق وولداك مدمنان وتعيش في خزانة في ضاحية برايدهولت، وتنفّس غضبك ورعبك من تدمير حياتك على مدمني المخدرات الذين ضربوا إبنتك؟ وفوق ذلك، تورّطني في المسألة؟! يا لك من مثال يُحتذى! وبالطبع تسمح لنفسك بإعطائي دروساً بما أنك أعلى مني رتبةً! أنت مليء بأحكام مُسبقة، وأظن أنك عنصريّ أيضاً، وتكره أي شخص دَرَس أكثر منك ونجح في الحصول على أي شهادة أعلى من المدرسة. أنا لم أكن من الطلاب الحمقى يوماً، والأحمق الذي كنتَ عليه سابقاً أصبح قادراً على الانتقام من شابّ تجرأ أن يدرس! أحسنتَ ومبروك لك أيها الطالب الفاشل!

غطى الضباب نوافذ السيارة بالكامل، وراح نظام التهوية يعمل بصخب، فأنزلَ الرجلان زجاج نافذتيهما بصمت، وخط المركبات يمتدّ بلا أي حراك تحت الثلج.

46

– حقّقنا هذا الإنجاز العظيم منذ اثنتي عشرة سنة، استأنف سايڤار كروتز كلامه. في ذلك الوقت، كان قلّة من الناس قد سمِعوا بالاستنساخ ما عدا قرّاء كتب الخيال العلمي. الاستنساخ في الواقع عملية بسيطة جداً، لكن الصعوبة تكمن في عزل الإرث الجيني، وقد ارتكبنا أخطاءً عديدةً. هذا الفتى الذي تسمّيه آغي هو نجاحنا الأول، وهو مثالي تقريباً.

– نجاحك الأول؟ ردَّ پالمي قلِقاً. مثالي تقريباً؟ تعني أنه ليس الوحيد؟

مُلصقاً وجهه بالزجاج، راح كِيدي الغراب يراقب الفتى الأبيض كالثلج والعجوز الذي يدوِّره أمامه ويتلمَّس أطرافه وينظر داخل فمه ويتفحّص عينيه، وبدأت نقاط من العرق تتشكَّل على جبهته، وشَعَر بالغثيان.

– لكن ماذا فعلتم؟ سأل كروتز.

– العجوز الذي تراه هنا ملياردير كوري وزبون لمختبرات كروتز، شركة عائلتي الألمانية، رَدَّ دون تأثر بالمشهد الجاري أمام ناظريه. الأمر ببساطة هو أنه ينوي أن يستنسخ نفسه، ويريد متابعة إدارة أعماله التجارية. ليس لديه أولاد أو عائلة، والاستنساخ سيمكّنه من مواصلة العيش والمحافظة على إرثه الجيني. سيكلّفه ذلك عدة مليارات الكرونات، ونحن نقدِّم خدمة ممتازة يمكنه أن يتحمَّل ثمنها. إنه زبوننا الأول، إذا جاز التعبير. لم يرغب أن يأتي إلى آيسلندا، لكن بما أنني لا أسافر مع استنساخاتي مثل مدير سيرك مع حيواناته المفترسة، ترك نفسه يقتنع وقام بالرحلة، وهي أول مرة منذ خمس عشرة سنة يغادر فيها أرضه الضخمة التي يملكها في كوريا، ويأتي إلى هنا عند سواحل محيط القطب الشمالي في منتصف الشتاء لكي أعطيه حياةً أخرى بعد الموت. هذا باختصار ما نعرضه هنا. حياةٌ بعد الموت. لقد حضَّر كل شيء على أكمل وجه، وقد ترك لنا تعليمات محدَّدة جداً بشأن

التعليم الذي يجب أن تتلقاه نسخته، ومتى يُفترَض أن يتولى مسؤولية الأعمال التجارية، ووالدَيه بالتبني، الخ. كما اشترطَ بعض الأمور بشأن ما يسمّيه النقاوة الجينية، فيريدنا أن نمحو عيوبه لكي ينحو قليلاً أكثر نحو الكمال، وهذه ليست بمشكلة. لديه بضعة أشهر ليعيشها بعد، لذا أسألكما: أين الضرر في مساعدته؟

– أنشأتَ مختبرك في آيسلندا لأننا بعيدون عن كل شيء، ولأنه بالكاد يوجد أي شخص هنا، والدولة لا تفرض قوانين بشأن الاستنساخ، أشار بالمي.

– ذلك المختبر ليس في آيسلندا أبداً بل في أوروبا، لكنني لن أُخبِركما أين. لقد تأسَّس في أوائل الثمانينات، ويبدو لي أن لا أحد توصَّل إلى نتائج حاسمة مثل ائتلاف كروتز في السعي إلى تحقيق الاستنساخ، فنحن قادرون الآن على إنتاج استنساخات بشرية، ونعتبر ذلك مجرد خدمة ستتطوَّر بلا شك. هناك دول عديدة، ومن بينها آيسلندا، لا تفرض قوانين تعارض هذا النشاط، وقادة ائتلافنا يعرفون جيداً أن البلد ملائم لكل أنواع النشاطات، وليس بلداً معزولاً رغم بُعده عن بقية العالم. ليس من قبيل الصدفة أن الجيش الأميركي كان نشطاً جداً هنا خلال الحرب الباردة، فآيسلندا تقع عند مفترق طرق بين الشرق والغرب، وكانت ذات أهمية عسكرية واستراتيجية سابقاً، وهي اليوم ذات أهمية اقتصادية وتجارية. لقد بدأت شركات أجنبية تبني مصاهر للألومنيوم هنا وتصدِّر إنتاجها إلى كل أنحاء العالم، والأسماك الآيسلندية تُباع في الأسواق الآسيوية، كما استقرَّت هنا شركة ديكود جينيتكس المتعددة الجنسيات الغنية التي تهتم بدراسة الجينوم الآيسلندي. البلد هادئ جداً، والسكان المحليون القليلو العدد يكدحون ليلاً نهاراً ليسدِّدوا ديونهم بحيث لا يملكون وقتاً لأي شيء آخر، لذا ليس مستحيلاً أن نستقرّ هنا. أولاً، يجب أن يتقبَّل الرأي العام أن الاستنساخ نتيجة منطقية للتقدّم البشري، لكن كل ذلك يخيف الناس، رغم أنه لا يوجد شيء مخيف فيه أبداً.

– واطسون وكريك، قاطَعه بالمي. قرأتُ مقابلة قديمة تكلَّمتَ فيها عنهما، لذا أجريتُ بعض الأبحاث، وعرفتُ أنهما اللذان اكتشفا بنية الحمض النووي. لقد خطر هذا المشروع ببالك قبل عام 1970.

– إنه أكبر اكتشاف علمي في القرن العشرين، رَدَّ سايڤار كروتز، وقد احتجتُ إلى بعض الوقت لكي أفهم مداه وإمكانياته. لقد مهَّد ذانك الرجلان الطريق إلى

الحياة الأبدية، وقد انصرَفتُ عن تطوير وتصنيع أدوية جديدة. المستقبل هو لعِلم الجينات، ولا يقتصر ذلك على مسألة الاستنساخ، فالاستنساخ مجرد جزء من ذلك العالم الشاسع. لدينا اليوم القدرة على التحكم بالجينات البشرية، والقضاء على الأمراض الوراثية، والتخلّص من العيوب...

– أنت معتوه، قاطعه كِيدي الغراب. أخبِرني كيف صنَّعتَ آغي.

– استخدَمتُ عيّنات الدم من أختي رانفيغ. لم يعد السؤال هذه الأيام كيف نفعل ذلك، فالجميع يعرف الطريقة، بل السؤال الآن هو: لما لا؟ مختبرات كروتز ليست الوحيدة التي تُجري أبحاثاً عن الاستنساخ، لكنها في الطليعة. كل شركات الأدوية الكبرى تعمل في هذا المجال منذ عقود، وهو سباق حقيقي مع الزمن، لكن أياً منها لم يصل إلى ما وصلنا إليه، أضاف بابتسامة رضى. لا شك أن الدول ستسنّ تشريعات بشأن هذه المسألة في نهاية المطاف، عبر منع الكوري الموجود هنا من شراء نسخة مطابقة عن نفسه، لكن ذلك لن يمنع الاستنساخ من الوجود، بل سيصبح عملاً سرياً، تماماً مثل قطاع المخدرات. لا يحق لأحد أن يصنِّع المخدرات، لكن الجميع يتعاطاها.

سكت كروتز قليلاً ونظر نحو النافذة.

– آغي الآن في الثانية عشرة من عمره، تابَع يقول، ألا تجدان هذا مدهشاً؟ طبعاً ليس مثالياً تماماً فقد واجهتنا مشكلة بمعدل الميلانين، لكن منذ أن صنّعناه، نجحنا في إتقان الإجراء.

– هذا عمل شنيع، قال كِيدي الغراب باشمئزاز. عمل شنيع حقاً. لقد صُنع هذا الفرد في مختبر على يد شخص مُصاب بجنون العظمة يلعب دور الطبيب فرانكشتاين. رجل يظن نفسه الآمر الناهي. هذا الفتى ليس طبيعياً أكثر من الأمفيتامينات التي جعلتنا نبتلعها! ليس آغي أكثر مني! لقد صنعتَ وحشاً. أين والداه؟ أين عائلته؟ مَن أمه؟ ما ستكون ردّة فعله عندما يُدرِك أنه كبُر مثل نبتةٍ في وعاءٍ؟ آغي مات ولن تستبدله فأرةٌ بيضاء. أخيراً، لستُ متفاجئاً من رؤية رجل لم يتردَّد باستخدام أولادٍ كحقول تجارب يتسلّى بهم بالإضافة إلى استنساخهم. أنت معتوه بالكامل. أنت رجل مريض ووغد.

نهض كِيدي غاضباً.

– لكن يمكننا أن نقدِّم له كل ذلك، ردّ كروتز بهدوء تام وبدا فخوراً بمآثره. يمكننا أن ننشئ بيئة له ونوفّر له التعليم الذي نريده، وأن نتحكم كلياً بالراشد الذي سيصبح عليه، وحتى أن نحدِّد تركيبة حمضه النووي. لماذا لا تفهم؟ يمكننا إنشاؤه على صورتنا. لم يعد مصير البشر يعتمد على الصُدفة، أو على مكان ولادتهم، أو على العائلة أو الزمن الذي يُولدون فيه. لدينا القدرة لنتحكم بكل ذلك. تتكلّم مثل أولئك الأشخاص غير المثقَّفين المثيرين للشفقة الذين اعتبروها فضيحةً عندما أجرى العِلم أول تجربة طفل أنبوب. ذلك الإنجاز العلمي جلبَ السعادة والفرح لآلاف العائلات على كوكب الأرض، ويمكن قول الشيء نفسه عن الاستنساخ. تخيَّل أن لديك إبناً يموت في سنّ الثالثة عشرة مثل آغي، لكنك تستعيده من خلال الاستنساخ، وربما حتى تستعيد نسخةً محسَّنةً له. هل كان ولداً مُفرَط النشاط؟ يمكننا أن نزيل ذلك العيب. لم يكن ذكياً كفاية؟ الحل عندنا. أين الضرر في ذلك؟

– لن يكون أبداً أكثر من ظل آغي الحقيقي، قال كِيدي الغراب معترِضاً. كل واحد منا شخص فريد. مَن نحن إذا كانت هناك نسختان أو ثلاث منا؟ وأي نسخة هي الصحيحة؟ وإلى مَن ننتمي؟ تقول إنه يمكنك أن تتحكم بكل شيء، لكن مَن سيتحكم بك؟ أنت مجرد تاجر عديم الضمير! ولا تهمّك سوى الأرباح. لا تفكّر بالعِلم، بل فقط بالمال. ألا تخاطر بأن تشتري مختبرات كروتز حصصاً من إنسانك الصغير إذا فشلتَ في تسديد الأقساط الشهرية؟ إذا لم تدفع، هل يحق للائتلاف أن يبيع قلبه في مزاد علني؟

– لا تزال لا تفهم، رَدَّ سايفار كروتز وقد أصبح متلهّفاً أكثر فأكثر لإقناع كِيدي الغراب ويالمي بعبقريته وجعلهما يؤيّدان قضيته عبر البرهنة لهما أن ما كان يفعله هو الامتداد المنطقي للتقدّم العلمي. هذا يسمّى التكاثر اللاجنسي، تابَع يقول، وليس هناك شيء طبيعي أكثر منه، ويمكننا أن نجد الكثير من الأمثلة عنه في الطبيعة. اضطررنا خلال العقدين الماضيين أن نحلّ عدة تحديات تقنية، ثم فتح لنا أول طفل أنبوب آفاقاً جديدةً. تلك العملية في النهاية تشبه عملية استنساخ مبسَّطة، ولا تضجرني بأخلاقياتك. هذه الأيام، تضمن الجدّات إنجاب أحفادهن بدلاً من بناتهن. هل تنوي منعهن؟ لا معنى أو قيمة للحجج العاطفية بالنسبة لي.

– بما أن مَصنع استنساخك موجود في مكان ما في أوروبا، لماذا أتى آغي وهذا الكوري إلى هنا؟ سأل كِيدي الغراب.

– أمضى آغي جزءاً كبيراً من حياته في آيسلندا. أعتبره إبني وأريده أن يبقى بجانبي عندما آتي إلى هنا، وبرأيي، هذا هو المكان الذي ينتمي إليه. لم أُنجب أولاداً أبداً، وقد أعطاني أشياء كثيرة. أراد عميلنا الكوري أن يرى أول استنساخ لمختبرات كروتز، وأن يتفحّص بنفسه ماذا يمكننا أن نفعل له، لذا فضّل أن يأتي إلى آيسلندا بدلاً من ألمانيا.

– أين والدة هذا الفتى؟ سأل پالمي وهو ينظر إلى الأمهق عبر الزجاج.

– على حد علمي، في دار للمسنّين. والدة صديقك آغي هي والدته أيضاً، فأجمل ما في الاستنساخ هو أن كل العوامل لا تتغيَّر إلا إذا أردنا تغييرها.

– أقصد مَن أنجبته؟

– شركتنا تستخدم بائعات هوى، فكل المختبرات تستخدم خدمات بائعات الهوى في سياق أبحاثها، وذلك أرخص طريقة. نعتني بهن جيداً، ونستخدمهن فقط لعملية الإنجاب ولا دور لهن أبداً في تكوين الولد.

تبادَل كِيدي الغراب وپالمي نظرة حيرة.

– قلتَ إنكم استخدمتم عيّنات دم طلاب الصف، هل هذا يعني أن آغي ليس الوحيد الذي تم استنساخه؟ سأل پالمي مستفسراً.

تردَّد كروتز في الإجابة للمرة الأولى.

– هل هناك آخرون؟ سأل كِيدي بسخطٍ.

– حسناً، هناك آغي وكذلك دانيال، أخوك يا پالمي. هل تريد رؤية دانيال عندما كان صغيراً؟

متحجِّراً من الصدمة، بقي پالمي لا يفهم مضامين جوابه لبضع ثوانٍ.

– يا للهول! صاح وقفز واقفاً، وخرج مسرعاً من الغرفة، وتبَعه كِيدي الغراب إلى الرواق، ثم وصلا إلى باب فتَحه پالمي بحنقٍ. دخلا القاعة الكبيرة الأنيقة، فجفل الكوري الذي كان لا يزال جالساً مع آغي، ونهض بالسرعة التي يسمحها له عمره وحالته الصحية. مَن هذين الرجلين؟ تقدَّما نحو الفتى، ووَضَع پالمي يديه على كتفَيه بلطف.

– هل تعرف أين دانيال؟ سأل بصوتٍ لطيفٍ.

وقف كِيدي الغراب بجانبه جاهزاً ليسأل الولد إذا كان يتذكَّره ويتذكَّر أنهما كانا يلعبان معاً عندما كانا صغيرين، ثم غيَّر رأيه مُدركاً أن الفكرة سخيفة. اضطرب الواقع في ذهنه، وشَعَر أن العالم كله مجرد سخافة.

– هل تعرف أين دانيال؟ سأل پالمي مرة أخرى، بينما بقي الأمهق ساكناً لا يتحرَّك وهو يحدِّق بهما. ابتعَد الكوري عنهم، ووصل سايڤار كروتز إلى الباب.

– لا فائدة، وضَّح لهما، آغي لا يملك لساناً ولا يمكنه أن يتكلَّم. كما أنه أصم، لكننا علَّمناه لغة الإشارة.

صَرَخ كِيدي الغراب، وانقضَّ عليه وأوقعه أرضاً، وحاوَل پالمي أن يُبعدهما عن بعضهما، وبقي الكوري يراقب المشهد بصمت.

– أين دانيال؟ صاح پالمي بكروتز الذي لم يتجرّأ أن ينهض. ظَهَر الحارس عند المدخَل، فالأرجح أن مديره استدعاه عندما خرج كِيدي وپالمي من غرفة المراقبة. بدا الحارس على وشك أن ينقضّ على پالمي الذي كان لا يزال يصيح بكروتز، لكن كِيدي الغراب أمسَكه ورماه بعيداً حيث حطَّ على الأريكة. عندها خرج پالمي من الغرفة مسرعاً، وتبَعه كِيدي مُغلقاً الباب ومُبقياً يده على المقبض. رأيا مصعداً في نهاية الرواق، فأسرع پالمي وضغط الأزرار وفُتحت الحجرة ببطء. أفلَت كِيدي المقبض وركض صوبه، فخرج الحارس وكروتز من القاعة الكبرى فوراً وأسرعا نحو المصعد الذي انغلق بابه قبل أن يبلغاه. ضغَط پالمي الزر الوحيد في الحجرة، وبدأ المصعد يتحرَّك.

– ما هذا الجنون؟ تمتم كِيدي الغراب.

وَصَلا إلى القبو حيث ظهرت أمامهما غرفة شاسعة مليئة بحواسيب ومعدّات مختبر ولم يستطيعا أن يسمعا شيئاً، لذا أعاقا حركة باب المصعد لكي لا يتمكن كروتز وحارسه من استدعائه، واجتازا الغرفة على أمل إيجاد بعض الدلالات على وجود دانيال.

بقي سايڤار ينتظر في رواق الطابق السفلي وهو يشتم بانتظار صعود المصعد، ثم أدرَك أن الرجلين أعاقا حركته.

– هيا بنا، قال وهو يرفع نظره نحو الأضواء، ثم استدار واجتاز الرواق بأقصى

سرعة مع الحارس. إنهما مجرد فلاحين لا يفهمان شيئاً، تمتم لنفسه. لا يفهمان أهمية كل هذا وأنه يمكنني إعادة أصدقائهم لهم بكامل صحتهم، لكنهما لا يريدان أن يفهما.

دخل الغرفة البيضاء الكبيرة، ونظَرَ إلى العجوز الكوري، وانحنى له انحناءةً سريعةً، وأخذ الولد الأمهق من بين ذراعيه وقاده بعيداً، والحارس لا يزال يتبعه. غادر الكوري الغرفة أيضاً ورأى ثلاثتهم يختفون في الرواق.

افترق كِيدي الغراب وبالمي ليستكشفا القبو، ووَصَل كِيدي إلى نهايته بسرعة ووجد نفسه أمام ثلاثة أبواب. حاوَل فتح الباب الأول، لكنه كان مُقفلاً، فتراجَع إلى الخلف ليكتسب زخماً وحطَّمه. بدت الغرفة مظلمة، فتحسَّس بحثاً عن زر الضوء وضغطه. وَمَضت أضواء النيون لبضع لحظات قبل أن تستقرّ، ورأى أن الغرفة المبلّطة بالكامل تتضمن أعمدة زجاجية كبيرة شفافة موضوعة على دعامات خشبية وتحتوي على سائل مصفرّ. فورمول، فكَّر في سرّه. معتقِداً أنه لمح حركةً في أحدها، اقترب وأدرك أنه ارتكب خطأً، فلا شيء يتحرّك في تلك الأعمدة الأربعة البالغ ارتفاعها حوالي متر ومحيطها حوالي خمسين سنتيمتراً. بقي كِيدي يحدِّق بالسائل المصفرّ والكامد تقريباً لفترة طويلة، واعتقَد أنه رأى وجهاً في أحدها، وأصابته قشعريرة رهبةٍ من هذه الذكرى الأخرى للماضي.

اقترب من العمود وراح يحدِّق به إلى أن رأى وجهاً عرَفه ذات يوم، وجه صديق قديم. لم يستطع أن يرى شيئاً سوى رأسه، فقد أصاب الضمور بقية الجسم والأطراف بشكل غريب، واحتاج إلى لحظات طويلة ليفهم الطبيعة الدقيقة لما يراه في السائل اللزج، ثم ضربه الإدراك كالبرق مُحدِثاً ألماً في جسمه يشبه الصدمة الكهربائية. هذا صديقه سْكاري، هذا أوسكار.

اقترب من العمود الثاني الذي احتوى على ذراع واحدة ورِجل واحدة فقط. واحتوى العمود الثالث على غيسلي، في سنّ الثامنة أو التاسعة، وقد التصق وجهه بالزجاج. تعرَّف كِيدي عليه فوراً، فقد التقيا عندما كانا في السادسة من عمرهما، لكن في حياة أخرى.

لم ير في البدء شيئاً في العمود الرابع، لذا اقترب ووضع يده على جبينه ليحدِّق جيداً بالفورمول، فظهرت له ملامح وجه ثم أصبحت أوضح. هذا أكثر

وجه عرَفه في حياته كلها، هذا وجهه. مشلولاً من الرعب والقرف، راح يحدِّق بالعينين الباهتتين لهذا الاستنساخ، بالعينين الخاليتين من أي حياة للولد الذي كان عليه فيما مضى. تغلَّب أخيراً على الخوف والغثيان اللذين أحدثهما هذا المنظر في نفسه، لكن حزناً كبيراً غمره وبدأ يبكي بمرارة دون أن يتمكن من إيقاف نفسه.

لديَّ كلتا العينين، فكَّر في سرّه.

لديَّ كلتا العينين.

انضم إلى مكتبة .. امسح الكود

47

رَكَن إرلندور وسيغوردور أوْلي أمام البوابة، وعندما لم يريا أحداً في الأرجاء، ترجَّل سيغوردور أوْلي من السيارة وحاوَل عبثاً فتحها. لم ينفعهما أيضاً إطلاق إرلندور لبوق السيارة. لم يتبادل الرجلان كلمةً واحدةً منذ شجارهما الأخير الذي لم يُحلّ بعد.

– هل تعتقد أننا يجب أن نحاول تسلّقها؟ صرَخ إرلندور عبر النافذة المفتوحة.

– مستحيل، ردَّ سيغوردور أوْلي. كانت البوابة المَهيبة غير قابلة للاجتياز على غرار الجدران التي تحيط هذا العقار الضخم.

– نحتاج إلى تعزيزات، قال إرلندور وأخرج هاتفه الخلوي. كانا لم يُبلغا سايڤار كروتز بوصولهما مفضّلَين مفاجأته. بالكاد بدأ إرلندور يطلب الرقم عندما سمِعا هدير محرِّك خلف البوابة التي بدأت تُفتَح، ثم اقترب ضوءان أماميان في اتجاههما بسرعة عالية وتجاوزهما، وقد اضطر الجيب الكبير أن ينحرف على الثلج ليتجنَّب سيارة إرلندور الذي راح يحدِّق بين نُدَف الثلج ورأى السائق مرتدياً قميص حارس أمن أزرق، وبالكاد استطاع تمييز الصورة الظليّة للراكب الجالس في الخلف. ثم جفل بقوة عندما رأى الوجه الهزيل لفتى يقترب فجأة من النافذة الجانبية ويحدِّق به مندهشاً قبل أن يختفي خلف ستارة الثلج والظلمة. شَعَر إرلندور أنه رأى ذلك الوجه في مكان ما من قبل، لكنه بدلاً من أن يطارد الجيب، اتصل برقم آخر وطالَب أن تُلغى كل الرحلات المغادرة للبلد وأن يُلقى القبض على سايڤار كروتز وإيريك فاكسن في حال حاوَلا مغادرة آيسلندا. كما طالَب أن تنطلق كل الدوريات بحثاً عن جيب باجيرو أخضر أعطاهم رقم لوحته.

رَكِب سيغوردور أوْلي السيارة واجتازا البوابة.

– هل تعتقد أنه كان هو؟ سأل وهما يقتربان من المنزل.

– لم أر جيداً.

ركَنا أمام الباب الرئيسي نصف المفتوح، وأقل ما يمكنهما قوله هو أن أولئك الذين اجتازوهم كانوا على عجلة من أمرهم. رأيا جيب دودج رام أسود رباعي الدفع باهظ الثمن مركوناً خارج الباب، فدخلا المنزل الذي بدا مهجوراً بالكامل، وعندما وصلا إلى صالة الاستقبال، أشار سيغوردور أوْلي نحو جدارٍ بدا من الواضح أن هناك لوحة مفقودة عنه.

– دعنا نحاول إيجاد المصاعد التي تؤدي إلى القبو، قال إرلندور.

سارا إلى نهاية القاعة الكبرى، ووصلا إلى رواق عريض مُضاء يشكِّل قوساً ينحني نزولاً قليلاً، فدخلاه بتردّد. سمِعا خُطى وأصواتاً تقترب منهما فأبطأا إلى حدود التوقف تقريباً عندما رأيا أربعة آسيويين يتقدَّمون نحوهما ببطء، وأحدهم عجوز جداً ويرتدي زياً تقليدياً، وقد بدا أن الثلاثة الآخرين حرّاسه الشخصيون. توقَفوا عندما رأوا إرلندور وسيغوردور أوْلي، وراحوا ينظرون إلى بعضهم البعض لبضع لحظات، كما لو أن كل واحد منهم ينتظر الآخر ليأخذ قراراً.

– مَن هؤلاء؟ سأل إرلندور.

– لا فكرة، لكنني أعتقد أنهم لا يفهمون الآيسلندية، رَدَّ سيغوردور أوْلي.

– في هذه الحالة، اشرح لهم بالإنكليزية مَن نحن واطلب منهم أن ينتظروننا.

– *نحن من الشرطة الآيسلندية. علينا أن نطلب منكم البقاء في المنزل، وسيبقى أحدنا معكم. لسنا مسلّحين وسنكون ممنونين لتعاونكم.*

ما كاد سيغوردور أوْلي يُنهي جملته حتى أخرج أحد الكوريين مسدَّسه وصوَّبه نحوهما، وبدا أن الحرّاس الشخصيين أرادوا فقط تجاوز الشرطيين، لكن العجوز نطق بضع كلمات بلغته فتوقَفوا، وأعاد الرجل مسدَّسه إلى جرابه.

– ابقَ معهم، أمرَ إرلندور سيغوردور أوْلي، واطلب تعزيزاتٍ.

عاود نزول الرواق مرة أخرى، ومرَّ بجانب الآسيويين وأومأ برأسه للعجوز وهو ينظر إلى عينيه مباشرة، وردَّ عليه الأخير بإيماءة مماثلة من رأسه. وَصَل إرلندور إلى المصعد بسرعة واستنتج أنه عالق في القبو، فتذكَّر أن هناك مصعداً آخر، لكنه لم ير أي درج في خرائط المنزل. حاوَل أن يتذكَّر مكان المصعد الثاني وهو يُسرع في صعود الرواق المقوَّس، ووجد نفسه في القاعة الكبرى. اجتاز صالة الاستقبال

الضخمة مرة أخرى، واكتشف باباً آخر في جهتها الخلفية أدخله إلى غرفة كبيرة افترَض أنها مكتب سايڤار كروتز. لم ير أي مصعد، فراح يسير بجانب الجدار بحثاً عن باب خفي وجَده خلف ستارة مخملية سميكة، وفُتح بصمت حالما ضغَط الزر. دخل الحجرة التي تنحدر ببطء نحو القبو، ووصل إلى مساحة هائلة مُضاءة بأضواء نيون وتحتوي على أجهزة وآلات مختبر لم ير مثلها من قبل، وراح يتقدَّم وهو يسأل إن كان هناك أي شخص، لكنه لم يتلق أي ردّ. ثم وصل إلى نهاية الغرفة الضخمة، واكتشَف ثلاثة أبواب، أحدها محطَّم. عندما اجتاز العتبة، اكتشَف أربعة أعمدة زجاجية كبيرة تستريح على دعامات خشبية صغيرة، ووجد صعوبة في تمييز ما يوجد خلف السائل الكامد السميك الممتلئة به، لكنه شَعَر أنه رأى شكلين بدَوا أشبه برِجل وذراع. خطا خطوة إلى الأمام، وفاجأه وجه ولد صغير ذو عينين ثابتتين تحدِّقان به من خلف زجاج أحد الأعمدة.

تراجَع إرلندور إلى الوراء مذعوراً واصطدم بطاولةٍ ذات عجلات عليها صواني معدنية خلفه، فسقطت على الأرض حيث تبعثرت مُحدثةً صوتاً يُصمّ الآذان. اقترب منه ببطء رجلٌ كان يراه للمرة الأولى، ومدّ له يد ليساعده على النهوض.

– مَن أنت؟ سأل إرلندور وهو ينهض ولا يزال مصدوماً.

– ادعى كريستيان، ردَّ الرجل. أنا في أنبوب الاختبار الرابع. هل تريد أن ترى كيف كنتُ أبدو في صغري؟

تبَعه إرلندور إلى الأسطوانة الزجاجية.

– هذا ما فعله بنا أولئك الوحوش. اعتقَدنا أنها كانت مجرد تجارب علاجية، في حين أنهم كانوا يستنسخوننا في الواقع، شرح كِيدي الغراب.

– يستنسخونكم؟ رَدَّ إرلندور مذهولاً. سايڤار كروتز استنسَخ كائنات بشرية؟

– هو والألمان. أنشأت شركات كروتز مختبر استنساخ أعطاه سايڤار عيّنات دمنا. ينوون بيع نسخة بشرية إلى ملياردير كوري يريد حياةً أبديةً. الزبون ملك، ألا تفهم؟ يستطيع المال شراء أي شيء، بما في ذلك الحياة الأبدية.

– كريستيان؟ رَدَّ إرلندور. ألستَ مَن لقَّبه أصدقاؤك كِيدي الغراب؟

– أظن أنك شرطي. إرلندور، أليس كذلك؟ وَصَلتُ إلى هنا مع پالمي منذ بعض الوقت، وقدَّم لنا كروتز عرضاً متكاملاً.

– أين بالمي؟

– ذهَب إلى الغرفة المجاورة بحثاً عن أخيه الأكبر داني.

– دانيال؟ ردَّ إرلندور بارتباك وهو لم يفهم بعد ماذا يجري بالضبط. لكن ألا يوجد أي أحد يعمل هنا؟ تساءل وهو يجول بنظره في الغرفة.

– التقينا فقط بحارس أمن وعجوز كوري. أخبَرنا إيريك فاكسن، الذي عليك أن تستجوبه، أن كروتز بقي لسنواتٍ يستقبل زواراً في هذا المنزل بشكل دوري. لا شك أنهم أشخاص أرسلتهم مختبرات كروتز ليشاركوا في تلك التجارب.

خرجا من الغرفة ودخلا واحدة أكبر بكثير بجانبها حاوَل مصمِّموها تقليد الطبيعة والعالم الخارجي دون تحقيقهم نتيجة مُقنِعة جداً، حيث احتلّت صورة جبلٍ المساحة الكاملة لأحد الجدران، ووُضعت بعض الرمال والصخور عند سفحه. وعلى السقف الأزرق السماوي، رُسمت سُحُب صيف مسالمة، وأضاءت الغرفة لمبةٌ كبيرةٌ يُفترَض أنها تمثّل الشمس الكريمة. وتحت جدار آخر مُغطى كلياً بمُلصق إعلاني يُظهِر غابةً، وُضعت بضع نباتات وأجمات صغيرة وشجرة. ورُسمَت شوارع وأرصفة على جزء من الأرض، وتمت تغطية مكان آخر منها بمواد طبيعية وحِمم بركانية وطحالب. وعلى الجدار الخلفي، هناك مسلاط غير مرئي يعرض صور حيوانات ومناظر طبيعية.

خرج إرلندور وكِيدي الغراب من الغرفة ودخلا غرفة ثالثة بدت كأنها روضة أطفال حيث جُهِّزَت بطاولاتٍ وكراسٍ صغيرةٍ، وطُليت الجدران بألوان ساطعة، وفُرشَت بسجاد عليه رسوم أولاد، ووُزِّعَت فُرُش على الأرض لتخفّف من وطأة سقوط الصغار، وحتى أُضيف قفص من القضبان ليتسلّقها الأولاد. نادى كِيدي بالمي دون أن يحصل على جوابٍ منه، فتابع يناديه وهما يبحثان في الغرفة، ثم أجابه بالمي بصوتٍ بالكاد مسموع. وجَداه مختبئاً خلف حجاب صغير في زاوية الغرفة ويضع في حُضنه ولداً في حوال السنتين من عمره تدلّت لفائف شعره الشقراء الطويلة على كتفَيه.

– يبدو بصحة ممتازة، قال وهو يرفع نظره نحوهما. لديه عشرة أصابع في يديه، وعشرة أصابع في قدميه، وذراعان ورِجلان وعينان وأذنان وأنف ولسان. هذا دانيال. أقدِّم لكما داني، أخي الأكبر.

48

بعد بضعة أشهر وفي يوم صيفي جميل، رَكَن پالمي أمام مبنى هيلينا السكني حيث أنه أصبح صديقاً عزيزاً لها خلال الشتاء، وقد أتى ليطمئن عليها ويُحضِر لها شيئاً صغيراً. كان قد أخبرها بزيارته، ففتَحت له الباب ودخل شقتها الصغيرة.

– أُحضِرتُ لك أخيراً رسم كجارڤال، قال وهو يُخرج حزمة صغيرة.

– آه، أنهوا أخيراً عملية ترميمه، رَدَّت هيلينا. استغرق ذلك أربعة أشهر، لكنني أرى أنهم قاموا بعمل مذهل، وقد عاد مثلما كان من قبل بالضبط. هلاّ علّقته لي على الجدار يا عزيزي پالمي؟

علّق الرسم في مكانه السابق، وراح يتأمله وهيلينا واقفة بجانبه. ثم خطت العجوزة خطوة إلى الأمام وعدَّلت وضعيته ليصبح مستقيماً تماماً.

– وقد أتيتَ بالسيارة، إذاً فقد نلت رخصة القيادة. يا لها من تطوّرات كبيرة في حياتك! أضافت.

– كان قد حان الوقت لذلك، رَدَّ پالمي.

– ما أخبار كريستيان؟ أو ربما عليَّ أن أواصل تسميته يوهان.

– ما عليكِ سوى تسميته كِيدي الغراب. أصبح أفضل بعد اكتئابه لفترة طويلة جرّاء رؤيته مقبرة الجثث التي احتفظ بها كروتز في منزله. كم أن ذلك مريع! لقد دُفنوا كلهم في قبر مجهول، لكننا نعرف أنهم تواجدوا في يوم من الأيام. تحسَّنت نفسيته، وقد عثر على عمل في الميناء، ويقول إنه لم يعد يفكّر كثيراً بهذا الكابوس. بدأ يستعيد عافيته شيئاً فشيئاً، وأصبحنا صديقين عزيزين، ويزورني كثيراً. سيكون كل شيء بخير.

– فشلت الشرطة في القبض على سايڤار كروتز الحقير ذاك؟

– يعتقدون أنه يختبئ في مكان ما في أوروبا، على الأرجح في ألمانيا، بعد أن

تمكَّن من الهرب وأخذ آغي معه. اعترف حارسه أنه أوصله إلى سفينة شحن ألمانية كانت على وشك مغادرة آيسلندا، لكنها كانت قد وصلت إلى هامبورغ من قبل عندما أقرّ بالحقيقة، وينكر أنه كان على عِلم بنشاطات مديره. إيريك فاكسن أيضاً أقسَم أنه كان يجهل كل شيء، وأنه لا يعرف شيئاً عن التجارب العلاجية المزعومة التي أُجريت على صف أخي، لكنني لا أظن أنه سيُفلِت من عواقب ذلك. غودرون هي الشاهدة الرئيسية للنائب العام، وبالطبع سيكون عليها أن تنال عقابها على ما فعلته، رغم أنها نالت عقابها من قبل، نوعاً ما، فقد أخبَرني إرلندور أنها تبكي طوال اليوم بعد أن دمَّرتها هذه القضية كلياً والندم يعذّبها. سنرى ما يقرّره النائب العام. أظن أن السلطات ستفعل أي شيء لتغطية القضية، وقد نجحت حتى الآن بإخفاء تجارب الاستنساخ تلك عن الرأي العام، وستستمر تلك التغطية على الأرجح، لأنه سيكون مُحرِجاً جداً لو تسرَّب خبر كل ذلك. لقد تركوا الكوري ورجاله يغادرون بعد استجوابهم، وعلى ذلك العجوز أن يجد أشخاصاً آخرين يقدِّمون له الحياة الأبدية، على أمل أن يكون ذلك لخيره! قامت مجموعة باحثين من جامعة آيسلندا باستكشاف فيلا سايڤار، وقد أنكر ائتلاف كروتز المتعدد الجنسيات كل الاتهامات وأكَّدوا أنهم لا يملكون مختبر استنساخ، رغم إقرارهم أنهم أجروا أبحاثاً في هذا المجال على غرار شركات عديدة أخرى، لكنهم أقسموا أنهم لم يستنسخوا أي إنسان أبداً. سايڤار كروتز اختفى كلياً، ولا نعرف مكانه. هذا ما قاله لي إرلندور.

– زارني هذا الشتاء مع سيغوردور أوْلي ليشرحا لي ما حصل لهالدور، وأخبَراني أنهم لن يقاضوا كريستيان، فالمسكين يعاني من أشياء فظيعة بما يكفي، ولا داعي لإضافة المزيد، وقد خُتم التحقيق على عملية انتحار. يعجبني إرلندور وسيغوردور أوْلي، وقد بدَوا أقل توتّراً، وبدت علاقتهما أكثر هدوءاً.

ساد بعض الصمت.

– رمَّمتُ غرفتي القديمة، قال بالمي، مثلما أخبَرتُك من قبل، فأعدتُ طلاءها وأعدتُ فتح ذلك الباب الذي بقي مُغلقاً لفترة طويلة.

– هذا جيد.

– حسناً، عليَّ أن أذهب.

– إلى أين أنت مستعجل هكذا؟

– سنقوم بنزهة في السيارة مع داغني والأولاد. سنستغل الطقس الجيد لنخرج من المدينة، ونتوقف في مكان ما في الطبيعة، ونستلقي في الشمس ونراقب الأولاد يلعبون. ثم سنعود إلى المنزل هذا المساء ونستفيد من ليل الصيف الصافي.

ودّعا بعضهما، وخرج بالمي من المبنى وركِب سيارته حيث كانت داغني تنتظره مع ولديها. وعلى المقعد الخلفي، على الكرسي المخصَّص للأطفال، فتح فتى صغير عينيه الكبيرتين ونظر إلى السماء. إنه دانيال.

مكتبة
t.me/t_pdf

مكتبة

دانيال، وهو مريض في مستشفى للأمراض النفسية في ريكيافيك في الأربعينات من عمره، ينتحر بإلقاء نفسه من النافذة أمام أنظار شقيقه يالمي. وفي الوقت نفسه، يُقتل أستاذه العجوز من أيام المدرسة حرقاً حيّاً في منزله.

أمام هول هذه الصدمة، يسعى يالمي المنكوب بالذنب إلى كشف الحقيقة ومعرفة الرابط بين هذين الرجلين، بينما يُجري فريق من الشرطة التحقيق الرسمي بقيادة المحقّقين إرلندور وسيغوردور أوّلي لكشف القاتل، ويكتشفون في سياق التحقيقات أن كل طلاب ذلك الصف المدرسي قد ماتوا الواحد تلو الآخر في ظروف غامضة في السنوات السابقة، مما يزيد القضية غموضاً وتعقيداً.

telegram @t_pdf

صدر أيضاً للمؤلف:

ISBN: 978-614-01-3237-5
9 786140 132375

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com